



المجلد
الثالث

العدد
الثاني

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية أبولو

تصدر مرة في كل شهر
وستنها عشرة أشهر

أكتوبر سنة ١٩٣٤

صاحب الامنيان } أحمد زكي أبوشادي
ورئيس التحرير

الادارة } بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر

التليفون } ٦١١٩٦
و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



عبد الرحمن شكرى

نارت نائرةُ الأدباء والنقاد حول أدب عبد الرحمن شكرى لماسبة صدور كتابين أحدهما (رسائل النقد) للدكتور الشاعر رمزي مفتاح والآخر (رؤاى الشعر الحديث في مصر) للشاعر مختار الوكيل . وكان بين من تحرروا للكتابة الشاعران ابراهيم عبدالقادر المازني وعباس محمود العقاد ، وأما شكرى نفسه فعازفة كل العزوف عن الحياة الأدبية العامة ولا يهتم من هذه الجلمة شىء ويأبى أن يتورط فيها وقد رأى المازني أنه أساء في حق شكرى سابقاً فكتب أكثر من مرة معلناً استنكاره لتحامله عليه من قبل ، معترفاً بأستاذية شكرى وفضله عليه ، وآخر ما كتبه كان في جريدة (البلاغ) الصادرة يوم أول سبتمبر الفائت تعليقاً على الفصل المكتوب عن شكرى في (رؤاى الشعر الحديث) فكان تصرفه نبيلاً إذا ما عزّ النبيلُ بين حملة الأقلام في هذا الزمن .

وكتب العقاد مقالاً في (الجهاد) الصادر يوم ٤ سبتمبر فكان المنتظر منه كمادته أن يعلن أنه صاحب الفضل على كل إنسان وليس لأحد فضلٌ عليه ، وقد كان ذلك والعقاد موافق في مثل هذا الادعاء لأنه وجد من كل من شكرى والمازني محبة خالصة وتجرداً صوفياً وإيثاراً من قبل وإلى الآن ، وله أن يعتمد على عزوف شكرى عن كل هذا العبث ، كما له أن يعتمد على تواضع المازني وتجريده نفسه من كل موهبة ولكن الحقيقة التي يعرفها كل من اشتغل بالصحافة في الجيل الماضى وأنيح له الاحتكاك بهذا الثالوث تتجلى فيما باتى :

(١) أن العقاد كان دائماً نشيطاً مفكراً ، وأنه حاول الاشتغال بالترجمة وخلص تلخيصات بدائية ولكن معرفته باللغة الانجليزية ودرجة ثقافته بقيت محدودة زمنياً طويلاً . وإذا كان النفت نحو الأدباء والمفكرين الألمانين كترجم وملخص فإن انتاجه الشخصى الممتاز لم يكن إلا بعد ذلك بزمان طويل . وكمن مترجم وملخص فى شتى

المجلات الراقية كالمنطف والمهلال وفي الصحف السيارة المشهورة في ذلك الوقت أسدى جهوده في غير هذه الدعاوى الطويلة العريضة التي يدعيها العقاد الآن - فإذا كان المازني مثلاً قد التفت معه الى ماكس نورداو فحسب المازني أنه وجه العقاد توجيهاً قوياً الى ابن الرومي ، ومع هذا فلم نسمع من العقاد أى اعتراف بهذا الجبل وانما سمعنا عن توارينغ قديمة عجيبة هي في صف المعجزات وشبيهة بصلته المزعومة بحال الدين الأفغانى !

(٢) اذا صح أن شكوى المازني قد ساءرا العقاد فترة في التفات الى الأدب الشكوى الألمانى ، فقد باعدها واقتصر على الأدب الخالص بعد ذلك ، وكأن مجاوبها معه من هذه الناحية معدوم ، بعكس العقاد والمازني اللذين انطبع شعرهما بطابع عبدالرحمن شكوى انطباعاً قوياً الى الآن . وهذا وحده ما يعنى نقاد الشعر ، وعلى دلالته يبنون أحكامهم ، وعلى نتائجهم الملهوسة تكلموا عن شخصية شكوى وعن مدرسته الشعرية وزعامته الأدبية لتلك المدرسة الثلاثية زمناً طويلاً

(٣) بغض النظر عن الحديثة في بعض كتابة الدكتور رمزي مفتاح وعن تصويره الخيال في جانب من المواقف وهو ما لا نقره شخصياً ، وبغض النظر عن الاختلاف في التفسيرات التي أدلى بها غنار الوكيل ، لاشك في أن كتابيهما من مآثور النفد المصري ، فحالة العقاد أن يفتقصهما ليست مثلاً للترفع ولكنها مثلاً لمادة معروفة عنده : وهي إصغار كل من لا يؤلمه - ولو كان كبيراً ، والتنويه عن مقدسه ولو كان من الصغار ! على أن جبهة الأدباء لا يعنهم إلا المنطق والحقائق الأدبية وحدها ، وهم يطلبونها أينما كانت ، وهم يعرفون أن العقاد كان ولا يزال متجنباً على هذه الحقائق . وليس للعقاد حسد ولا خصوم سوى قلمه الذي يزل به زلات لا لمخصى ، وهو لو تدبر ذلك لأنصف نفسه وزملاءه .

(٤) بعد كل هذا وقبله لا يعنى الأدباء المخلصين للأدب وحده إلا إنصاف ذلك الشاعر الممتاز الذي كان سكوت العقاد إن لم نقل عمالاته لتنجي المازني عليه في كتابيهما (الديوان) داعياً الى تطبيقه الشعر بناتاً وخسارة الأدب المصري أى خسارة لجهوده . فلعل العقاد يفعل ما فعله المازني من تهذئة أعصاب شكوى وتضميد نفسه الجريحة ودفعه ثانية الى ميدان الأدب ، فهذا هو البر والجد الصحيح وأما ما عدا ذلك من دعاوى مفروضة وحكايات فلا قيمة لها أكثر من أنها من صور الزهو الباطل والآنانية على ما لا يستحق الزهو والآنانية !



اسماعيل صبرى

بيانه وذكرى

كان أول ما قرأت من شعر صبرى أبيات وجدتها في مجموعة بخط والدى دون فيها ما تلقّاه من شعر أدياء عصره في رحلاته الى القاهرة وكان رحمه الله بخالطهم ويشهد بحالهم ، ومن هؤلاء الأدياء جماعة من الشعراء الذين جمع العنصر التركى الكريم بينهم وبين والدى ، وأشهرهم حسن حسنى الطويرانى ، وسليم رحى . فاذا عاد من إحدى هذه الرحلات كان أول ما يتحفنى به من الهدايا ما اشترى من الكتب ، وما حمل من هذه الاشعار . وكنت يومئذ صبيّاً يولغنى والدى بالأدب ويمجّزنى عليه : وهذه هى الأبيات مسنده الى (اسماعيل بك صبرى رئيس محكمة الاسكندرية) وهى فى نهضة الخديو توفيق بعيد الاضحى عام ١٣٠٦ من التاريخ الهجرى كما يؤخذ من ختامها :

إن هيمّ الشعراء النغرُ والريقُ	وشافهم كأشْ صباه وابريقُ
فلى بمدحك (توفيق العلى) كلفُ	لم ينننى عنه هيفاء ومعشوقُ
حققت آمالَ مصرٍ حيث كان لها	الى علاك مَدَى الأيامِ تحديقُ
وشدّت فى مصرٍ فخرّاً لا خفاء له	فليس بُنكره فى الكونِ زنديقُ
فالعينُ ما طمحت إلا رأت أثراً	له بتاجك ترصيعٌ ونسيقُ
وهذه حُكمك ركنَ الظالمين ، وقد	عدلتَ حتى أحبّ العدلَ محقوقُ
مولائى اوافاك بالاقبال عيْدُ فدى	بالبشر واليمن مصحوبُ ومرفوقُ
نعمش لأمناله طولَ المدى فرحاً	واسعد فانت بعين الله مرموقُ

وا هنا به فصفاه الوقتِ أرخه : عيد الفداء ببشر جاء (توفيق)
وأول ما لقيتُ اسماعيل صبرى الذى أصبح بعد ذلك من ملوك الشعر وأمراء
البيان ، يوم جاءنى رسوله يدعونى لمواقفة بدار الحكم فى مدينة دمنهور ، وحاكم
الاقليم يومئذ محمد محمود باشا . فلما لقيت صبرى فى منصرفه من حضرة الحاكم
وكنيت على شوق دائم اليه ، صافحته لأول مرة وفى نفسى من التهييب والانقباض
ما انطوى وشيكاً فى ذلك البشر المتدفق الذى بدأنى به ، وما انقضت التحية حتى أخذ
بذراعى بدسته تحت إبطه ويقول : وبحك يا محرم ، ماذا فعلت بالرجل ؟ انه لشديد
الحقن عليك ، لقد روضته فما ازداد الا شراسة وغلظة !

كان بنى وبين محمد محمود باشا أمر لم يأخذ فيه بالحزم ولا أجراه على نظر أو
روية ، وكان حوله من مشبرى السوء فئة أعانته على الشطط والنسرع ، وجاءت جولة
العباس أمير مصر فى اقليم البحيرة قبل رحلته التى انقضت بها عهده فى الحكم والامارة
فبعث المدير المتحرق الصدر الى حافظ ابراهيم ببعض هؤلاء المشيرين يسألونه أن
ينظم تحية للأمير تلقى بين يديه فى دار المدرسة الصناعية بدمنهور . فقال لهم :
وأين أنتم من محرم ؟ قالوا : انا معه على جفاء وفرقة ، فقال : ارجعوا الى صاحبكم فنبشروه
انه قد ركب أمراً عظيماً ، وإنى لبراء منكم حتى يرضى - وعلمتها من حافظ
فشكرته وأبخته أن يكون عند رجائهم فيه ، فنظم لهم قصيدة عصماء قال فى مطلعها :
أشرق عباس على شعبه كأنه المأمون فى ركه

ونظمت أنا تحية للأمير ثم بعثت بها الى جريدة (المؤيد) ، فظهرت فيها وركب
الأمير يودع دمنهور ، ولم تظهر قصيدة حافظ الا بعد ذلك بيومين ، ومطلع
قصيدتى :

أو كلما سكن المشوق فأقصرا حاجته أسرابُ المها فتذكرا ؟
ومنها فى الغزل وقد علمت أن السنة الوشاة تناولتنى لدى الأمير فزعموا أنى فى
عقبى الوطنبة على الحراف :

مشت النائمُ بيننا فعرفتُها وعرفتُ من لحظات عينك ما جرى
ومنها ، والخطاب للأمير :

صدقُ الولاء أمانة لك فى دمي يابى لها الایمانُ أن تتغيرا

أنا من طيورك ، إذ دعوتُ مفرّداً عاد الجديبُ المحلُّ روضاً أنضرا
 (النَّيْلُ) يشهدُ أنني لم آلهُ برّاً ، ولستُ بصادقٍ إن أنكرا
 لستُ الذي يرضى العقوقَ سجيّةً وبرى التقلّبَ في المذاهبِ متجرا
 لو كنتُ طالبَ حاجةٍ لرأيتني أسمى إليها في ذراكٍ مشمرا
 ولو أنني ممن يتوق إلى الغنى لوجدته بندي بديكٍ ميسرا
 ما في الحياة على تعاطفٍ شأنها ما يستخفُّ العاقلَ المتبصّرا

علم اسماعيل صبرى من الصديق حافظ ما كان من أمرى مع محمد محمود بانما فوفد
 الى دمنهور يؤدّي ما فرضه على نفسه من حقّ السفارة بين أديب عرف للأدب
 قيمته فصانه عن مجال الملق ومعرض الدهان ، وبين حاكم اقليم يعتز بمنصبه وببته
 وبرى لنفسه أن يكون السيد النافذ الأمر في جميع الأمور ، ولم أكن على علم من
 قبل بأمر هذه السفارة التي لم أكن لأشير بها لو أنني خوطبت فيها ، ولكنها حجة
 حافظ ، ومروءة صبرى ، رحمهما الله ، وقضى غنى حقهما العظيم نعيماً وطيباً .
 قال لى صبرى وهو يصف شراسة محمد محمود بانما : دعه عنك فقد أصبح أمرك
 بيد الأمير ، وانك عنده لبالمحلّ الذي تريد ، وقد قرئت عليه قصيدتك فاعجب بها
 وسرى اقلت له : دع عنك الحاكم والأمير ، وقل لى متى يطلع علينا الرئيس
 بصبرية جديدة ؟ فتأوّه وقال : لقد كبرت وضعفت نفسى ، وانما الشعر أخو القوّة
 وصاحب الشباب ، قلت له فإبال :

لو أنّ أطلالَ المنازل تنطقُ ما ارتدّ حرّان الجوائح شبقُ ؟
 انها وحقك لكما يقول أبو تمام :
 قد أوتيت من كل شيءٍ نعمة ودَدَا ، وحُسْنًا فى الصبا منموسا
 فابتسم رحمه الله ، ثم نعب القطار فودعته ، وكان هذا أول عهدي به وآخره

صلى السّعيدي بصبرى

لم يحجر بينى وبين صبرى قبل هذا الحادث ولا بعده شيء من المطارحات الشعرية
 بل ولا الكتب أو الرسائل ، غير أنه شاع بعد هذا اللقاء أنه أصيب برعاف شديد
 فقلت فيه ، وإخال أنى أذعتها فى إحدى الصحف :

أشفقتُ من نأ الرئيس ، وأشفقتُ
 سالَ الدَّمُ المسفوحُ منه معانياً
 ما كنتُ أعلمُ ، والحياةُ تجاربُ
 رُغيفَ السراخِ ، وقد جرى برعافه
 عافاك ربك ، إنَّ من آياته
 سُؤالُ أمْدٍ بهِ اليدين ، ودعوة
 للقومِ من غفلِ القرافي ما زى
 إنَّ الصحائفَ ما تزالُ سرُوعةً
 وعزى صبرى صديقى الشاعر الأديب ولّى الدين يسكن رحمه الله فى وفاة والدته
 بأبيات قال فيها :

إني أعزبك وأبكي ممك

فقلتُ فى تعزيتى لهذا الصديق الكريم ، ولا أعلم ما ذا كان موقعها فى
 نفس الرئيس :

لقد وجدت نفسى لوجده (محمد)
 أخى ، والموادى ما تزالُ مُغيرةً
 أعيدُك أن تلتقى الخطوبَ مرُوعاً
 رميتَ صفوفَ الحادئاتِ بمنلها
 يُعزبك شيخُ العبقريين باكباً
 وسيّرتُ الى الصديق حافظ قصيدة أطارحه فيها وهو معتقل بدار الكتب
 مطالعها :

رؤيدَ الهوى باليل ، لو يفتح الهوى
 بما نال من دمي ، وما نلت من دمي
 ومنها فى ذكر الرئيس :

إذا جئت شيخَ العبقريين زائراً
 خذْ لقربى الإذن قبل التهجم

وإنَّ أُنْتَ شَارَفَتِ السُّتُورَ مُنِيفَةً فَسَّحْ ، وَقَبَّلْ ، ثُمَّ حَيَّ ، وَسَلِّمْ
وَصِفْ مِنْ بَنَاتِ الشُّوقِ كُلِّ شَجِيَّةٍ تَرْنُ رَيْنَ الطَّيِّسِ الْمُرْتَمِّمِ
تَطْلُعُ مِنْ حَوْلِ الْفُؤَادِ ، وَتَرْنُ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَحَرِ الْغَلِيلِ بِسَلِّمْ
وَتَنَابُ تَلْقَى كُلَّ رَكْبٍ ، وَمَا بَهَا سَوَى أَنْ تَرَى رَكْبَ (الرَّئِيسِ الْمَعْظَمِ)
إِذَا هَجَمْتَ ذَكَرِي صَدِيقَ لَدَيْكَ فَذُودُوا عَنِ التَّهْجَاعِ ذَكَرِي (مُحَرَّمِ)
وَلِي فِي الرَّئِيسِ صَبْرِي مَرْتِيَةٌ بَقِيَتْ مَطْوِيَّةً إِلَى الْيَوْمِ لَسَرٍّ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُهُ ، فَلَمَّا
أَهَابَ بِي صَدِيقِي الشَّاعِرُ الْمَهْنَمُ ، شَاعِرُ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ الدُّكْتُورُ ذِكْرِي أَبُو شَادِي ، أَنْ
أَكْتُبَ كَلَّتِي هَذِهِ عَنْهُ عَلِمْتُ أَنَّ الْيَوْمَ قَدْ أَذْخَرْتَهَا لِتَذَاعَ فِي خَتَامِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ
وَسَتَأْتِي فِي مَكَانِهَا .

شعر صبري

لَمْ يَكُنْ شِعْرُ صَبْرِي أَوَّلَ عَهْدِهِ بِالْأَدَبِ يَبْشُرُ بِشَاعِرٍ مُقْتَدِرٍ يُحَدِّثُ أَثْرًا يَذْكُرُ
فِي عَالَمِ الشَّعْرِ وَيُوقِعُ بِاسْمِهِ فِي سَجَلِ الْخُلُودِ وَجَرِيدَةِ الذِّكْرِ ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِمَنْثَلٍ مِنْ
شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ كُلُّ شَاعِرٍ فِيهِ خَيْرًا مِنْهُ ، وَقَدْ مَرَّ بِكَ ذِكْرُ سَلِيمٍ رَحِمِي
فَأَنَا أَذْكُرُكَ لَكَ بَعْضُ مَا دُوِّنَ لَهُ فِي نَلِكِ الْمَجْمُوعَةِ الْخَطِيئَةِ الَّتِي نَقَلْتُ عَنْهَا ذَلِكَ الْمَنْثَلِ
السَّيِّئِ لِنَتَعْلَمَ أَنَّ الرَّئِيسَ صَبْرِي بَانَا شَاعِرٍ آخَرَ غَيْرِ اسْمَاعِيلِ صَبْرِي بِكَ رَأْسَ مُحْكَمَةِ
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ . قَالَ سَلِيمٌ رَحِمِي مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْخَلِيدِيُو تَوْفِيقَ وَيَهْنَتَهُ بِالْعِيدِ :

فِي خَيْرَةِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ وَفِي الْحَوَادِثِ تَذَكَارُ الْمَذْكُورِ
وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ مِنْهُ مَا لَهُ عَمْرٌ بَغِيرِ شَوْلِكِ ، وَذُو شَوْلِكِ بِلَا عَمْرٍ
وَالْمَرْءُ مِمَّا صَمِتَ فِي النَّاسِ رَنْبَتُهُ فَلَيْسَ إِلَّا بِمَا يَبْدِيهِ مِنْ أَثَرِ
مَا شِئْتَ فَاعْمَلْ ، فَهِيَ كُنْتُ مُسْتَرَا تُعَلِّمُ سَجَايَاكَ بَيْنَ الْبَدَوِ وَالْحَضَرِ
ومنها :

وَارْحَمْنَا لَعَالُومٍ مَا بَلَغَتْ بِهَا نَفْعًا ، وَقَدْ ضَاعَ مَنِّي أَنْفُسُ الْعَمْرِ
هَذِي الْعَالُومُ الَّتِي لَمْ تُجْنِ عَمْرًا مَا لِي أَذُودُ الرَّدَى عَنْ عُودِهَا النُّضْرِ؟

وأيُّ فائدةٍ في النحو أطلبها
وما النتيجة من وزن العروض إذا
وإن كان لم يرتفع (بين الوري (خبري) ؟
لم يجوز معنىً يبت غير منكسر ؟
ومنها :

أستغفرُ الله إني في حمى مملِك
عزيزُ مصر الذي سارت مآثره
إن جال بالفكر قلت الشهبُ ثاقبةً
وقال في الختام :

عيدٌ بساحتك العلياء حلٌّ فإن
ماذا يقول (سليم) في المدبح وقد
تأمره بالعودِ وإنا على قدرِ
علوت عن كل منظومٍ ومنتثرٍ

لا أقول إن هذا شعرٌ ، ولكني أقول إنه أشبه بالشعر وأقرب إليه مما كان يقول
صبري في ذلك العهد ، وصبري منذ القديم شاعر مقلٌ ، فهو لا يستطيع المطوَّلات
ولا يكاد يجيدها ، وقد فضجت شاعريته فأبدع في مواضع كثيرة ، ومواطن شتى ،
ولكنه بقي الشاعر المحدود ، والفنان الذي يأخذ من الفن ما يعجبه ، ويأبى أن
يعطيه ما يحبه هو ويرضاه .

ينظم صبري في بعض الأغراض العامة فينسكر لك في كثير من شعره ، ثم
يفاجئك على يأس باللمحة الفنية الرائعة فتعمره ، وتحس أن نفساً جديدة حاوة تشعل
نواحيك وتشعل جوانبك : ذلك أن صبري لم يوهب قوة التحكم في هذه الأغراض
أو هو لم يرض نفسه عليها منذ النشأة الأولى ، فهي غير مستقرة الصور عنده ،
ولا متمكنة الأصول والأسباب من شاعريته وطبعه . هو شاعر بهزء الغرض النفسي
فيقبل عليه ، ويشوقه المعنى البديع بعينه فيطلبه في مكانه من الشعر الطليق ،
ويستكثر من الشباك والحبائل يبنها حوله ، ثم يتلطف في اجتذابه إليها ، فتراه وقد
وقع في يده قتيصاً غير موقوذ ولا جريح ، وهو إذ يعمد إلى هذا تراه في قلبي فكري
دائم ، واضطراب فني مستمر ، تراه متنافراً إلى أقصى حدود التنافر في القطعة
الواحدة من شعره ، فهو يعطيك من مجموع هذه القطعة صورة آلية جافة ، تصاحب
حولها وبين ثناياها صور أخرى مضطهدة أو ملغاة لغير ما سبب سوى أنه لا يريد
وانك حين نظلم الفن والدوق والمأطفة لتظفر بمعنى بديع أو صورة حسنة تغرم بها .

ونحرص في نفسك عليها لجدير أن تعرف مكانك من ذوى النصفة وأولى المعدلة ،
وتنبين كم بينك وبينهم من آحاد طويلة ومسافات واسعة .

من مطولات صبرى قصيدة (فرعون وقومه) وقصيدة في رثاء أمين فكرى
باشا ، وأخرى في (مذهب هالى) وقصيدة في تنوير السلطان حسين ، وقصيدته المشهورة
(لو أن أطلال المنازل تنطق) وأنا لبادئون بقصيدة فرعون وقومه ، قال :

لا القوم قومي ، ولا الأعوان أعوانى	إذا ونى يومَ تحصيل العلا وانـ
ولستُ إن لم تؤيدنى فراعنة	منكم بفرعون عالى العرش والثـانـ
لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً	فأؤه العذب لم يخلق لـكـلـانـ
ردوا الهجرة كدّاً دون مـوردهـ	أو فاطلبوا غيره ريكاً لظلمـانـ
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكمو	لانتركوا بعدكم فخرأ لانسانـ
أمرتكم فاطيعوا أمر ربكمو	لا يثن مستمعاً عن طاعة ثانـ
فالملك أمره وطاعاته تسابقه	جنباً لجنب الى غايات احسانـ
لا تتركوا مستحيلاً في استحالته	حتى يـمـيط لكم عن وجه إمكانـ

يسوق صبرى هذه الأبيات على لسان فرعون الى قومه يستعظم بها على بناء
الأهرام وإقامة الآثار العظيمة التى نشاهد اليوم بقاياها أو نقرأ أخبارها ، وهى كما
ترى من الشعر القصصى المطلق أى الذى لا يرجع الى أصل معروف . ولا يتقيد فيه
الشاعر بفرض خاص أو صورة بعينها ، ومع هذا فانت لا تجد أثراً لعبقرية صبرى
في هذه الأبيات بل أنت تراه شاعراً متواضعاً يتناول أغراضه من أقرب مكان ،
ويسوق شعره فى غير ما تأق ولا افتنان ، وانك لتراه الى ذلك قليل التحفظ ، بعيداً
عن الاحتراز . وهذا قوله (تحصيل العلا) أنجد فيه تلك الروعة التى تحب أن تراها فى
شعر أمثاله من المبرزين ؟ إن كلمة تحصيل لا عهد لها بهذا النوع من الشعر ، وهى
وإن كانت سليمة من جهة اللغة ، فإن للشعر لغة خاصة ، ولو أنصف صبرى
لترك الكلمة لكتاب الدواوين وعمالها من جماعة الجباة والمحصلين ، ولا بقاها
شركة بينهم وبين طلبة العلم وتلاميذ المدارس ، فما هو إلا تحصيل المال أو العلم ،
ومتى غلب الاستعمال على كلمة تغير حكمها أو كاد يسكون كذلك . ولشاعر قديم فى
الباب الثانى :

أكرموا العلم وصونوا أهله عن جهول حاد عن تبجيله
 إنما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله
 حُصِّلَ الشيء لغة 'جمع ومُتَّبِعٌ ، واليك أمثلة من أشعار المتقدمين تبين لك
 كيف ، وفي أي الأغراض ، كانوا يستعملون هذه الكلمة : قال البحتري في
 المعنزة بالله :

إذا حُصِّلَتْ عُلْيَا قريش تناصرت مآثره في نفرهم ومناقبه
 وقال أبو تمام :

لَقَدْ دُرْتُ مِنْ شِمِّ كَأَنَّ سُبُورَهَا يُقَدِّدْنَ مِنْ شِمِّ السَّحَابِ الْمَرْزَمِ
 لو فلتُ حُصِّلَ كلها في حاتم أو بعضها ، لدعيتُ دافع صغرم
 وقال الأبيوردى :

وإذا معدتُ حُصِّلَتْ أنسابها فهم الذرى والجوهر المتخير

ليس في هذه الأمثلة شيء من تلك الصورة النافرة التي وقعت في شعر صبرى ،
 وانك حين تنتقل معي إلى البيت الثاني من قصيدته لترى أنه لم يقل شيئاً ، فإن العامة
 من الناس ليعرفون أن الملوك بالشعوب ، فليس لواحد منهم في ذاته حول ولا طول ،
 وهل قال صبرى على لسان فرعون إلا ما قال ذو القرنين في قصة بناء السدة
 (فاعينوني بقوة) ؟ وما ذا ترك الشاعر لفرعون بعد قوله في هذا البيت — إن لم
 تؤيد فراعنة منكم — ؟ لقد نَمَّ المماثل بهذا الوصف بين فرعون وقومه ، أو بينه
 وبين رعاياه ، وما كان فرعون ليقول مثل هذا ، فأما قول الشاعر في البيت الثالث
 إن ماء النيل لم يُخْلَقْ لكسلان ، فوصف عام لا معنى لأن يقصر على النيل
 أو على سواه ، وهل في هذا الكون من شيء صغيراً كان أو كبيراً إلا وقد خُلِقَ
 لذى الهمة والمقدرة من هؤلاء العالمين ؟

يقول صبرى في البيت الرابع على لسان فرعون لقومه : إن كنتم من السكالي
 العاجزين فدعوا ماء النيل لا تقربوه ، واهلوا فاصعدوا إلى المجرة تتخذونها مورداً
 لكم ، أو اطلبوا السكم مورداً آخر سواه . هذا ما يقوله صبرى في البيت الرابع
 فهل ترى هذا مما يستقيم في العقول ، أو يتألف حتى في موضع التباين من النفوس
 والطباع ؟

أما والله لو قالها شاعر آخر غير صبرى لحققنا صادقين أنه يجهل أن مكان الهجرة
في السماء ، وهل في الهجرة ماء ، أم كان فرعون من الشعراء ١٢ قال في البيت الخامس :
وابنوا كما بنت الأجيالُ قبلكمو لا تتركوا بعدكم فخراً للإنسانِ
الشرط الأول من قول الشاعر

بنى كما كانت أوائلنا تبني ، وتعمل مثل ما فعلوا
والثاني من قول الشريف الرضى :
من معشر أخذوا الفضلى فتركوا منها لمن يطلب العلباء مُتركا
وللشريف في هذا المعنى :
لهذه كان الزمان ينتظر لم يبق من بعدك للمجد وطر
وقال صبرى :

أمرتكم فأطيعوا أمر ربكمو لا يثن مستمعا عن طاعة ثان
بين هذا البيت والبيت الثاني تناقض بين وتخاذل معيب ، فهناك يقول فرعون
لقومه إنه ليس بفرعون العظيم السلطان ، العالى العرش والشان ، إن لم يطيعوه
ويؤيدوه ، وهو يقول هنا ، أمرتكم فأطيعوا . . . وليس هذا فحسب ، انه
ليقول : فأطيعوا أمر ربكم ، ثم يحذرهم بعنف ، ويتوعدهم في صلف وكبرياء
(لا يثن مستمعا عن طاعة ثان) ! ان هذا لفرعون آخر غير ذلك ، بل ان صبرى
عن هذه الأبيات لغائب ، قال :

فالملكُ أمره وطاعاتُ تسابقه جنبا لجنبه إلى غايات إحسانه
لم يقل شيئا ، فهذا هو نظام الملك منذ كان الملوك وكان الناس ، وهذا أبو تمام
فانظر ما ذا يقول في الواثق بالله :

تدعى بطاعتك الوحوشُ فترعوى والاسدُ في عريشها فتدبرُ
فأمّا قوله في البيت الأخير ، لا تتركوا مستحيلا إلى آخره ، فمن الصُّور
الضخمة في ذاتها ، ولكنه لا شيء من جهة الفن ، ومن آثار عبقريته في هذه
القصيدة قوله :

مقالة قد هوت من عرش قائلها على مناكب أبطال وشجعان

غير أنك إذا نظرت الى هذا البيت على حدة ، ولم يكن لك علم بالغرض الذي نظم فيه ، كان لك منه صورة أخرى ، فأنت تبتذر لا تشك في أن هذه المسألة كانت حصصاً على الحرب والقتال ، وليست (المناكب) هنا بمانعة . فهي كما تحمل الحجارة للبناء تحمل السيوف الى حومة النزول وساحة المهيحاء ، قال :

مادت لها الأرض من دعرٍ ودان لها ما في المقطم من صخرٍ وصوانٍ
لو غيرُ فرعونَ الفاها على ملأٍ في غير مصر لعُدَّتْ حلمٌ يقظانٍ
لكنَّ فرعونَ إن نادى بها جبلاً لبَّتْ حجارتهُ في قبضةِ الباني
في هذه الأبيات قوة الشعر ، وبراعة الشاعر ، ولكن قوله (حلم يقظان) في البيت الثاني مما يتشبه عليه حكم النقد ، وإن خيل اليك أنه توسعة في اللغة ، انها بصورة شاذة نحاول أن تعطيك معنى الأمانى المستحيلة ووصفها فتفضح نفسها ، وتربك من ذاتها لوناً عجيباً من ألوان المحال ، وفي هذه الصورة شيء آخر ، هو أن الأحلام على إطلاقها ليست من نوع هذه الأمانى الكاذبة ، فقد ورد في الأثر ان الرؤيا الصالحة جزء من الوحي ، ولك بما أثبتته العلامة ابن خلدون في مقدمته وعرفه الناس من أمر هذه الأحلام غناء ، وهذا شيخ المعرّة يقول :

إلى الله أشكو أننى كلَّ ليلةٍ إذا نمتُ ، لم أعدم خواطرَ أوهامٍ
فإن كان شرّاً ، فهو لا بدّ واقعٌ وإن كان خيراً ، فهو أضغاثُ أحلامٍ
ودع قوله (خواطر أوهام) فتلك سحابة ، وهذا وأبو تمام على ما تعلم من شأنه وعلى أنه جعل للامام ماء فقال :

لا تسقني ماء الملام ، فأننى صبّ قد استعذبتُ ماء بكأى
لم يجترئ على الأدب فيقول (حلم يقظان) وهو يذكر طلوع الشمس والليل راغم ، قال :

أما إنه لولا الخليطُ المودعُ ورُبَّ خلا منهُ مصيفٌ ومربعُ
لُذتْ على أعقابها أريجبةٌ من الشوق ، وأديها من الدمع مترعُ
لحقتنا بأخراهم ، وقد حوّم الهوى قلوباً عهدنا طيرها وهى وقّعُ
فرُدتْ علينا الشمس ، والليل راغمُ بشمسٍ لهم من جانبي الخدر تطلعُ

نضاضوة عاصبتج الجنة، وانطوى ليهجنها زوبُ الظلام المحزج
فوالله ما أدري، أحلامُ نائمٍ المئت بناء، أم كان في الركب (يوشع) ؟
وصدق أبو تمام إذ يقول في غير هذه القصيدة (وأخو الكرى لو لم ينم لم يحلم)
وليس يصح الاحتجاج بقوله :

أيقظت هاجهم ، وهل يغنيهم سهرُ النواظر ، والعقولُ نيامُ ؟
وبعد ، فقد أخذ صبرى هذه الصورة من قول أبي جعفر الأعمى ، قال :
كم مقلّة ذهب في النى مذهبها بنظرة هي شأن ، أو لها شأن
رهن بأضغاث أحلام ، إذا هجعت وربما حلت ، والمرء يقظان
أما محصل المعنى في البيت الأول والثالث ، فينطوى في قول المعري :

وأقسم لو غضبت على ثبير لأزعم عن محلتي ارتحالا
قال شاعرنا :
وآزرتة جماهير نسيل بها بطاح وإد بماضى القوم ملآن
صرف جماهير للضرورة ، وأخذ من قول الأول (وسالت بأعناق المطى الاباطح)
وقال :

ويشبهون إذا طاروا إلى عمل جنّا نظيرُ بأمر من سليمان
براً بذى الأمر ، لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خلقوا طلاباً إتقان
يشبه قوم فرعون بالجن ، وليس هذا بالجديد ، فقد تنازع الشعراء هذا التشبيه ،
واستفاضت أقوالهم فيه ، فمن ذلك قول عنتره :

لا أبعد الله عن عيني غطارفة إنسا اذا نزلوا ، جنّا اذا ركبوا
أما قوله في البيت الثانى (برّاً بذى الأمر ... الى آخره) فيمحو كل المحو تلك
الصورة التى صدر بها قصيدته ، فقد جعل فرعون يفرق في استغزاز القوم وإحراجهم
حتى لقد كاد يطردهم من مصر ويحول بينهم وبين ماء النيل ، فإذا جرى حتى جردهم
من الخوف والطمع ، ووضعهم في هذه المنزلة من البر والطاعة ؟ لسا بسبيل
الحقائق التاريخية التى اضبطها الشاعر في قصيدته ، وانما نحن في مقام الابانة عن
هذا العيب الفنى الكبير ، وفي هذا البيت الهادم لصدر القصيدة تمسف شديد

من حيث الصناعة ، فقد تم المعنى في الشطر الأول منه ؛ إذ قال الشاعر (برآ بذى
الامر الى آخره) فلم يبق من مكان لقوله في الشطر الثانى (لكنهم) . وثم عيب آخر
هو ذكر الالتقان في البيت وما هو بسبيل منه ؛ إنه لكما تراه لامطمئن الموضع ،
ولا متصل السبب ، قال :

أهرامهم تلك ، حىّ الفنّ مُتخذاً من الشُّخُور بُرُوجاً فوق كيوانـ
لم يأخذ الليلُ منها والنهارُ سوى ما يأخذُ النخلُ من أركانـ نهلانـ
كانها ، والعوادى فى جوانبها صرعى ، بناءً شياطينَ لشيطانـ
فصغّرت كلّ موجودٍ ضخامتها وغضّ بنيانها من كلّ بفيانـ
كانما هى ، والأقوامُ خاشعةٌ أمامها ، صحفٌ من عالم ثانـ
إنّا نحى الفن مع الرئيس المكرّم ، ونستأذنه فى إيراد بعض الشواهد على أن ما
وصف به بناء الأهرام ، وأنها كالبروج المنيفة على كيوان ، ليس من المبالغات المحترقة ،
وأن الشعراء لم يغادروا كما يقول غنّرة من مُتردّم فى هذا الباب ، وهذا ما يقوله
الشرىف الرضى :

بنوا فى بفاعِ المجد ، وهو ممنعٌ ربّنى طيرُها بين النجومـ وقوعٌ
وأشد من هذا إغراقاً قول السموأل فى الأبلق الفرد :
لنا جبلٌ بحتلُهُ من بُحيرُهُ منبعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلٌ
دسا أصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلٌ
بل هذا هو الفردق يجرى فى هذا المضمار الى أبعد غاية فيقول :
انّ الذى سَمَكَ السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
يقول صبرى فى البيت الثانى ان الليل والنهار لا يأخذان من الأهرام إلا ما يأخذ
النخل من جوانب نهلان ، وهو أحد الجبال العظام ، وهذا ولا ريب نخل المتنبي الذى
يقول فيه :

أحبك ، أو يقولوا جرّ نخلٌ ثبيراً ، وابنُ إبراهيمَ ريعا
فى البيت الثالث صورتان : الأولى سقوط العوادي صرعى فى جوانب الأهرام ،
والثانية أنها تشبه بناء الشياطين لبعض اخوانهم الشياطين ، وليس بين الصورتين من
صلة ، ومن شأن أداة التشبيه التى نوهم وجود هذه الصلة أن تزيدها تناسلاً وبعداً .
وفى معنى الصورة الاولى يقول البحرى :

رَدَّ الحوادث ملقاة أوائلها على أواخرها ردعاً وإيقافاً
وفي معنى الصورة الثانية يقول ابن المعتز في قصر ، وفيه زيادة ظاهرة :
فليس له فيما بنى الناس مُشَبِّهٌ ولا ما بناه الجنُّ في سالف الدهر
بل لقد قال شاعر قديم في وصف بعض الأبنية ، ولعله الغاية في هذا الباب :
عالٍ كأنَّ الجنَّ إذ مردتْ جعلته مِرْقاةً إلى النسر
فأما البيت الرابع فقد قال عبيد بن الأبرص في معناه :

لا يبلغ الباني ولو رَفَعَ الدعامَ ما بنينا

وقال جرير :

ورأيت أبنية خوت وتهدمتْ وبناء عرشك خالدٌ لم يُهدم

يصف شاعرنا ما يأخذ النفوس من الخشوع أمام عظمة الأهرام وجلالها ، حتى
لكأنها صحف من عالم آخر غير عالمنا هذا ، وهو وصف يبلغ يجعل كل خشوع
في هذا الباب أو سواه مما يقاربه أو يتصل به مجرداً عن هذه الصورة الفخمة ، واليك
صورة من هذا الخشوع المجرد لتعرف ما بين الصورتين من التفاوت ، قال
الشريف الرضي :

قد مررنا على الديار خُشوعاً ورأينا البنى ، فأبى الباني ؟

هذا شيء آخر وإن كان المقام واحداً ، وإنك لتلمح نوعاً من الشبه بين بيت

صبري وقول بعضهم :

هم يهلكون ، ويبقى بعضُ ما صنعوا كأنَّ آثارهم خُطَّتْ بأفلام

قال :

أين الألى سجَّلوا في الصخر سيرتهم وصَفَّروا كلَّ ذى مُلكٍ وسلطانٍ ؟

بادوا وبادت على آثارهم دُولٌ وأدرجوا طيَّ أخبارٍ وأكفانٍ

وخلفوا بعدهم حرباً مغلَّدةً في الكونِ ما بين أحجارٍ وأزمانٍ

وزُحِزَّحوا عن بقايا مجدهم وسطاً عليهم العلمُ ، ذاك الجاهلُ الجاني

ويُلِّ له ، هتَكَ الأسرارُ مُفتحةً جلالَ أكرمِ آثارٍ وأعيانٍ

للجهل أرجح منه في جهالتِهِ إذا هما وُزِنَا يوماً بميزانٍ
 في هذه الآيات البليغة من العظة السكونية العامة ما يذهب في النفس البشرية
 إلى أعماق غور وأبعد قرار، وفيها من تصوير مجد الفراعنة والننويه بآثارهم،
 وذمّ العلم وهو يتهم على تلك البقايا الغالية والذخائر الثمينة وينهك محارمها في غير
 تعفف ولا وفاء، ما يُريك صورة الفن الشعري في تسلطه قضايا التاريخ وأحكامه،
 وحقائق الحياة وأوهامها، إنَّ لك في هذه القطعة وحدها لعالمًا غير محدود من
 العبر والعظات، وانك حين تتأملها لترى الرئيس صبرى وقد برزت لك في تاجها
 الرفيع، وعلى عرشها الذهبي المسكين، تكتب لدولة الفراعنة ولغيرها من الدول العظيمة
 كلمة الرثاء في جبين الدهر، وتضع في فمه أنشودة الحياة الكبيرة، وتحية العظمة
 البالغة، يرددها الفرعون وقومه، ولمصر العظيمة ونيلها، أمّا العلم — ذاك
 الجاهل الجاني — فانظر اليه وهو يحترقه ويحرض التاريخ عليه، ثم انظر في ناحية
 أخرى ترّ الجهل البريء يرفع رأسه، ويشير إلى خصمه العلم، والشهادة ملء عينيه
 وفمه، إشارة الذي يقول: هل فهمت؟

وبعد، فقد بالغ صبرى كثيراً وهو يقول في البيت الأول عن الفراعنة (وسفروا
 كلّ ذى ملك وسلطان)، وإنَّ للدول الإسلامية لحقاً كبيراً في ذمة التاريخ
 والأدب، وخير ما يُفسر به هذا القول أنه خاصٌّ بالدول المعاصرة للفراعنة،
 أو ما كان منها بعد ذلك إلى العصر الإسلامي العظيم، فأما ما ورد في البيت الثاني
 عن زوال الدولة الفرعونية وما بعدها من الدول نبعاً لتقلب الدهر وجرياً على سنة
 الوجود فما لا يكاد يستوفي كثرة وانتشاراً، ومنه قول الشريف الرضى:

درجوا كما درج القرون وعلمهم أن سوف يُحجر آخره عن أوّل
 وقال المتنبي:

أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه، ما يومه، ما المصرع؟
 وهى الدنيا التى يقول فيها المعرى:

ما نال فرعون بها نعمة ولا صفا عيشه لموسى الكليم
 وكقول صبرى في هذا البيت (وأدرجوا طيَّ أخباره وأكفانه) قول المعرى:
 جمال ذى الأرض كانوا في الحياة، وهم بعد المات جمال الكتب والسّير

وفي معنى ما يقوله عن العلم والجهل يقول أبو العلاء :

إذا علمى الأشياء جرّاً مضرّةً إلى فإنّ الجهل أن أطلب العلماء
ومما يتصل بهذا الباب قول بهاء الدين العاملي في من يجمع الكتب ولا يستفيد
من قراءتها :

لعمري قد أضلّتك الهداية ضلالاً ما له أبداً نهاية
فأُنَجّي النجاة من الضلالة ولا يثنى الشفاعة من الجهالة
وبالارشاد لم يحصل رشادٌ وبالتبيان ما بان السدادُ
يقول صبرى في البيت الأخير من هذه القطعة :

ويُلبّ له هتك الأستار مقتحماً جلال أكرام أثاره وأعيان

وليس هذا بصحيح على إطلاقه فما كانت ذخائر القرائنة وأجسادهم في مثل هذه
المنزلة التي تفوق كلّ منزلة أخرى ، ولسنا ننكر مع كلّ هذا أن قصيدة (فرعون
وقومه) ستنقى من الآثار البديعة والذخائر الغالية في عالم الشعر والأدب .

رثاء أميه فكرى باشا

وهبتك يادهرُ من تطلبُ أبعدَ أمينٍ أخٌ يُصحبُ !
طوبتُ المودّةَ في شخصه فأى ودادٍ امرئٍ أخطبُ ؟
وأىّ بديلٍ له أرتضى وأىّ شمائلٍ أُنَدبُ ؟
أمينُ انتد في النوى ، وارعى فبينى وبينك ما يوجبُ
انذكرُ إذ أنت منى النّياط من القلب ، أو أنت لى أقربُ ؟
وإذ نحنُ هذا لهذا أخٌ وهذا لذا ابنٌ ، وهذا أبٌ ؟
ومن قال عنا من الناظرين ندبنا جُذيمةً ، لا يكذبُ
حسبتُ بأنّك لى خالده فكان الذى لم أكن أحسبُ

ليس في هذا الشعر من دلائل الفحولة وشواهد العبقرية ما يأخذ النفس ، أو
يزيد شيئاً جديداً في الفن : فأنت ترى صبرى في هذه القطعة يرسل القول على هين
وكانه يقصُّ عليك حديثاً أو يطلعك على ذات نفسه في صورة مردّة من قديم

الرثاء وجديده ، وأريد هذا الجديد الذى تراه ممسوخاً وتزعم به مهدماً لا يعينك منه سوى أن تجاوزه وأنت فى حافية من بلائه . يقول صبرى فى مطلع قصيدته (وهبتك يا دهرُ من تطلب) فهل لهذا من معنى فى مقام الرثاء ؟ وهل ترى بين هذه الصورة الجامدة وبين ما بعدها من الصور الباكية التى تتمثل لك فى هذه القطعة من تعاون أو الثنাম ؟ يهب صبرى للموت من بحب فى هدوء شامل وسخاء عظيم وهذا الشريف الرضى يقول فى رثاء أمه :

لو كان يدفعُ ذا الحمامُ بقوةٍ لتكدست عُصَبُ وراءِ لوائى
بمدرَّينَ على القراعِ تفيأوا ظلَّ الرِّماحِ لكلِّ يومٍ لقاء
وانظر الى المتنبي وهو يتحدث بأخذ النار من الحى فى موت أمه فيقول :
هبنى أخذت النار فيك من العدى فكيف بأخذ النار فيك من الحى
ولعلَّ الأصل فى هذه الهبة المعدول بها عن وجهها قول أبى تمام :

قصبتُ نحوه المنية حتى وهبتُ حُسنَ وجهه للترابِ
فأما قوله فى البيت الثانى (طويت المودّة فى شخصه) فشبيه بقول البحتري فى وصيف التركي :

فيا لك من حزمٍ وعزمٍ طواهما جديداً الردى تحت الصفا والصفائح
ومنه قول الشريف الرضى يخاطب القبر :
لم يواروا فيك ميثماً ، إنما أفرغوا فيك ذنوباً من نوال
وقوله وهو أفخم :

اليومَ انعمتُ المهتدُ فى الثرى ودفنتُ هضبةً متالعٍ ويَلعلم
وليس لقوله فى السطر الثانى من البيت (فائىُّ وداد امرئٍ أخطب) أى شجاع
فئىء بل هو يكاد يعدّ اليوم من كلام العامة وأشباهم ، ورحم الله الشريف الرضى إذ يقول :

فى كلِّ يومٍ مودّاتٌ مطلقةٌ قد كان زوجنيها الدهرُ مغروراً
يقول صبرى فى البيت الثالث (وأىُّ شمائله أندب) ويقول الشريف الرضى :
أبكى نداءُ العريضِ أمَ بَشْمَةِ اللا معَ للمعتفين ، أم وَرَعَةٍ ؟

ويقول صبرى فى البيت الرابع (أمين انشد الى آخره) وهو معنى من قول الشريف الرضى فى رثاء بعض أصدقائه :

ولقد حفظتُ له ، فأبْنِ حفاظه ؟ ولقد وفيتُ له ، فأبْنِ وُفاؤه ؟
فأما قوله :

أتذكر إذ أنتَ منى النياط من القلب أو أنتَ لى أقرب ؟
فن قول الشريف الرضى فى رثاء :

أعزُّ على عيني من العينِ موضعاً والطفُ فى قلبي من القلبِ موقعا
وقوله فى رثاء آخر :

يا ثانياً للنفس بل يا ثالث المينين عزاً

فأما قول الرئيس فى البيت السابع إنه كان صاحبه كندى جديمة فأخوذ من قول الشاعر :

وكنا كندمانى جديمة حقة من الدهر حتى قبل لن يتصدعا
قال الرئيس :

حسبتُ بأنك لى خالد فكل الذى لم أكن أحسبُ

يقال حسبتُه وحسبتُ أنه ، فلا محل للباء فى قوله (بأنك) ، وغريب أن يظن صبرى أو يحسب أن صديقه بنجوق من الموت فلعله أراد أن يقول كما قال الأول :

لقد كنتُ أرجو أن أملاًك حقة خال قضاء الله دون رجائيا
أو لعله نظر الى قول الشريف الرضى فى رثاء الملك قوام الدين :

وما كنتُ أدري أن فوقك أمراً من الدهر يدعو بغته فتطيع
وأنجب من هذا قول المتنبي :

ألا انما كانت وفاة محمد دليلاً على أن ليس لله غالب

قال صبرى :

أفى ذا الشباب وهذا الاله اب يموت الفتى الطاهر الطيب ؟

ويؤدى الذكاء ، ويقضى الوفاء وتردى الفضيلة أو تعطب ؟

عجيبٌ من الموت أفعاله وعتي على فعله أعجبُ
 بهذا حكم الله في خلقه لكل امرئ أجلٌ يُكتبُ
 ينقجع الرئيس لموت الفقيد في شبابه ، ويكي فيه الذكاء والوفاء والفضيلة ،
 وما هي بشيء آخر فيكون لنا من ذكرها صورة جديدة قائمة بذاتها ، فأما في
 المعنى الأول فيقول أبو تمام :

إنَّ الفجيعة بالرياض نواضراً لا شدَّ منها بالرياض ذوابلاً
 ويقول الشريف الرضي :

طوبتك على البرِّد لم يُنص من بكى وقد يُغمدُ المطرورُ وهو صنيعُ
 ولسنا نتكلف ايراد الشواهد على كثرة ما قيل في الباب الثاني ، فهو كل ما يقال
 في الرثاء ، فأما قوله في البيت الثالث إنه يعجب من (أفعال) الموت ، ويرى أن
 عتبه على (الله) أعجب ، فأنت أذكي من أن ندلك على ما في (أفعاله وفعله) من
 العجب ، والمعنى مأخوذ من قول الفطمش الضبي :

أخلاقى لو غير الحمام أصابكم عتبتُ ، ولكن ما على الموت معتبُ
 بهذا حكم الله في خلقه لكل امرئ أجلٌ يُكتبُ
 صدق صبرى وصدق الشيخ أبو الغناحية إذ يقول (وإن لكل ذي أجل كتاباً)
 وإذ يقول :

كلُّ نفسٍ ستوافي سعيها ولها ميقاتٌ يومٍ قد وجبُ
 ولم تضنَّ على الخنساء بالتحية وقد قالت :
 أبكى فتى الحى نالته منيته وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدارٍ
 إرعى الرئيس بعد طول التفجع إلى حكم الله وسنة الحياة فأشبهه مسلم بن الوليد
 إذ يقول في يزيد بن مزيد :

أحقاً انه أودى يزيدُ ؟ تأمل أيها الناعى المشيدُ
 أحمى المجد والاسلام أودى فما للأرض وبحك لا تمدُّ ؟
 أما والله ما تنفك عيني عليك بدمعها أبداً تجودُ

أبعد يزيد تختزنُ البواكي دموعاً ، أو تصان لها حدود ؟
 لتبلك قبة الاسلام لما وهت أطنابها ، وهوى العمود
 فان يهلك يزيد ، فكلُّ حيِّ فريس للمنيعة ، أو طريد
 قال صبري :
 وجدتُ الحياة طريق المات وكلُّ الى حتفه يسرب
 ويعثر فيه الفتى بالشباب ويدلف بالعله الأشيب
 فاما ان الحياة طريق المات ، فقد قال السموال :
 ميتاً خلقت ، ولم أكن من قبلها شيئاً يموت ، فت حين حيث
 وقال الشريف الرضى :
 بقاء الفتى مستأنف من فنائمه وما الحى الا كالمغيب في الرس
 وأشد من هذا ابانة عن المعنى قول البحري :
 أجاورتنا من يجتمع يفرق ومن يك رهنا للحواس يغلق
 وأوضح منه قول المعري :
 إن شئت أن تكفى الحام ، فلا تمش ان الحياة الى النيّة سلّم
 بل نحن ندع هذا السلم لنلتقى وشاعرنا الكبير في طريق واحد ، قال المعري
 يخاطب الدنيا :
 وجدناك الطريق الى المنايا وقد طال المدى ، فتى مجوز ؟
 وأما موت الشباب ، وبقاء الشيب فكثير ما قيل فيه ومنه :
 يرجو الأب الطفل الصغير وطالما هلك الوليد ، وعاش فينا الوالد
 وقال بعضهم :
 كم عوجلت عادة كعاب وغودرت أمها العجوز
 والأصل في هذا الباب قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :
 رأيت المنايا خبط عشواء من نصب نمته ، ومن تخلفه يعمّر فيهرم
 قال صبري :
 لكما تكامل نور الأمين وناء به الشرق والمغرب

ووفى المكارم ما أمّلت وأعطى الفضائل ما تطلب
 ودان له أمل في الحياة وتم له في العلى مأرب
 ملواه الزدى علماً فانطوى به أمل مقبل نرب ١
 عاد الشاعر الى التفعج بعد ذلك الارعواء ، وفي هذه القطعة تقليد ناطق لقول
 أبي تمام في أحمد بن هارون القرشي :

أفلساً تمرّبل المجد واجنا ب من الحد أبنا مجتاب
 ونزافته أعين النظار به قرأ باهراً وربال غاب
 وعلى عارضيه ماء الندى الجا رى زوماً الحجي وماء الشباير
 أرسلت نحوه المنيّة عيناً فطعت منه أوثق الأسباب ٢
 قال صبرى :

فيا نائياً والهوى ما نأى وذكره في البال لا تمزب
 هنيئاً لداره تيممتها لقد زارها الملك الأطيب
 وجاورها كثر من خلائك خلوا مع الخلد مستعذب
 تنمّت فيها، وخلصتني لدى منزل يرفقه خلب
 وداد الصديق به حول وقلب الصديق به قلب
 وصعب على الحرّ فيه المقام ولكن هجرانه أصعب

نأى أمين فكرى ، وما نأى هواء عن صبرى ولا عزبت ذكراه عن باله ولوشنا
 أن نسوق اليك أسراباً متلاحقة من أشباه هذه الصورة ونظائرها لفعلنا ، فحبك
 منها قول أبي تمام :

لها منزل تحت النرى وعهدتها لها منزل بين الجوانح والقلب
 وقوله (قالوا وشوقك لم يظعن ولم يبن) وقول الشريف الرضى :

شوق أقام وأنت غير مقيمة والشوق بالكيف المعنى أعلق

فأما قول صبرى (هنيئاً لداره تيممتها) فلا طائل تحته وهو معنى من قول
 أبي تمام :

بات الثرى بأخى جذلان مبنهجا وَيَتَّ بِحَكْمُ فِي أَجْفَانِي السُّهْدُ
وانك لى غَتْنى عن إيدانك بما فى البيت الثالث من الاضطراب وشدة القلق ،
وأما قوله (تَنَعَّمَتْ فِيهَا وَخَلَّفْتَنى ، إلى آخر البيت) فن الصَّوَر التى تناولها
الشريف الرضى فى قوله :

يفوز بالراحة الفقيدُ وللفا قدر طولُ العناء والتعب

نتخطى البيت الخامس الى ما بعده ، وهو الذى يقول صبرى فيه إن الحياة فى
هذه الدنيا ثقيلة على الحرِّ ، ولكن الموت عليه أثقل ، وهذا وصفٌ عامٌّ يتمشى
على الناس كافةً ، فلا معنى هنا للتخصيص والحصر ، (تعبٌ كل الحياة ...) . قال
عمران بن حطَّان فى الدنيا :

أرى أشقياء الناس لا ينامونها على أنهم فيها عُرَاءٌ وَجُوعٌ أ

لا ، فتلك فضيَّة لا تُؤخذ إلَّا من فم المعرَّى ، ومنه أخذ صبرى ، قال :

وجدنا أذى الدنيا للذيذا كأنها جَنَى النحلِ أصنافُ الشقاء الذى نجى

فما رغبت فى الموت كدَّرَ مسيرها الى الورْدِ خمسٌ ثم بشر بن من أجبر

ولا فلقاتُ الليلِ باتت كأنها من الأيْن والادلّاج بعضُ الفناء الدنـ

وخوف الردى آوى الى الكهف أهله وعلم نوحاً وابنه عملَ السُّفنـ

قال صبرى :

ويا توبةَ حَلَّ فيها الأُمِينُ لأنْتَ الفراديسُ أو أخصبُ

حُبِسَتْ على رحمةِ الرحيمِ وجادك رضوانه الصَّيْبُ

ولا زالت السحبُ منهلةً وأنت لاذيلها مَسْحَبُ

وَرَوَّكَ منى دموعُ نيلٍ تخامرها مَهْجٌ نَكْبُ

ليس فى تشبيه القبر بالروضة شىء جديد ، فالمرأى حافلة بهذا ومنه قول الشريف
الرضى :

وان ضرائحك فى الصعيد لتكسو الخبيث من الأرض طيبا

وقوله فى قبر ابن الطائع لله ، وفيه صورة أخرى ولونٌ مزيدٌ :

منهلُ الجناتِ تضحك أرضه فكان بين فروعها الجوزاء

ويقول أبو تمام :

مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضةٌ غداة ثوى الا اشتت أنها قبراً
والغابة في هذا الباب قول المتنبي :

وما ريجُ الرياض لها ، ولكن كساها دفنهم في الأرض طيباً

يدعو صبرى لتربة الأمين بسقيا السحب ، فمن يصدق أن هذا من قوله ؟ وماذا
تصنع السحب بالقبور ؟ ياله من تقليد جاهل لا يكاد يرحم الأدب ، ولا أدري كيف
نقيد الشريف الرضى في القرن الخامس من التاريخ الهجرى بهذا المذهب فكثر
من طلب السقيا للقبور ، ومنه قوله :

سقاك وإن كنت في شاغلٍ عن الرى داني الندى صائبٌ
وقوله :

أخلأى لا زال جمُّ البروق أجشُّ الرعودِ يطبعُ الجنوبا
يشقُّ المزادَ على مُزبكم ويمجى على كلِّ قبرٍ ذنوبا
وقوله :

أرمتي النسيمُ بواديكم ، ولا برحت حوامِلُ المزن في أجداثكم تضعُ

بقي أن نحكم حكماً عاماً على هذه القصيدة فنقول في غير مداراة ولا مصانعة إنها
ليست من الشعر المأثور ، وإنها قصيرة العمر قريبة مدى البقاء في عالم الأدب الحى ،
ومن عيوبها أنها لا تعطى القارئ صورة واضحة عن الفقييد ، فهي مأتم يفزعك
ما تسمع فيه من شدة الصخب والضجيج ، ولكنك لا تعرف عن الميت الا انه
صديق عزيز ، وانه كان ذكياً وفياً ، تكامل نوره ، فتاه به الشرق والغرب ، وقى
المكارم حقها وأعطى الفضائل طلبتها ، كان عالماً فأنتطوى ، وانطوى فيه أمل : هذا
هو أمين فكرى في قصيدة الرئيس . وقد يُردّ كل ما عزى اليه من الفضائل في
ظلمة هذا الغموض الى المبالغات الشعرية فلا يبقى الا انه صديق عزيز وأخ للشاعر
كریم ، وما أشجى ما يقول الشريف الرضى في فقد الاخوان والاصدقاء :

أحبائي الأذنين كم ألقى بكم داءٌ يمضُّ فلا أدأوى الداء
إلا يكن جسدى أصيب ، فأنى فرقتهُ ، فدفنتهُ أعضاءا

مذهب هالي

مزع العالم كله لما كان يُتوقع من جسام الحوادث حين نزع المهوّلون المزاعم عن هذا المذنب العظيم فلم يكن عجيباً أن يتناول صبرى باشا هذا الحادث الكبير فيخلّد ذكره في قصيدة من شعره الجزل . وانا لبسبيل هذه القصيدة التي تُرينا صبرى الشاعر الكبير ، وصبرى العالم الفيلسوف ، وصبرى الزعيم الداعية ، وصبرى الحائق المتغيّظ ، وانك لترى صبرى الأخير في هذه القصيدة وقد اتّقدت عيناه ناراً ، وتدقّ الغضب من فمه متدافعاً زخاراً ، فتذكر به نوحاً وقوله : (ربّ لا تذّر على الأرض من الكافرين ديناراً ، إنك إنْ نذرتهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً) .

يغضب صبرى في هذه القصيدة غضبه الكبري ، لا متجنباً على العالم وناسه ، ويستنزل الموت والعذاب على هذه الأرض لا لقسوة في طبعه ، ولا لشراسة في احساسه ، ولكنه رأى الأمم تتخذ من أهوائها الظلمة وشهواتها الوحشية الدينئة أوثاناً تعبدّها ، وأصناماً تعكف عليها ، ووجد مظالم البشر ومناكرهم تُنقل ظهر الأرض وتملأ جوانب العالم ، فلا حنان ولا حُب ولا نور ولا جمال ، وهذا ما يصفه في قصيدته ، قال :

غاض ماء الحياء من كل وجه	فقد كالح الجوانب قفراً
وتفشّى العقوق في الناس حتى	كاد ردّ السلام يُحسب براً
أوجّه مثل ما نثرت على الأجر	دائراً وزدّاً إن هُنَّ أبدين بشراً
وشفاه يفتلن أهلاً ولو أديروا	ن ما في الحشا لما قلن خيراً
صمرك الله هل سلام ووداد	ذاك ، أم حاول المسلم أسراً ؟
خميت عن طريقها أم تعامت	أمم في مفاوز الجهل حيرى ؟
غرها سعدوها ومن ماذن السعد	در يُؤاتي يوماً ويخلد دهرها
فنجنت على الشعوب وشتت	غارة في البلاد من بعد أخرى
نسيت في الصعود يوم التذلل	والتذلل بصاعد الجدد مُغزى
تعب الفيلسوف في الناس عصراً	ونوئي السرائر الدين عصراً

والورى طاردٌ اِزاء طريدٍ وَعُقَابٌ يُمسى بطاردٌ صقرا
عَبْرٌ كلها الليالى ، ولكن اِنْ مَنْ يَفْتَحُ الكتابَ ويقرأ ؟
أنت نعم النـذيرُ يا نجم هالى زلزل السَّهْلَ والرواسى ذعبرا
ظنَّ قومٌ فيك الظنون وقالوا آيَةُ ارسلت الى الأرض كُبرى
إن يكن فى بيمينك الموت فافذرف شواطئاً على الخلائق طُرا
أغداً تستوى الانوفُ فلا يند ظرُّ قومٍ قوماً على الأرض شزرا ؟
أغداً يصبحُ الصِّراعُ عناقاً فى الهوى ، وَيَصْبَحُ العبدُ حراً ؟
إن يكن كل ما يقولون ، فاصدع بالذى قد أمرت حيت عسرا ؟

ظهر صبرى فى مواضع كثيرة من هذه القصيدة التى بقيت منها أبيات أخر لم
تتناولها ظهوراً واضح الأثر ، ناطق الدلالة . ولسنا نزعم أنه قضى حاجة الفن كل
القضاء ، وأتى من سعة التصوير ودقة الوصف بكل ما يتطلبه الأدب ، فقد كف
نفسه عن كثير من أطماعها الفنية ، وقنع بالزر اليسير من تمثيل آلام الانسانية
شعنا ، فلولا ما اشتملت عليه القصيدة من جودة النظم ، ولولا ما وعنت من
الحكمة وبراعة الوصف ~~فى باب الأشرار~~ ، لفقدت جمالها ، ووقعت
فى مكان آخر غير مكانها ، وقد يكون هذا حكمها لو لم ~~يجى~~ : ~~للمسألة المحملة~~
فقد عرفنا ان صبرى يعيا بالمطولات ولا يستطيعها ، وليس لما أكره عليه الطبع
من جمال .

لم تخل هذه القصيدة من عيوب فنية ، يتمثل بعضها فى الرجوع الى الشعر القديم
والاستمانة به على تأدية بعض الأغراض ، ويقوم بعضها الآخر فى اغفال ما لا
منه لاصابة الوجه وإقامة المذهب . فن الباب الأول قوله :

غاض ماء الحياة من كُـلِّ وجهٍ فقد كالج الجوانبِ قفرا

وقد تداول الشعراء ماء الحياة فى حالتيه فهو يفيض على ألسنتهم تارة ويقبض
تارة أخرى ، وكذلك هم قد تناولوا خصب الوجوه وجدها ، فأطالوا فى ذلك
وأكثروا . فما قالوا فى ماء الحياة :

كثيرُ حياة الوجهِ يقطر ماءؤه على أنه من بأسه النارُ تلتفحُ ؟

ومن قولهم فى الوجوه الخصبية وهو للخزيمى :

وما الخصبُ للاضياف أن يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريم خصبُ

وقال ابن أبي الهيثم في نقبض هذا المعنى :

لي صديقٌ هو عندي عَوَزٌ من سدادٍ ، لا سَدَادٌ من عَوَزٍ

وجهُهُ يُذكرني دارَ البلى كلما أقبل نحوى وَضَمَزُ

ومن هذا قول الآخر :

لا يعملُ المِبْرَدُ في وجهِهِ وَوَجْهُهُ يَعْمَلُ في المِبْرَدِ !

ومن قول صبرى في باب الرجوع الى القديم :

ونفسي العقوق في الناس حتى كاد رَدُّ السلام يُجسبُ برّا

فان ذاك قول ابن عمار :

تناهينمو في برنا لو سمحتمو بوجهِ صديقٍ في اللقاء وسيم

ويقول صبرى .

وَشِفَاهُ يَقْلَنَ أَهْلًا ولو أَدِيذُ . . . نَ مَا في الحشا لما فلنَ خيرًا

وهو من قبيل قولهم :

يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحاً رو صفروا بي ساعةً قتلوني !

والله من عهله (خيراً) في هذا البيت من عيوب القافية ، وقد نكرر هذا

العيب في قوله :

بَحِيتَ عن طريقها ، أم تعامتُ أمَّمٌ في مفاوزِ الجهل حيرى ؟

وقوله (مفاوز الجهل) في هذا البيت لا يخلو من مطعن ، ففي اللغة على وجه

راجح ان المفازة صفةٌ عكسيةٌ للفلاة المهلكة يُراد بها التفاوض بالنجاة ، وليس المقام

بمحتمل هذا ، ومَرَدُّ الأمر الى فقه اللغة وأدبها ، ومن التعسف اللغوى قوله :

غرَّها سعدُها ، ومن عادة السَّعْدِ دِرْ بؤانى يوماً وبخذل دهرًا

يقال من عادته أن يفعل كذا ، فلا وجه لاسقاط (أن) . قال الشاعر :

أعادَتْها أن لا يعاد مريضُها وسيرْتُها أن لا يُفكَّ أسيرُها

والمواناة لُغَةٌ الموافقة ، فاهى للخذلان بضدِّه ، والمعنى في هذا البيت وقوله :

نِيَيْتُ في الصمود يومَ التَدَلِ والتدلى بصاعدِ الحَدِّ مُغرَى

مأخوذ من قول الشاعر :

ما طار طيرٌ وارتفعَ إلا كما طارَ وَفَعَّ

ومن قول الآخر :

لا يَأْمَنُ قَوِيٌّ نَقَضَ مِرْنَهُ إني أرى الدهرَ ذا نقضٍ وإمرارٍ

ومن الخلل الوصفى قوله (والورى طارد إزاء طريد) فالوجه أن يقال وراءه
لتستقيم الصورة ، وفي هذا المعنى يقول الشريف الرضى :

والناسُ أَشَدُّ تَحَامِيٍّ عَنْ فَرَائِسِهَا إِسْأَعَرْتُ ، وإما كنتَ معقورا
وللمعري في الناس :

هُمْ السَّبَاعُ إِذَا عَنَّتْ فَرَائِسُهَا فَإِنْ دَعَوْتَ خَيْرَ حَوْلُوا مُجْرَأًا
وله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَهْرَبْ مِنَ الْإِنْسِ فَأَعْرَفَ بِطُلُسٍ تَعَاوَى ، أو ثعالبَ تَضِجُ
وقال :

وَالْعَيْشُ حَرْبٌ ، لَمْ يَضْعُ أَوْزَارُهَا إِلَّا الْحِمَامُ ، وَكَلْنَا أَوْزَارُ
فأما قول صبرى :

عَبَّرَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْتَحُ الْكِتَابَ وَبِقِرَا

فن الصور القديمة التي يراها الأديب أ كداساً متراكمة في أفنية المدرسة
الشعرية الأولى ، قال عدى بن زيد :

كُنِي زَاجِرًا لِلْعَرَةِ أَيَّامُ دَهْرِهِ رَوْحٌ عَلَيْهِ بِالْعَطَائِ وَتَفْتَدِي
وقال المعري :

إِفْهَمْ عَنِ الْيَافِ ، فَمِى نَوَاطِقُ مَا زَالِ يَضْرِبُ صَرَفُهَا الْأَمَثَلَا
وقال :

وَالدَّهْرُ شَاعِرٌ آفَاتِ بَقْوَهُ بِهَا لِلنَّاسِ ، يَفْكَرُ أَحْيَانًا وَبِرَنْجَلٍ
ومن قوله في هذا الباب :

أَوْ مَا قَرَأْتَ سَجَلًا دَهْرِكَ نَاطِقًا بِالْهُلُكِ ، بِشَكْلِ الْخُطُوبِ وَيُنْقَطُ ۱٢
وقال أبو العتاهية :

إِنَّ الزَّمانَ لِشاعِرُهُ وَخطيبُهُ

قال صبرى :

إِنْ يَكُنْ فِي يَمِينِكَ الْمَوْتُ فَأَقْدِفْهُ شَوْاطِئاً عَلَى الْخَلَائِقِ طُرّاً
أَعْدِئاً نَسْتَوِى الْأَنْوْفُ فَلَا يَنْتَظِرُ فَوْماً عَلَى الْأَرْضِ شِرّاً ؟

كان الخطر المتوقع من ذنوب نجم هالى ، فلا معنى لذكر يمينه أو شماله ، وليس في البيت الثانى أكثر مما قيل قديماً :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ فَمَا تَمَيَّزْتُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْمَوْلَى
وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُعَرِّى :

وَالْمَوْتُ يُسَلِّبُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ شَمِّهِ نَحْتُ التَّرَابِ ، وَمَا فِي الْخَدِّ مِنْ صَعْرِ
وَقَالَ الشَّرِيفُ الرُّضَى فِي الْمَوْتِ :

نَزَلُوا بِقَارِعَةٍ تَشَابَهَ عِنْدَهَا ذُلُّ الْعَبْدِ ، وَعِزَّةُ الْأَحْرَارِ
وَمِنْ الصُّورِ الرَّائِعَةِ فِي قَوْلِ صَبْرِى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

تَعَبَ الْفَيْلَسُوفُ فِي النَّاسِ عَصراً وَتَوَلَّى السَّرَائِرَ الدِّينُ عَصراً

ولكنك اذا عرضت هذه القضية الضخمة على عقلك وانت تنظر الى تاريخ البشر واديانهم وفلسفاتهم لم تجد لها من أثر أمام الحقيقة ، فان الانسان الأول لم يهبط الى هذه الأرض الا برسالة الدين في عنقه ، فالولاية العامة إزاء على هؤلاء البشر لم تكن لشيء آخر سوى الدين في أى عصر من العصور ، ولا يطعن في ذلك ما كان من تلك الفترات التى تخللت بحجى الرسل والانبياء عليهم السلام ، ولست بمنكر لعمل الفلاسفة وأثر الفلاسفة فى حياة الأمم ولكنى أنكر تلك الصورة المحرفة التى توهم التعاقب فى الولاية بين الفلسفة والدين ، وهو ما لا وجود له . وأبدع ما فى هذه القصيدة قوله :

أَوْجُهُ مِنْهَا نَثَرْتُ عَلَى الْأَجْ . . . دَائِرَ وَرْدٍ إِنْ هُنَّ أَبْدِينَ بَشراً !
وقوله :

أَعْدِئاً يَصْبِحُ الصَّرَاعُ عِنَاقاً فِي الْهَيْوَلِ ، وَيَصْبِحُ الْعَبْدُ حُرّاً !

وأنا أرجو أن تكون الصورة التشبيهية فى البيت الأول من مبتكرات صبرى .

ولعل قوله في البيت الثاني (ويصبح العبد حراً) مما يدخل في باب الملحقات التي لا صلة بينها وبين ما هي اليه من الكلام ، وقد اندمج هذا المعنى في قوله (أغدأ تستوى الأنوف ، الى آخره) فلم يبق له من محل ، وقد كان من حق هذا البيت البديع الذي يعدّ من الشعر العلمي ، وهو قليل في آثارنا الشعرية ، أن يأخذ مجراه على هذا النسق الى النهاية ، ولكنّ عين الكمال كما يقول الأقدمون أصابت شاعرنا قائمته بهذه الرقعة التي حجبت وراءها جمالاً كثيراً ، وانك حين تتخيل هذا الصراع البشري العنيف وقد استحال بعد الموت وآثاره عناقساً وضماً والتزاماً بين بقايا البشرية وأنقاضها ، أو بين مادتها المنحلة وجوهرها الدائب المتناثر ، إنك حين تتخيل هذه الصورة الرائعة لزيد أن تلتهمها كاملة ، وانك لتراها ناقصة في البيت ، والكمال لله وحده ، فاعذر صبري ، وانظر ما يقول المعري في المرتبة الأولى من مراتب هذا العناق وهو يصف المنايا وأحداثها :

فكم قارئ من رأسه برجله وكم الحفن من قدمه برأسه ١

قصيدة في ترثية السلطان مسين

ليس لهذه القصيدة من شأن يذكر ، ولعل هذا لأنها نظمت لضرورة ميسية ، ونحن نر بهذه القصيدة لما مآ . قال في مطلعها :

اليوم أنّ لشاكره أنّ يجهرها بالشكر ، مرتفع العقيرة في الوري
ومنها :

هذا ابن اسماعيل : نجم طالع هداية السارى ، غنى على السرى
وقد ختمها بقوله :

حاله اذا نظر الأدب جمالها . شكر الاله ، وحقه أن يشكرا
في البيت الأول اضطراب ظاهر ، وفي الثاني معنى مكرر من أشعار المتقدمين ، ومنه قول كعب الأشعري في آل المهلب :

نجوم يهندي بهموا اذا ما أخو الفسمرات في الظلمات حارا
فأما البيت الثالث فتشبهه بقول البهاء زهير في الأمير مجد الدين محمد بن اسماعيل :

وغفرتُ ذنبَ الدهر يومَ لقائه وشكرتُه ، وبحقٍّ لى أن أشكرا
وأحسن ما فى هذه القصيدة قوله :
والنبيل لم يبرح على العهد الذى - أخذنه قبلُ عليه ناضرةُ القرى
منهاديا بين البقاع ، مناجيا أرجاءها بالغصب يكتنفُ الثرى

لور أنه اطلول المنازل تنطق

هذه هى القصيدة الرنانة التى احتلت مكاناً رفيعاً ومنزلةً ساميةً فى مملكة الشعر وكانت لصبرى آية ناطقة وحجة ناهضة على أنه من مهرة الشعراء وجهاً بنسبهم ، وهى محلاة بالكثير من بدائع الفن ومحاسنه . وقد انبسطت فيها نفسه وتدفق طبعه ، على غير عادته فى المطولات فظهرت فيها قوة الباعث ونشاط الروح الشعرى وجاءت من الماثورات التى تستطيع الاحتفاظ بمجدها وحرارتها مدة طويلة . وفى معتقدنا أن هذا النشاط المتجدد فى القصيدة مردود الى تجديد الأغراض وترادفها فقد اشتملت على سبعة وثلاثين بيتاً : منها خمسة فى ذكر الاطلال والمنازل ومناجاة الأحباب والشكوى من الفراق ، وأربعة فى عيد الفداء وسدة الملك وما يقتظم فى هذا السلك ، واثناعشر بيتاً فى مدح الامير وذكر الشورى ونحو ذلك ، وثلاثة عشر فى فاجعة دنشواى وآثارها ، وثلاثة وهى ختام القصيدة فى مدح المباس والدعاء له - هذا ما نعتقده ولعلنا فيه على صواب .

قال صبرى فى هذه القصيدة :

لو أن اطلال المنازل تنطقُ ما اردنَّ حرَّانَ الجوانح شيقُ

لا ننكر على صبرى ذكر الاطلال إنكار من يرى أن هذا يعد من مهجورات الزمن القديم والحياة الاولى فان للشاعر أن يتناول كل شئ ، وليست اطلال الديار وذكرى الأحباب مما يدخل فى ذلك الباب فما تزال يد الزمن تغفو الآثار وتبلى الجديد .

لا ننكر هذا على صبرى ولا سواء من شعراء عصرنا ، بل نحن نرى أن يكون وصف الطلل من الصور الفنية التى ينبغى لكبار الشعراء أن يتناولوها ، ويتباروا فيها ، ولكن لا على تلك الطريقة القديمة التى لا تتعدى ذكر القدم ووصف البلى

ذلك الوصف الجاف الذي لا يفيد من الوجهة الفنية ولا يعنى ، وهذا موضع العيب في قصيدة صبرى ، وثم موضع آخر مُقدمٌ على هذا ، وهو فساد التوق وسوء الاستعمال ، فإن كل مقام لا يحتمل ولا يقبل إلا ما يناسبه من الصور والألوان ، وصبرى في هذه القصيدة بسبيل النهضة وفي مقامها ، فليس من أدب الفن ونظامه أن يبدأها بتلك الصورة المحزنة ، ولا أن يلطخ وجهها بمنسل ذلك اللون القاتم ، واليك أمثلة من الشعر القديم تريك تقليد صبرى في ذكر الاطلال واضحا ، وتذلك على قصوره وضعف قوته حتى في هذا التقليد . قال امرؤ القيس :

رفقا نبك من ذكرى حبيب وعرفانـ ورسم غفت آياته مُنذُ أزمانـ
أنت رججٌ بعدى عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبانـ
ذكرتُ بها الحى الجميعَ فهيجتُ عقابيلُ سُقمٍ من ضميرٍ ، وأشجانـ
فسحت دموعى في الرداء كأنها كلّى من شعبي ذاتُ سحرٍ ونهانـ

وصف امرؤ القيس الاطلال في هذه الأبيات فشبهها في ثورها وخفاء معالمها بأساطير الكتب القديمة ، وذكر ما أصابه وهو يقف فيها فيراها مُقفرة من ساكنيها ، وهو إذ تغلبه الذكرى على صبره في هذا الموقف فيسكى ، بصور لك كيف بكى ، ويصف دموعه وهى تجري سحاً على رداءه ، فيقول لها إنها كانت كالما يتدفق من الرقة الواهية في السقاء البالى ، وهذه صورة تشبيهة أخرى ، لها شأنها في باب التصوير الفنى ولها مكانها ، قال زهير بن سلمى :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلمـ بحومانة الدراج فالتنـلمـ
ودار لها بالرتين كأنها مراجعُ وشمٍ في نواشرٍ معصمـ
بها العين والآرامُ بمشينة خلفـ وأطلاؤها بنهضن من كل نجمـ
وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً فلا بآ عرفتُ الدارَ بعد توهمـ
فلما عرفتُ الدارَ قلتُ لربها : ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلمـ

هذا وما قبله من الشعر الوصفى الذى يزيد في ثروة الفن وبوسع أفقه ، وما يُنسب الى عنتره . وفي البيت الثانى موضع كبير للشك لبعد العرب مما يرى فيه من آثار الصناعة :

لمن طللٌ بالزقتين شجاني وعائت به أيدي البلى فحكاني
 وقتُ به ، والشوق يكتب أسطراً بأفلام دمي في رسوم تجناني
 كان هذا شأن القوم في العصر الأول ، وقد بقي لهذا المذهب أثره حتى في
 العصر الأموي الذي ألبس الشعر ثوباً جديداً من الحضارة . وهذا ما يقوله
 الأخطل :

لمن الديارُ بحايلٍ فوقَ عالٍ درستُ وغيرُها سنونَ خوالٍ
 درَجَ البوارحُ فوقها فتسكَّرتُ بعد الأنيسِ معارفُ الاطلالِ
 فكأنما هي من تقادم عهدها ورقٌ نُثرن من الكتابِ بوالِ
 دارٌ تبدلت النعامَ بأهلها وصوَرٌ كلُّ ملعٍ ذبَالِ
 أما جرير فيقول :

ما للمنازل لا يُجِبْنَ حزيناً أصممن أم قدُمَ المدى قبلينا ؟
 على أن جريراً خيراً من الأخطل ، فقد أخرج نفسه وفنه من هذا المضيق بعض
 الشيء فقال :

حتى الديارُ كوحى الكاف والميم ما حطَّكَ اليوم منها غيرُ تسليمِ
 بل هو قد استحدث للشعر لغةً جديدةً في وصف الديار ، فانظر الى البيت الثاني
 من قوله :

لمن الديارُ كأنها لم تُحَلَلِ بين الكناسِ وبين طلحِ الأعزلِ ؟
 ولقد أرى بك ، والجديدُ الى ربلي مَوْتُ الهوى وشفاءُ عين المجتلي
 ليس هذا هو التجديد بعينه ولكنه الهمُّ به والتزوع اليه ، فدعني أنتقل بك
 الى العصر العباسي لأريك ما جدَّد الحسن بن هانئ وأبو تمام والبحرئ في هذا
 الباب . قال الأول :

لمن دمنٌ تزدادُ حُسنَ رسومِ على طول ما أقوت ، رطيبٌ نسيمِ ؟
 أنرى لو أن صبري إذ لم يجد من ذكر الاطلال بدأ قال مثل هذا في مطلع قصيدته
 أكنت نصيبه بكثير من اللوم ؟ ان الصديق أبانواس قد خلع على الاطلال من هذا

الوصف الشائق ما تشتمى الرياض الضاحكة أن يكون لها ، وانك لذو بصر وفطنة ،
والبك ما يقوله في قصيدة أخرى :

ألا أرى مثلي امترى اليوم في رسم تُغصن به عيني ويلفظه وهمي
أنت صَوْرُ الأشياء بيني وبينه فظني كلا ظنٍّ ، وعلى كلا علم
ان في هذا اللوناً جديداً من ألوان الفن النواصي البديع ، وانه للتجديد بعينه ،
وهذا أبو تمام وفنه ، قال :

من سجايا الطلول أن لا نجيبا فصواب من مقلتي أن نصوبا
فاسألها ، واجعل بكاك جواباً مجد الدمع سائلاً ومجيباً
قد عهدنا الرسوم ، وهي عكاظ للصبي زدهيك حسناً وطيباً
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصموداً من الهوى وصوباً
هكذا يقول حبيب في الطلول وسجايها وسؤالها وجواب سائلها ،
وهكذا بصور أيامها الأولى وحياتها البائدة فتراه وكأنما هو يصف لك دولة كانت
بالأمس في أوج مجدها وسوددها ، ثم عصفت بها حوادث الزمن فلم نترك منها
سوى آثار طامسة ، ورسوم صماء ، وان أيا تمام لشاعر خصب الفكر غنى البيان ،
وهذا صوت آخر له ، قال :

على مثلها من أربعم وملاعب أذيلت معونات الدُموع السواكب
أמידان لهوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبأ والجنايب
أصابتك أبكار الخطوب فشنت هوأي بابكار الظباء الكواعب
صورة جديدة لا شك فيها ، ومع أنا لسنا من أنصار البديع في الشعر فإن براعة
الشاعر في هذه الصورة تكاد تشغلنا عنه وعن رأينا فيه ، ومعنى هذا أن ما ورد فيها
من أنواع البديع قد جاء متمكناً ، ووقع هادئاً مستقراً ، حتى لقد يضيق بنا المذهب
إذا زعمنا أن الشاعر أراد أو قصد اليه وإن كان هذا هو الشأن ، فإن أبا تمام مولع
بهذا المذهب الذي وضع مسلم بن الوليد أساسه في الشعر العربي وجرى فيه أبو تمام
على أثره ، حتى لقد قال بعض النقاد من الأقدمين إن أبا تمام يُقرم بالبديع
فيدفعه إلى المحال ، وقد يكون قوله (أبكار الخطوب) من هذا النوع عندهم ولكني
لا أرى فيه شيئاً :

يا منزلاً أعنت في الجنوب على رسم محبيل وشغب غير ملئم
 هربت بعدى ، والربع الذى أفلت منه بدورك معذور على الهرم
 عهدى بمفناك حسان المعالم من حسنة الجيد والبردى والعلم

* * *

يا موسم اللذات غالتك النوى بعدى ، فربك للصبابة موسم
 ولقد أراك من الكواعب كاسياً فاليوم أنت من الكواعب محرم

* * *

أدار البؤس حبك التصاى إلى ، فصرت جنات النعيم
 لن أصبحت ميدان السواى لقد أصبحت ميدان الهوموم
 أظن الدمع فى خدئ سبجى رسوماً من بكائى فى الرسوم

* * *

لا تكثرن ملامى إن عكفت على ربّع الحبيب ، فلم أعكف على وثن
 كل هذه الصور الغضة والألوان الحلوة الملتمة لأبى تمام ، فانظر كيف اختفت
 الطول بما فيها من همود ووحشة خلف هذا الجال الفنى وتوارت وراءه كما تتوارى
 القبور البالية وراء القصور الأنيفة والحدايق النظرة ، فأنت لا تعافها ، ولا تمل
 النظر إليها ، وحسبنا هذا من أبى تمام ، فالكلمة الآن للبحترى ، قال :

أرْسومُ دارِ أم سطورُ كتابِ درستُ بشاشتها على الأحقاب ؟
 يجتازُ زائرها بغير لُبانةٍ ويردُّ سائلُها بغير جوابِ
 علق البحترى بالقديم فى البيت الأول وألم به فى الثانى ، ولكن بدىباجة
 جديدة ولغة أخرى ، وخير من هذا قوله :

لولا تعنّى ، لقلت المتزلّ معنّى ببيّنه يومعنى مُشكل
 يادارُ لا زالت رُباك تجودةً من كل غادية تُعلّ وتُنهل
 فهَمّينا دُولَ الزمانِ وصرفهَ واريتنا كيف الخلوبُ التزلّ
 أصابةً برسومِ رامةٍ بعد ما عرفت معارفها الصبا والشمال ١

حتى هذه الآيات لا تُعدّ من الصور الفنية التي هي من حق الفن على شاعر كبير كالبحرّي ، ولعله أقرب إلى الرجاء في قوله :

يادمّة جاذبتها الريحُ بهجتها تبثُّ نشرها طوراً ونطوبها
لا زلت في حُللٍ للغيثِ ضافيةٍ يُنيرُها البرقُ أحياناً ويُحدِها
تروحُ بالوابلِ الداني رَواحُها على رُبوعك ، أو تغدو غوادِها
ومن الجديد في هذا الباب قوله :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجَعَ مَا أَنْتِ قَائِلَةٌ وأبدى الجوابَ الرَّبْعُ عَمَّا تَسْأَلُهُ
أَفِي ذَاكَ بُرَّةٌ مِنْ جَوَى أَهْبِ الْحِشَا تَوَقَّدُهُ ، واستغزَرَ الدَّمْعُ جَائِلُهُ ؟
على أنّ فنّ البحرّي لا يبدو لك واضحاً كما نشاء إلا حيث يقول :

أَصَبَا الْأَصَائِلُ ، إِنَّ بَرْقَةَ تَهْمِدُ تشكو اختلافك بالهبوبِ السَّرمِدِ
لَا نَتَعْمِي عَرَصَانِهَا ، إِنَّ الْهَوَى مُلْقَى عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ الْهَمْدِ
دِمْنٌ مَوَائِلُ كَالنَّجُومِ ، فَانْ عَفْ فَبَأَى نَجْمٍ فِي الصَّبَابَةِ نَهْتَدِي ؟

نستفيد من كلّ هذا أنّ أئمة الشعر ما برحوا على توالي العصور يعالجون هذا المذهب ويستحدثون فيه من مختلف الصور والمعاني ما يؤدّي رسالة الفنّ ، ويكشف لنا عن محاسنه ، ومن العجز البالغ المدى أن يقوم شاعر كبير كصبري باشا فيقول في القرن العشرين :

لَوْ أَنَّ أَطْلَالَ الْمَنَازِلِ تَنطَقُ ما ارتدَّ حرَّانَ الْجَوَانِحِ شَيْقُ
ودع عنك قوله بعد هذا :

أَمْطَلَعَ الْأَقَارِ أَهْلُكَ أَمْرَفُوا فِي النَّسَائِ إِسْرَافَةَ الْغَنَى ، وَأَغْرَقُوا
لَوْ أَنَّهُمْ (قَدْ) أَنْصَفُوكِ (مَنَازِلًا) مَا حَازَهُمْ فِي الْكَوْنِ بَعْدَكَ مَشْرِقُ
عجزٌ وأبيك ظاهر ، وتقليدٌ أبت لا معنى له ، ولا فائدة فيه ، وإنّ المتنبي وهو أقرب هؤلاء الأئمة عهداً بنا وبهذا العصر الذي نتعاطى الأدب فيه ليصوّب إلينا من نظرائه الجارحة ولحن على عهدنا من العصور ما يستفيده كلّ أديب من قوله :

بَكَيْتُ يَا رَيْعُ حَتَّى كَدْتُ أَبْكِيكَ وَجَدْتُ بَنِي وَبَدَمِي فِي مَغَانِيكَ
بَأَى حَكْمَ زَمَانٍ صَرَتْ مَتَخَذًا رَيْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رَيْمِ أَهْلِيكَ ؟

أيامَ فيك شموسٌ ، ما ابتعثن لنا إلا ابتعثن دماً بالحظِ مسفوكاً

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ أقفرتِ أنتِ ، وهُنَّ منكِ أوَاهلُ

لا تحسبوا ربَّعكم ، ولا طلَّةٌ أوَّلَ حَيٍّ فراقكم قتلةٌ

فدينَّاكَ من دبعٍ ، وإن زدتنا كرباً فانك كنتَ الشرقَ للشمس ، والغربا

وكيف عرفنا رسمَ من لم يدع لنا فؤاداً لعرقانِ الرُّسومِ ، ولا لُجْباً

نزلنا عن الأكوارِ غمسي كرامةً لمن بان عنه ، أن نُفْلِمَ بِهِ رَكْباً

أُفْلِيتُ ، فانا أيها الطللُ نبكي ، ونُزْزِمُ نَحْنُنا الإبلُ

أو لا ، فلا عَتَبٌ على تطلُّ إنَّ الطلوةَ لمنلها فُفْعِلُ

لو كنتَ تنطقُ ، قلتَ معتذراً : بي غيرُ ما بك أيها الرجلُ

أبكاكَ أنك بعضُ من شغفوا لم أبكِ أني بعضُ من قتلوا

إن الذين أقت وارتحلوا أبئامهم لديارهم دُولُ

الحسنُ يرحل كلما رحلوا معهم وينزل حينما نزلوا

هذا هو المتنفي فرعون الأُدب ، وجبار الشعر ، يغزو مملكة الفكر فيستبيح معاقليها ويفتصب ما يريد وفوق ما يريد من ذخائرها ، فانك لتراه في كل صورة من هذه الصور خالقاً مبتدعاً ، يبكي الربع حتى بكاد يبكيه ، وبجود بنفسه ودمعته في مغانيه ، ثم يقول لك يا منازل فيجوابه الفن هكذا فليكن كل قائل ، الى غير هذا من معاني مولدة وطرائق هي له وحده مهيَّدة ، فاذا قال صبرى :

لو أنهم (قد) أنصفوك (منازلاً) ما حازم في الكون بعدك مشرقُ

إذا قال صبرى هذا قال فرعوننا العظيم وجبتارنا الأكبر: ان الذين... الى آخر

البيتين . قال شاعرنا :

هل عند ذاك السربِ أنا بعده في الحى من آمافنا تتدفقُ

أثر العبقرية في البيت قوله (مِنْ آمَاقِنَا تَنَدَفِقُ) ، وصبرى من هذا الأثر بين حالتين : حالة البصر بأمرار الفن ودقائقه ، وحالة الانكسار على القديم واعادته في لباس جديد من اللفظ المصقول والكلام المنمَّق ، وهذا نوعٌ من القوة وضرب من الاقتدار ، ولكنه قليل الفائدة على كل حال . ولقد درج المتنبي على هذا في طائفة غير قليلة من شعره ، فاعتصب كثيراً من الصور المعنوية الرائعة وكساها من حسن الديباجة وجودة السبك ما يعجز أصحابها عنه فنسبت إليه وعرفت به ، وقد أجاز هذا علماء النقد ، ولكنني لا أراه حقاً قال الشريف الرضى في معنى بيت صبرى :

لقد جلّ قدرُ الرّء أن يبلغ البكى مداهُ ، ولو أنّ القلوبَ دُموعُ
وقال البهاء زهير ، وهو في حذّه من المقاربة :

وأقسمُ ما ضاعت دموعي عليكم ولو أنّ رُوحى في الدُموع تسيلُ
أمّا الصورة بعينها فظاهرة في قول الشاعر :

الله في مغرمٍ حُشاشتهُ مُنهلَةٌ في الأدمعِ الدُرْفِ
وقد تناول المتنبيّ هذا المعنى فقال :

أشاروا بتسليم ، فجدنا بأنفسِ نسيلُ من الآماقِ والسّمُ أدمعُ
السّمُ لغةٌ في الاسم ، وله في هذا المعنى من قصيدة أخرى :

ليس القِبابُ على الركابِ ، وإنما هُنَّ الحِياةُ ترحلت بسلامِ
ليت الذي خلق النوى جعل الحصى تخفافهنّ مفاصلى وعظامى
متلاحظين نسحُ ماء شؤوننا حذراً من الرقباء في الأكامِ
أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعد ما قطرت على الأقدامِ
وقال غيره في هذا المعنى :

ترفّق فما هذى دموعى التى ترى ولكنها نفسى تذوبُ فتقطرُ
وهذه صورة أخرى تربك شاعراً يتدفق من فوه عينه ، وهذا المسكين هو محمد ابن قاسم النحوى قال :

لو عاينت عيناك قدّنى من فى كبدى ، ودمعى مع دمي مسفوحُ
رأيت مقتولاً ، ولم تر قاتلاً وعلمت أنى من فى مذبحُ

كبدني على صدى جرت ، وال متى
أغدو أعذبُ في الهوى وأروحُ ؟
وهذه صورة عكسية للمعنى تدل على براعة صاحبها واتجاهه الى التجديد . قال :
ملكتُ دموعَ العين ، ثم رددتها
إلى ناظري ، فالعينُ في القلبِ ندمعُ !
قال صبري :

أمنازلَ الأقارِ ، أهلكِ أسرفوا
في النأي إسرافَ الغنى وأغرقوا
لو أنهم قد أنصفوكِ (منازلا)
ما حازهم في الكون بعدك مشرقُ
كثر القول في الشموس والأقار ، ونعشَى كذلك في هذه الكثرة الى مطالعها
ومغاربها ، فمن ذلك قول البحترى :
صدقَ الغرابُ ، لقد رأيتُ شمسَهم
بِالأمس تغربُ عن جوانبِ غُربِ
ولابن هاني :

بانوا مراعاً ، للهوارج زفرةً
مما رأينَ ، وللمطى حنينُ
لا الجوّ جوٌّ مشرقٌ ، ولو اكنسى
زهرأ ، ولا الماء المَعينُ مَعينُ
لا يبعدنَ اذا العبيرُ له رَوى
والبانُ دوحٌ والشموسُ فطينُ
وله من قصيدة أخرى :

ما للمهاري الناجياتِ كأنّها
ختمٌ عليها البينُ والعدواة
يدنو منالُ يدِ المحبِّ ، وفوقها
شمسُ الظهيرة ، وخدُّها الجوزاءُ
وله :

أبحسب سارى الليلةَ البدرَ واحداً
وفي كِلِ الأظمانِ ثانٍ وثالثُ
وقال الأبيوردى في هذا المعنى :
عشيةَ اختفتِ الأقارُ في الكِلالِ
لله ما صنعت أيدى الركابِ بنا
وله من قصيدة أخرى :

منطقُ الدارِ من زحل عنها
طلما أخرسَ الديارَ الرحيـلُ
فلكُ أطلع الكواكبَ صُبحاً
وطلوعُ النجومِ صُبحاً أقولُ

فأما قول صبرى أصرّفوا فى النأى أصرافَ الغنى ، فليس من الصُّور الشعرية التى يتقبّلها الذوق الفنى بكثير أو قليل من الاستحسان ، وهذا مثلٌ من أقوال المتقدمين فى هذا الباب :

أَيْفَ النوى ، حتى كأنّ رحيله للبين رِحْلَتُهُ إلى الأوطانِ
وقال الأبيوردي ، وفيه مزيد من ذكر الأقدار ومنازلها :

بمنازلِ القمر اقتدى فى بُعدهِ قرأ المنازل بين رامةٍ والحى
وفى قوله — لو أنهم قد أنصفوك منازلًا — إكراهٌ عنيف لكلمة (قد)
إذ لا محلّ لها فى الكلام . وقد جاءت كلمة (منازل) من الزوائد الملفاة فى ذاتها
ولو أحسن الشاعر الصياغة لاستغنى عن هاتين الكلمتين ، وكان له الخيار فى قوله
(أنهم) ففى كذلك بما يقع فى طَرْفٍ من هذا الحكم ، وما عليك من بأس
إذا قلت إنّ الجزء الحى فى شطر البيت كله هو قوله (لو أنصفوك) وفى معنى
انصاف الديار وظلمها ، وأحيائها وقتلها ، بقول المتنبي وهو مما ذكرناه له :

لا تحبّوا ربكم ولا طَلَّةَ أوَّلَ حَيٍّ فِرَاقكم فَنَلَّةُ
وقد أخذ أبو الحسن التهامى هذا المعنى فقال :

ماتت لفقد الطاعنين ديارهم فكأنما كانوا لها أرواحا
ولالأبيوردي فى هذا الباب :

متبدلين لوى العقيق من الحى انّ التبدل للصوت تبدلٌ
قال صبرى :

عبدَ الفداء ، ألا سعدت بمدقِ أمسى يحبطُ بها الجلالُ ويحْدقُ
هلا رأيتَ بعابدين مع الملا ملكًا خلائفه نضوعٌ وتعبُ
وجعتَ من تلك السائل طاقًا نزدانُ أياماً بها ومخلّقُ
ورجعتَ من نورِ الأمير مزوداً حتى تعودَ وأنت زائرٌ مشرقُ

الطاقة الحزمة ، وهى هنا بحكم الفريضة طاقة الرجحان ، ومخلّق الرجل تطيّب
بالخلّاق ، وهو نوعٌ من الطبيب السائل بحالطه ماء الزعفران ، وبين هذا وطاقة
الريحان أو ما يشابهه ويدخل فى معناه بَوْنٌ بعيدٌ ، وفى قوله عن الطاقة — نزدان

أياماً بها وتخلّق — انتقاص من قدر الممدوح لأن ذلك يفيد أنّ ما في شمائله من
النضارة والطيب لا يدوم طويلاً ، وقد بَيَّنّا قيل :

« يَبْسَلِي القميصُ وفيه عَرَفُ المندلِ »

وكل ما ذكره شاعرنا الكبير عن العبد وما يستفيده من طيب سجايها الأمير
ونوره إنما هو من القديم المعاد ، ومما قيل في هذا الباب :

تسمى المواسمُ كلُّها لرحابهِ إذ لا بهاء لها بغير بهائهِ

ومن هذا القبيل قوله في البيت الثاني (ملكاً خلّقه نضوع ونعيق) ،
وللبحتري في هذا المعنى :

العارضُ الثَّجَّاجُ في أخلاقهِ والروضةُ الزَّهْرَاءُ في آدابهِ
وقال محمد بن يزيد في روضة :

كأن ما نحتنيه من زخارفها أخلاقٌ مستحسن الإخلاق محبوب
ولبعضهم :

وما روضةٌ حلَّ الربيعُ نطافها وَجَرَّتْ بها الأنواءُ حاشيةَ البردِ
إذا حدرت فيها السَّعَامَى لثامها ثنى عطفهُ الخوذانُ والنف بالرائدِ
بأطيب نشراً من خلّاقهِ التي تَمُّ برّياها على العنبر الوردِ
قال صبري :

أحرزتِ بأعباسٍ كلَّ فضيلةٍ وبلغتِ شأواً في العلى لا يُلحقُ
مَن ذا يحارى إخصيتكِ إلى مدى وهوالك سباقٌ ، وعزمك أسبقُ

إحراز الفضائل ، والامتثال بالحامد ؛ وبلوغ الشأو الأبعد ، والأمد الأقصى ،
كل هذا مما حفلت به قصائد المدح ، وحفيت من طول تربيده ألسنة الشعراء ،
وحسبك أن تقول مهبّار الديلمى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلةً حتى يسلمها اليه عداؤه

وما أشبه الشطر الثاني من البيت الأول بقول أبي تمام : (هيهات تطلب شأو
مَن لا يُلحق) وفي السبق إلى الغابات يقول البحتري :

ولقد حرّيتَ الى المعالي سابقا فأخذتَ حظَّ الأول المتقدّم -
وله في هذا المعنى :

تُطلبُ لأقصى غايةٍ بعد غايةٍ إذا قيل يوماً قد تنأهى تزيّداً

ومن الخطأ في هذا الباب قول صبرى : (من ذا يجارى أخصيك ؟) فإنّ الملوك لا تمدح بمثل هذا ، وأولى بهذه المجازاة أن تكون بين العدائين كالسّليك بن السّلكة ، والشنفرى وأمثالهما ، فليس المجد مما يُنال بالعدو على الأقدام فيكون للأخصين عملها فيه ا قال البحرى :

إذا سؤدّدُ دانيّ له ، مدّ همّه إلى سؤدّدٍ نأى المحلّ يُزاوِلُهُ

لم يقل مدّ قدمه ، أو طار بأخصيه ، وهذا هو المتنبي يريك مجل الأخصين من المدح . قال :

وما تنغم الأباُمُ ممّن وجوهُها لأخصرٍ في كلّ نائبةٍ نعلُ ١٢

وله ، وفي الشطر الأول من البيت نظر :

فبأيّما قدّم تسعيتَ الى العلا ادمُ الهلال لأخصيك حذاء
وقال :

وكيف لا يُحسّدُ امرؤٌ تحمّ له على كلّ هامقٍ قدّم ؟

وفصل الخطاب في هذا الباب لشيخنا أبى العلاء المعرّى إذ يقول :

فالمرء يَقمَعُ بالمكارم قائماً ويقومُ في طلب المعالي قاعداً
على أنّنا لا نظلم المتنبي فقد قال من قبل .

وحقّ له أن يسبقَ الناسَ جالساً ويُذرِكُ ما لم يُدرِكوا غيرَ طالبٍ

وَبُحْدَى عرائينَ الملوكِ، وإنّها لمنَ قدميه في أجلّ المراتبِ

بقى من البينين قول صبرى : (وهو سبّاقٌ وعزمك أسبق) . يقول إنه إذا أراد أمراً سبق عزمه إرادته فكان ما يريد ، وهذا من المعاني المطروقة التي كسُتَرِ تداولها لما فيها من غلوٍّ شديد ، وإغراق لا يستقيم في القول ، وعندى أنّ هذا النوع من أكبر عيوب الشعر وأظهر مساوئه ، وقد يشفع فيه شيء واحد هو أن

يجيء في باب الوصف المطلق ، فأما في باب المدح فلا . ومن النوع المقبول عندي قول ابن هاني في وصف الخليل :

عُرِفَتْ بِسَاحَةِ سَبْقِهَا ، لَا أَنْهَا
وَأَجَلُّ عِلْمِ الْبَرَقِ فِيهَا أَنَهَا
وقول البحري في جواد :

جَارَى الْجِيَادَ ، فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا
قَالَ الْمُنْتَبِي فِي مَعْنَى صَبْرِي :

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ
وَقَالَ :

أَمْضَى ارَادَتَهُ ، فَسَوْفَ لَهُ قَدْرٌ
وَأَسْتَقْرَبَ الْآفَاقِي ، فَنَمَّ لَهُ هُنَا
قَالَ صَبْرِي :

إِنْ يُرْجَلُ عُرْفُ ، فَانْتَ إِلَى الَّذِي
لَمْ يَرْتَجِلْهُ الْمَالِكُونَ مُؤَفَّقُ

معنى قديم يظنه بعض المتأدبين أو كثير منهم من مبكرات صبري ، أو أن الأصل فيه قول شوقي في بعض منشوراته : (فارتجل نظرة في السماء) ، وليس كذلك . قال طريح بن اسماعيل النقي :

وَقَدْ كُنْتُ تُعْطِي الْجَزِيلَ بِدِيهَةٍ
فَأَرْجِعُ مَضْبُوطًا ، وَتَرْجِعُ بِالنَّيِّ
ويقول ابن هاني ، والصورة واحدة :

أَطَافَتْ بِخَرْقِي يَسْبِقُ الْقَوْلَ فَعْلُهُ
قَلَيْسَ لِيَوْمِيهِ وَعَيْدُهُ وَلَا وَعْدُهُ
وقال الأبيوردي :

جَاءَ النَّدَى وَالْبَاسُ مِنْكَ بِدِيهَةٍ
وَأَلَمَ الْمُعَرِّي بِهَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ فِي السِّيفِ :

غَرَارَاهُ لِسَانًا مَشْرِفِيٍّ يَقُولُ غَرَائِبَ الْمَوْتِ ارْتِجَالًا
وليس الموت قولاً ، فهو انما يريد الفعل . وقال ابن عمار :

رَوَى لِيضْرَبَ، وَابْتَدَهَتْ بِضَرْبِهِ إِنَّ الطَّعَانَ بِدَاهَةِ الْفَرَسَانِ
وَقَالَ ابْنُ بَرْدٍ :

يَا شَاعِرَ الْحَسَنِ ، بِي تَرْفُقُ لَا نَقْتَلْنِي كَذَا بِدَيْهَا
قَالَ صَبْرِي :

سَدَّدَ سِهَامَ الرَّأْيِ بِالشُّوْرِ يُحِيطُ بَكَ مِنْهُ فِي ظُلْمِ الْحَوَادِثِ فَيُلْقُ
وَأَسْبَقُ بِهِ ، وَاضْرَبُ بِهِ ، وَافْتَحُ بِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ بَابِ أَمَامِكَ يُغْلِقُ

يذكر صبري فضل الشوري ، ويصف ما لأصالة الرأي من حسن الأثر في تدبير الأمور ، وكيف أنه يغني غناء الجيوش ويقوم مقامها ، وليس له من كل هذا شيء ، فهو يردّد لنا أقوال الأقدمين ، ويبلغنا رسالاتهم . قال بشار بن برد في المشورة :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ ، فَاسْتَعِنْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ ، أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

فأما قول صبري في الرأي ووضعه موضع الجيش فن قول بعضهم :
يُكَلِّفُنِي إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُقَلُّ عَرْمَرَمِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَبَعَنْتُ كَيْدَكَ غَازِيَا فِي غَارَةٍ مَا كَانَ فِيهَا السَّيْفُ غَيْرَ مُشَبِّعٍ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

تَرَاهُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِعَمَزٍ وَآرَاؤُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهَدَاؤُهُ

فأما ما قيل في منزلة الرأي وأثره ، وسداده وجودته ، فما لا سبيل إلى استقصائه وحسبك أن ندلك على بعضه ، قال المتنبي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُهُ ، وَهُوَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَفْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَفْرَانِ
وَقَالَ أَبُو نَعْمَانَ :

وَمَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَفْضَى عَلَى الْمَهْجَاتِ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدٍ

وقال يمدح :

مجرداً سيف رأى من عزيمته للبأس، صيفله الاطراق والفيكر
عصباً ، اذا سلّه في وجه نائبة جاءت اليه صُروفُ الدهر تعذّر
وقال ابن هاني :

فاذا بعنت الجيش فهو منية واذا رأيت الرأى فهو فضاء
وقال آخر :

وان مضى رأيه أو حده عزمته تأخر الماضيان : السيف والقدر
وهل رأيت خللاً أو اضطراباً كالذي نراه في قول صبري عن الرأى :

واسبق به ، واضرب به ، وافتح به ما شئت من بابٍ أمامك يُفلق
إنّا إذا جرّدنا هذا البيت عما فيه من خطر ونشويش وجدناه بمثبطة قوية
الى قول الامام الشافعي :

الجِدُّ بُدْنِي كُلِّ امرئ شاسع والجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بابٍ مُغلق
قال صبري :

عوذتُ مجدك أن تنام وفي الحى أملٌ عقيمٌ ، أو رجاءٌ مُخفق
وفي هذا المجد المعوّد يقول المعري :

أعاذ مجدك عبد الله خالقه من أعين الشهب ، لا من أعين البشر
ويقول المتنبي :

كأن الردى عاد على كل ماجد إذا لم يُعوذ مجده بعيوب
وفي معنى الأمل العقيم أو الرجاء المخفق ونحوها يقول الشريف الرضى :
وما الفخر في أدب ناتج يُضَافُ إلى مطلبٍ عاقر
ويقول الأبيوردي في المستظهر بالله :

باخبر من أفتح الآمال نائله بموعده بسله النعماء مضمون
ولأبي تمام :

نلقح آمالاً وزجو نتاجها وعمرك مما قد ترجيه أقصر

أما معنى بيت صبرى فى قول الشريف الرضى :

نعمى أمير المؤمنينَ حريريّةً ألاّ تنامَ عن الرجاء المهمل

قال صبرى :

ولربّ تحلّ فى النوى متحكّم - قد كاد يحزمُ النفوسَ ويؤبِقُ
أرسلتَ فيه نظرةَ ضيّقِ الحجبى - والعلمُ نُصرتَها ، وقلبٌ مُشَقِّقُ
وأخذتَ رأىً أَولى النُهى مستوفىً - مستوزراً ، وكذا الحكيمُ يَدَقِّقُ
حتى اهتديتَ الى الصوابِ ، ولم يزل - بينَ الصوابِ وبينَ رأيك موثّقُ
واهبتَ ، فابتكرَ النضارُ سحائباً - نهى ، وتفتقدُ المحيلَ ، وتُغدّقُ

ليس فى هذه القطعة شيء من المحاسن الفنية ، وهى كما نراها فى كثير من
أجزائها وكيكة النظم ، متداعية البناء ، وموضع ذلك قوله فى البيت الثالث
(وأخذت رأى أولى النهى) وقوله فى البيت نفسه (مستوزراً وكذا الحكيم يدقق)
فالجملة الأولى من السّوق المبثّل ، والكلمة الأولى من الجملة الثانية لا معنى لها فى
هذا المقام . وسائرهما من الكلام الذى يُجاء به لسدّ الفراغ غسباً ولا يشفع فى
ذلك اطراد المعنى فانت ترى الفلق بادياً فى هذا الجزء من البيت وهو قوله
(وكذا الحكيم يدقق) فأما قوله فى البيت الرابع (حتى اهتديت الى الصواب)
فانهم لرأى المدحوظ وطعن عليه ! ألا ترى أن الشاعر لم يغفل عن ذلك فى نفسه
فاحتال لستر العيب وسدّ الخلل بقوله (ولم يزل بين الصواب وبين رأيك موثق)
وفى البيت الخامس من الاضطراب وسوء السياق ما تراه فهو يقول إنّ الأمير أهاب
فابتكرت سحائب النضار - نهى وتفتقد المحيل وتغدق - وما هكذا يكون الترتيب
فى مثل هذه الصورة والصواب - تفتقد المحيل فتهمى وتغدق - وقد أراد
بالمُحيل الماحل أو ما فى معناه فأخطأ : فالمُحيل ما أتى عليه الحول من شيء أو صار
من حال الى حال ، وهو ما يظهر لك واضحاً من قول ابن المعتز :

ألم تحزن على الرّبع المُحيل - وآثاره وأطلالُه مُحول ؟

ومن عيوب هذه الصورة المبالغة فى وصف الحال والتّجافى به عن الوجه
الأمثل ، فالعنى أن الأمير رأى الجهل فاشياً فى الأمة فأراد أن يُنقذها من غوائله
بنشر العلم والمعرفة ، وليس فى هذا من غوامض الأمور ومشكلاتها ما يُشِير هذه

الحزكة أو يقيم تلك القيامة : يستشير الأمير ، ثم يستوثق ، ثم يستوزر ويدقق ، ثم يهتدى الى الصواب بعد أن خفيت وجوهه ، ونسكرت محالته ، ما هذا كله ؟ إنه لا إصراف في القول كبير ، وليته كان من نوع ذلك الاسراف الذي ورد ذكره على لسان شاعرنا العظيم في البيت الرابع من هذه القصيدة .

الحق أن صبرى قد انتهم الأمير كثيراً في رأيه وفطنته ، وليس هذا هو المذهب حتى في عظام الحوادث وجلائل الأمور ، قال مهباز الديلمى :

ودبر الدنيا برأى واحداً بأنف أن يشرك فيها أحداً
إذا استشار لم يزد بصيرةً ولا يلوم رأيه إذا استبد
وقال الضريف الرضى :

يستمعُ الرأى ، وعنه غنى قد يصقلُ السيفُ ، ولم يطبع
وقال البحتري :

إذا انساب في تدبير أمره زافدت له فكرته ينجح في كل مطلب
ومن قوله في هذا المعنى .

إذا ما جرى في خلبة الرأى برزت تجاربُ معروفٍ له سبق قارح
وله :

تشف أفاصى الرأى في بدايته لعينى وسير الغيب غير رقيق
وله :

إذا المرء لم تبدهك بالخزم والحجى فربحته لم تغر عنه تجاربه
وقال المتنبى

قد كفتك التجاربُ الفكرَ حق قد كفالك التجاربُ الإلهام
وقال سلام الخمار ، ويروى لأبى نواس :

بديته وفكرته سواء إذا ما نابهُ الخطبُ الكبير
وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عى المشاور والمشير

فأما قول صبرى - بين الصواب وبين رأيك موثق - فانا نعرض عليك من الصور ما يدل على مواضعه من الشعر القديم ، قال أبو نواس :

مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ هَاشِمِيٌّ ، مُوَفَّقٌ لِلصَّوَابِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

تَنْسَابُ بِمِثْلِ الْأَرْقَمِ الْمَنْسَابِ كَأَنَّمَا تَنْظُرُ عَنْ شَهَابٍ
بِمَقْلَةٍ وَقَفَرٍ عَلَى الصَّوَابِ

وليس هذا فحسب فإنا نميل بك ناحية هي الى الانصاف أقرب ، وبالنقد الفنى
الدقيق أشبه ، وأنت ترى أن هذا الموثق الذى عقده الشاعر بين الصواب وبين رأى
الأمير يجعلهما بمنزلة الخلفين أو العقيدتين أو نحوهما ، وهذا أبو تمام يقول :

حَلِيفٌ نَدَى ، وَزَرْبٌ عَلَا ، إِذَا مَا هَتَفَتْ بِهِ ، وَسَيْفُ خَلِيفَتَيْنِ
وَقَالَ :

مَلِكٌ إِذَا تُيِبَ النَّدَى مِنْ مَلْتَقَى طَرْفِهِ ، فَهُوَ لَهُ أَخٌ وَحِيمٌ
وَقَالَ :

هَذَا أَخُوكَ النَّدَى ، لَوْ أَنَّهُ بَشَرٌ لَمْ يُلَفْ طَرْفَةً عَيْنَ غَيْرِ مُبْتَسِمٍ
وهذه صورة أخرى من قول أبى تمام تعطى المعنى الذى انتحله صبرى :

مُسْتَرْسَلِينَ إِلَى الْخُتُوفِ ، كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
فأما أن الجهل يمتد النفوس كما يقول صبرى فقديماً قال المتنبي :

أَمَانَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوَئِكَمُ الْجَهْلِ وَجَرُّكُمْ مِنْ خَفَةِ بَكْمِ الثُّلُ
فأما قوله :

وَأَهَبْتُ قَابَسَكَ النَّضَارُ سَحَابًا تَهْمِي ، وَتَفْتَدُ الْمُحْجِبِلَ ، وَتُفَدُّ
فهو من حيث سحاب النضار ينظر الى قول بديع الزمان الهمذاني :

وَكَادَ بِحِكْمِكَ مَوْتُ الْمَرْءِ مِنْسَكِبًا لَوْ كَانَ مَلَقَ الْحَيَا بِمَطَرُ الذَّهَبِ
وقول أبى تمام :

بَحْرٌ مِنَ الْجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ ذَهَبًا حَبَابُهُ فَضَةٌ زِبْقَتُهُ بِمَقْيَازِ

وأما ما ورد فى البيت عن حمل هذه السحاب وانها تقتقد الحول - لا الحيل -
فتمى وتفقد ، أما هذا فن باب قول ابن المعتز فى السحاب :

لم يَدْعُ أرضاً من المحل إلا جاد أو مدَّ عليها جناحاً
وقال آخر يصف ديمة :

كأنَّ غناءَ لها أنْ ترى يبيساً من الأرض لم يُبَلَّلْ !
قال صبرى :

إنْ أمرعت تلك المواتُ ، وأورقتُ فيها الرياضُ ، فانما لك 'تورقُ'
وإبراق الرياض من أهون صفاتها ، وأدنى منازلها ، وقد نزل الشاعر في هذا على
حكم القافية ، وما أكثر جنبايات هذا الحكم ، فلو أن القصيدة كانت رائية لقال :
إنْ أمرعت تلك المواتُ وأثمرت فيها الرياضُ ، فانما لك تنمرُ
ولكان هذا أجود ، وما أظن المتنبي ترك لشاعرنا شيئاً من هذا المعنى بعد
قوله :

إنَّ البلادَ وإنَّ العالمينَ لـ

قال صبرى في ذكر دنشواى :

وأقلتَ غزاةَ قريةِ حكم الهوى فى أهلها ، وقضى قضاءً أخرقُ
إنْ أنْ فيها يائسٌ ممّا بو وأرَنَ ، جاوبُهُ هناكُ مطوّقُ
جاء البيت الأول بعد قوله (إنْ أمرعت) فهو منقطع الصلة بما قبله ، بل هو
من المفاجآت المتناهية فى الشذوذ ، وأنت تعلم أى مطوّق يريد فى البيت الثانى ،
انه يريد حمام دنشواى ، فالنظر الصلة بين هذه الصورة وبين قول ابن هانى :
لبالئ لا آوى الى غير ساجع بيتك ، حتى كلُّ شئٍ حمائمُ
ولما التفت الحاظنا ووُشائنا وأعلن سرُّ الوشى ما الوشى كاتمُ
ناوّةٍ إنسى من الحذر ناعمُ فاسعد وخشى من الصدر باغمُ
قال صبرى :

شكرتك مصرُ على سلامة بعضها شكراً يغربُ فى الوردى ويشرقُ

بيت مقفر من الروح الشمري ، متجافٍ فى لفظه ومعناه عن أدب الفن ونظام
الصناعة ، فان سلامة بعض مصر فى قول الشاعر وبقاء سائرهما فى جانب آخر ليس من

الصُّورَ التي يَصِحُّ أَنْ تَمَثِّلَ في مدارج الشكر ومواطن النناء ، وقد اترادف ذكر
النشريق والتغريب في ميراثنا الشعري فثلثه النفوس ، ومنه قول البحترى :

أشَرُّقُ أَمْ أَغْرِبُ يا سَعِيدُ وَأَنْقَصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ ؟
وقول الآخر :

شَرِّقْ وَغَرِّبْ تَجِدُ مِنْ غَادِرٍ بَدَلًا فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ
وقال البهاء زهير :

وَجَبَسْتُ فِي مِصْرَ عَلَيْكَ رَكَابِي غَيْرِي يَغْرِبُ تَارَةً وَيُشْرِقُ
قال صبري :

قَانُونُ دَنْشَوَايَ ذَاكَ صَحِيفَةٌ تُتَلَى فِتْرَتَاعِ الْقُلُوبِ وَتُخْفَقُ
هَلْ يُرْغَمِي صَفْوٌ وَبَهْدُ خَاطِرٍ وَالْمَوْتُ حَوْلَ نِصْوَصِهَا يَتَفَرَّقُ ؟

أباح لنفسه في البيت الأول ما ظن أنه من الضرورات الشعرية فجعل حركة الشين
من دنشواي ألفاً ، وقد كان له منسع لو تحوط ، فأما أن الموت يتفرق حول نصوص
قانون دنشواي أو صحفته فذلك ما سبق إليه ، وهو يتمثل في كثير من الصور
كقول بعض الاعراب في اسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد :

لَهُ قَلَمًا بُوسٍ وَنُعْمَى ، كِلَاهُمَا سَحَابَتُهُ فِي الْحَسَالَتَيْنِ كَدُورُ
وكقول ابن المعتز :

كَمْ مَتَابَا ، وَكَمْ عَطَايا ، وَكَمْ حَنَنٍ فَرَّوَعِيشٍ ، تَضُمُّ تِلْكَ الشُّطُورُ
ومنه قول أبي تمام في الفلم :

لُغَابُ الْأَقَامِي الْفَانَلَاتِ لُغَابُهُ وَأَرَى الْجَسَنَى اشْتَارَتُهُ أَبْدِي عَوَاسِلُ
ولسليمان بن وهب في هذا المعنى :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَانْتَضِينَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَظَلُّ الْمَسَابَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شُنْنَا ، وَتَغْضَى أُمُورُهَا

بَقِيَ لَوْ أَنَّ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ يَقُومُ فِي قَوْلِهِ (يَتَفَرَّقُ) وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى أَشَدِّهِ نِخَامَةٍ وَرُوعَةٍ
فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرِعُ الْقَنَا وَتَمُوجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ
وَمَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ الْحَمَامَةِ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ

قال صبرى :

لَنْ تَبْلُغَ الْجُرْحَى شِفَاءً كَامِلًا مَا دَامَ جَارِحُهَا الْمَهْنَدُ يَبْرِقُ
وَأَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّى :

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبٍ غِذَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْأَجْسَامُ
قال صبرى فى خَتَامِ الْقَصِيدَةِ :

وَاللهُ عَوْنُكَ إِنْ رَكِبْتَ إِلَى الْعُلَى مُطَرَّقًا تَضِلُّ بِهَا الْهُدَاةُ وَتَفْرُقُ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ ، لَا يُبْشَابُ رَيْبَةٍ وَالْحُكْمُ حُكْمُكَ ، وَالْآلَةُ مُصَدِّقُ
ويقول البحتري :

أَلَهُ جَارُكَ ، تَنْتَفَى مَا تَنْتَفَى فِى الْمَكْرَمَاتِ ، وَتَرْتَقِ مَا تَرْتَقِ
وفى معنى الطَّرْقِ يَضِلُّ بِهَا الْهُدَاةُ يَقُولُ الْمُنْخَلَّ :

وَدِمُومَةٌ قَفَرٍ بِحَارُ بِهَا الْقَطَا

وَالْقَطَا فَلَمَّا بِحَارَ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ (أَهْدَى مِنَ الْقَطَا) وَمِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ :

نَجِمٌ بِطَرَقِ الشُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَإِنْ سَلَكَتُ سَبِيلَ الْمَكَارِمِ ضَلَلْتُ
وفى هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْآخَرُ :

بِحَارُ فِى حَافَتَيْهَا الْمَدْلُجُ الْهَادِى

فَأَمَّا فِى مَعْنَى الْخَوْفِ فَيَقُولُ الْقَطَامِ :

بِكُلِّ مُخْتَرَقٍ يَجْرِى السَّرَابُ بِهِ يُجْمِسُ وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجِيلُ
وفى الْبَيْتِ مُصَوَّرَةٌ مِنْ قَوْلِ صَبْرِى — إِنْ رَكِبْتَ — وَلِلْأَخْطَلِ :

وَجَوْزٌ فَلَاقَ مَا يُفْتَضُّ رَكِبُهَا وَلَا عَيْنٌ هَادِيهَا مِنَ الْخَوْفِ تَغْفُلُ
وقال الْمُتَنَبِّى :

كَمْ مَهْمَةٍ قَذَفَ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْحَبِّ ، قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا

وفي معنى البيت الأخير من القصيدة يقول المتنبي :

والأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوافُكَ في موقفٍ بينَ المنيةِ والمنى

وأقرب منه إلى ذلك المنحى قول كمال الدين الفقيه :

بَقِيَتْ بقاءَ الدهرِ أمرُكَ نافذٌ وَسَمِعِكَ مشكورٌ، وَحُكْمَكَ مُنْصَفٌ

لواء الحسن

من مطولات صبرى قصيدة رقيقة يصح أن تسمى (لواء الحسن) أو (ملك الجلال) فهي تُصور لنا جمال المرأة وسلطانها، وترينا ما لها من أثر بالغ وتفوذ كبير في الحياة، وإذا لم يكن الشاعر ترجان الجمال فمن يكونه؟ وهل لفنه سوى المرأة تعلمه ما هو، ونوحى إليه كيف تكون أنواعه وفنونه؟ وهذه هي القصيدة، قال صبرى :

يا لواء الحسن، أحزابُ الهوى	أيقظوا الفتنةَ في ظلِّ اللواءِ
فرقتهم في الهوى ثاراتهم	فاجعِ الأمرَ، وصُونِي الأبرياءِ
إنَّ هذا الحسنَ كاللواء الذي	فيه لِلأُنفسِ رِيٌّ وَشِفَاءُ
لا تذودى بعضنا عن وردِهِ	دُونَ بعضِ، وأعدلُ بينَ الظُّلَماءِ
أنتِ تيمُّ الحسنِ، فيه ازدحمت	مُنْهَنُ الآمالِ، يزجيها الرِّجاءُ
يقذفُ الشوقُ بها في مانجٍ	بينَ الجُبنِ : عِساءٍ، وشِقاءِ

جمل صبرى المرأة في مملكة الجمال كاللواء، تتور حوله معارك الحب بين أحزابه وتستيقظ الفتنة في ظلِّه - والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها إلا في هذه المعركة، ونحت ذلك اللواء - الله أكبر يا ثارات عثمان - لسانا في ثارات عثمان رضى الله عنه، وانما نحن في ثارات أحزاب الهوى الذين دبَّت التفرقة بينهم، فأيقظوا تلك الفتنة النارية الحري، الفتنة التي لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة، ولكنها تُلَفُّ الأبرياء، وتغمر الصالحين والمنقين من أمة الحب ورعية الجلال، هو الجلال أيقظ هذه الفتنة الحامية وأثارها، وسقى هؤلاء وهؤلاء نارها، ثم جميعاً أبرياء، وهو هو المستبد العادل، ما ظلم يوماً ولا أساء. قال أبو نواس في شأن هذه الفتنة :

ما يراها الله إلا فتنة حين يراها

وقال :

رشاً لولا ملاحظته خلت الدنيا من العن.

وقال :

كلُّ جزء من محاسنه فيه أجزاء من الفتن
وليس هذا وحده ، فقدأ كثر الأولون من ذكر هذه الفتن ، وإن صبري
لعل هذا الأثر وفي ذلك السن :

فرقتهم في الهوى ثاراتهم

صدق ، فقد قيل قبل هذا :

قامت حرُوبُ الهوى على ساق.

فاجعى الأمر ، وصونى الأبرياء

ولم يكون هذا وقد قال ابن الفارض :

تجمعت الأهواء فيها ، فإزى بها غير صب لا يرى غير صبوتى

وقال مسلم بن الوليد قبله فى الرشيد :

إذا اختلفت أهواء قوم جمعهم

وجاء ابن هانى بعده فقال للعز :

وتجمعت فيك القلوب على الرضى

فاجعى الأمر ، وصونى الأبرياء

هو أقرب من هذا كله الى قول صفي الدين الحلى :

لعل الحب يرفق بالرعايا فيأخذ للبرى من الملجم

إن هذا الحسن كالما الذى فيه للأنفس رى وشفاة

بين الحسن والماء مسافة ما بين الاسم والكنية من قرب ، بل هما إن شئت المزيد
بمنزلة الجفن والهدب ، كل يحمل صفة صاحبه ، ويأتى أن يجرى عليهما حكم الفاعل
ولأبيه . الحسن ماء ، والماء حسن ، هما فى صفة واحدة ، عملهما واحد ، يقع فى دائرة
واحدة هى الحياة . هكذا يقول صبرى وما هو بعتهم ، ومن قبل قال الأبيوردى :
للحسن أمواه زوق بروضه وعلى جوانبه الدماء تراق

دع عنك إغادته على المتنبي في ذكر الشرف الرفيع وكيف يسلم وكن كأنك لا تعرفه ، إنما نحن بسبيل أمواه الحسن فهنا قتل تراق دماؤهم حولها ، وهناك في بيت صبرى نفوس تروبها هذه المباه فتحبها ، ولولاها لذهبت قتل ولكل وجهة . ولقد نظرت الأبيوردى إذ يقول في قصيدة أخرى :

يقولون ماء الحسن نحت عذاره على حاله الأولى ؛ وذلك غرور
ألسنا نعانف الماء من أجل شعرة ؟ إذا وقعت في الماء ، وهو غير ؟
ولكن ماء صبرى والله الحمد مصون من شعر الأبيوردى لاختلاف الموردين .
ولأبي الفاسم المطار في المعنى :

رقت محاسنه ، وراق نعيمها فكأنما ماء الحياة أدبها
ولقد حام أبو تمام على ماء الحسن فتناوله ، وسقى عشاق أدبه الصافي من نيمه
العذب ما أراد فقال :

صَبَّ الشبابُ عليها وهو مُقتبلٌ ماء من الحسن ما في صفوه كَدْرٌ
وقال في لونه آخر من الوصف :

خاضت محاسنها تخافُ غادرت ماء الصَّبَا والحسن غير زَلالٍ
ومن محاسن البهاء زهير قوله في هذا الباب :

رِيَّانٌ مِنْ ماءِ الجَمالِ مُهْفَفٌ أَرَأَيْتَ غُصْنَ البانِ كيف يَمِيلُ ؟
قال صبرى :

لا تذودى بمعضنا عن وِردِهِ دُونَ بعضٍ ، واعدلى بين الظما
يريد قسمة الماء ، وما هو بظالم ، ومن العناية أن يكون الشأن على حد ما قال
الأول :

نحومُ فتفشها العِصْيُ ، وحولها أقاطيعُ أنعامٍ نُقلُ ونُهلُ
ولك أن تقول :

وما شَرُّ الثَلَاثةِ أمٌّ حمراءُ بصاحبكِ الذى لا تصيحنا
قال صبرى :
أنتِ بيم الحسن ؛ فيه ازدهمت سُفُنُ الآمالِ يُزجِها الرجاءُ

يقذفُ الشوقُ بها في مأنجٍ بين لُجَيْنٍ ، عناءٍ وشقاءٍ
لهذه الصورة أشباه في أشعار السلف الأسبق ، قال بعضهم في الدنيا :
فكروا فيها ، فلما علموا أنها ليست لحيٍّ وطننا
جعلوها لُجَّةً ، واتخذوا صالح الأعمال فيها سُنُنًا
وهذه صورةٌ أخرى للمراج الوراق

يا بني الآمالِ قد خات الرجاؤُ وقد اشتدَّت ، وقد عزَّ العزاءُ
سُفنُ الآمالِ في بحرِ المنى وحلتْ منا ، فأين الرؤساءُ ؟
وهذه صورةٌ نالته لأبي الفاسم بن العطار :

الحبُّ تسبحُ في أمواجه المهبُّ لومدَّ كفًا إلى الغرقى به الفرجُ
بحرُ الهوى غرقت فيه سواحله فهل سمعتم ببحرِ كلُّهُ لُجَجٌ ؟

لم يبق بعد هذا من مربة في أن شاعرنا رحمه الله لم يخترع هذه الصورة ، ولقد
يُحْيَلُ البنا أنه كان أكثر نظراً إلى قول السراج الوراق فكما قال هذا (سفن
الآمال في بحر المنى) والآمال والمنى بمعنى ، كذلك قال صبرى (سفن الآمال
يزجيهما الرجاؤ) والآمال والرجاء بمنزلة واحدة ، وعجيبٌ أن يفهل صبرى عن مثل
هذا ، ولم تكون سفن الآمال عنده بين لُجَيْنٍ من عناء وشقاء وهى تزجى بقوة
الرجاء وعلى يده كما يقول ؟ وما هو وجه التنويع في قوله عنه وشقاء ، وهما من جنس
واحد ، فما بينهما من تفاوت ؟ كل هذا من الزلل أو أشدّه ، قال :

سارعني آمالَ أنفضاء الهوى بقبولٍ من سجاياك رُخاءً
ومجلّى واجعلني قومَ الهوى تحت عرش الشمس في الحكم سواةً

في قوله (قوم الهوى) بعد (أنفضاء الهوى) أزر واضح من آثار الفقر الذهني
والفاقة البيانية ، وقد كثر استعمال هذه الأنفضاء هى ومُضافها صورة ومعنى في أشعار
المتقدمين حتى لقد صارت السلامة في اجتنابها ، ومنه قول الطفرائي (يقتلن أنفضاء
حبٍّ لا حراكَ بها) وقول البحترى :

فان تُلفِنِي نَضْوَ العظامِ فانها جريرةٌ قلبي منذ كان على جسمي

أما ما أفرغه في الشطر الثاني من البيت على السجاياء من صفة القبول وهي ربح الصبأ فكذلك هو من القديم المستعمل ، قال أبو تمام :

خُلِقَ مُشْرِقٌ ، ورأى حَسَامٌ وودادٌ عَذْبٌ ، وربحٌ جَنُوبٌ

وأدقُّ من هذا في الوصف قول البيهقي :

خُلِقَ طَيِّعٌ إِذَا رِيضَ للجو دِ انْفَى عَظْمُهُ ، وطَاعَ عِناهُ

في البيت الثاني عرش الامارة ونظام الحكم ، وليس من حقنا ونحن بسبيل الفن أن نداعب روح شاعرنا العظيم وهو يضع للملكة الجلال ودولة الحب نظاماً باطلاً كهذا — إنه يريد النصفة والسوية . وما بهذا ومنه يرتفع شأن المملكة أو يستقيم أمر الدولة ، لا القوة الحامية تستطيع الأخذ بهذا الدستور الآخرق ، ولا الرعية على ضعفها وشدة حاجتها تقبل أن تحكم بهذه الشريعة الظالمة ، ومن اتخذ مذهباً غير هذا أو حاول أن يتخذه فقد جهل حق الجلال وعمى عن معنى الحب ، لسا بسبيل هذا كما قلنا ، فلننظر الى هذا الملك الكبير هل هو من مؤسسات شاعرنا ؟ كلا وإليك البيان ، قال زين الدين بن الوردى :

يا أميرَ الجلالِ قُلْ فالمراسيم تُستمعُ ا

وقال أبو محمد بن سارة :

كم قد رأت عيناى منك والياً للحسن، نتهب النفوسَ جنودُهُ

الدهرُ طوعُ يديه ، والدنيا له أمةٌ ، وأحرارُ الأنامِ عبيدُهُ

ويقول آخر :

فتمطف على رعائك يا من علق كفه لواء الجلال

ومن أشهر ما قيل في هذا الباب قول ابن النبيه :

أيا ملكَ القلوب فتكتَ فيها وفنكك في الرعية لا يحلُّ

ومن ملح السراج الوراق قوله في أحد هؤلاء الملوك وكان قد خلق حاجبه :

سلطانُ حسنٍ زاد في عدله فاختر أن لا يبقى بلا حاجب ا

قال صبرى :

أقبلُ نستقبل الدنيا وما ضمنت من معدّاتِ الهناء

واسفري ، تلك رحلى ما خلقت لتواري بلثام أو خباء
واخطري بين الندامى يحلفوا أن روضاً راح في النادى وجاء
وانطى ، ينثر اذا حدثنا نثر الدرّ علينا ما نشاء
لو خلا البيت الأول من (معدات الهناء) لكان خيراً ، وما رأيت هذه
المعدات النقيطة وقعت في شعر قبل هذا ولا بعده . وفي الهناء خلاف لغوى يعذر
فيه الذين ينكرون استعمال هذه الكلمة على الوجه المراد في البيت . ولكنهم
يخطئون في قولهم ان الصحيح هناة فالكلمتان بمعنى واحد ، وهما من المصادر
لقولهم هنا الطعام اذا ساغ ، ولم أرهما في الفصح المذهب من الكلام ، ولا معول
على قول ابن نباتة .

هناة مما ذاك العزاء المقدما فسا عبس المحزون حتى تبسما
ولا على قول بعض المغاربة :
وفتيان صدق عرسوا نحت دوحه وليس لهم الا الهناء فراش
في البيت الثانى امادة وتريد لكثير من اقوال المتقدمين ، وهذه أمثلة منها ،
قال أبو تمام :

ألقى النصف ، فانت خاذلة المها أُميّة الخالي ، وهو اللّاهى
ولابى الحسن النهامى :

حطى النقاب ، لعلّ سرب عيوننا فى روض حسنك يرتعين قليلا
وانظر الى منطق الشاب الظريف إذ يقول :

لك حُسنٌ وللأنامِ قلوبُ

ولغيره فى هذا المنحى :

يا أحسنَ العالمين وجهاً ما لك من أن محبةً بُدّ
كلّ هذا يعطى الصورة التى اشتمل عليها بيت صبرى ، وهو فى بعض لفظه
ومناه بعت بصلّة قوية الى قول مهبّار الديلمى فى النبايا :

لو لم تكن مخلوقة للرشف ، لم يخلقن فلجاً

سُيِّمَت النساء بالرياض كما سُمِّيَت الرجال بها . وكثر ذلك في الأدب القديم كثرة بالغة ، فليس في البيت الثالث أمر جديد ، وقد تنوعت تلك الصورة الوصفية التي تزيّن الروض يذهب وبجىء في النادي ، ويزيدها روعةً في ذاتها واستقراراً في نفسك أن يحلف الندامى كما يقول الشاعر أنها صورة صادقة ، وقد شاء مثل هذا في تأكيد الخبر الوصفي أو الصورة التشبيهية فهو كذلك من آثار الأولين ، ومنه قول أبي تمام :

والسيفُ يحلفُ أنَّكَ السيفُ الذي ما اهتزَّ إلا اجنتُ عرشَ عظيمٍ
واليك من الصُّور الأول ما يمحو من نفسك ذلك الأثر الذي علق بها من
بيت صبري ، قال أبو تمام :

خرجن في خضرة كالروضٍ ليس لها إلا الخلجُ على أعناقها زَهْرُ
هكذا وجدت البيت ، ولا معنى للخضرة هنا إلا إذا أريد بها وصف الثياب ،
وهو ما لا أظنه ، وقد جاءت الخضرة بمعنى النعومة وذلك أقرب إلى المراد ، وما
أظن الكلمة إلا محروقةً ، ولعلها في الأصل (نضرة) . وقال من قصيدة أخرى :

غيداً تجاذَ وَلِيُّ الحُسْنِ سَفَنَهَا فَصَاغَهَا بِيَدِهِ رَوْضَةً أَنْفَا
ولابن خفاجة الاندلسي :

يا بَانَةً تَهْتَزُّ فِينَانَةً وَرَوْضَةً تَنْفُجُ مِعْطَارًا

وقال طاهر البغدادي فزاد عليه :

خَطَرَتْ فَكَادَ الطَّيْرُ يَخْطُرُ فَوْقَهَا إِنَّ الْحَمَامَ لَمَغْرَمٌ بِالْبَانِ

ولعلّ روض شاعرنا الذي يذهب وبجىء في النادي أشبه شيء بروض كشاجم
أو بطاووسه المزيج حيث يقول في رثائه :

رُزِئَتْهُ رَوْضَةً تَزُوقُ وَلَمْ أَسْمَعْ بِرَوْضٍ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ١

وفي معنى المشي يقول أبو نواس :

بَدَرُ نَمٍّ فِي قَضِيبٍ مُمَوِّقٍ تَمَنَّى بِدَرٍّ عَلَى الْأَرْضِ مَشَى ٢

وهذا هو البحرى لا يكفيه أن يأتي بالروض ماشياً فهو يسوق الربيع كله إلى
ممدوحه ويضعه بين يديه ، قال :

أتاك الربيعُ الطلقُ بختالٍ ضاحكاً من الحسنِ حتى كاد أن يتكلم
نريد الاكتفاء بهذا، ويأبى ابن المعتز وابن هاني إلا أن يكونا من هذه الجبهة
فقد قال الأول :

وقفتُ بالروضِ أبكى فقدَ مُشبهه حتى بكت بدموعي أعينُ الزَّهرِ
وقال الثاني :

وما خلتُ أنَّ الروضَ بختالٍ مائباً ولا أن أرى في أظهرِ الخيلِ عبقراً
انتهينا الى البيت الرابع « وانطى ... » وفي معناه يقول البحري :

ولمَّا التقينا واللوى موعدٌ لنا تعجَّبَ رائي الدرَّ منا ولا قِطَّةُ
فن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث نسا قِطَّةُ
وللتوري :

نرى الدرَّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرَّ منظوماً إذا لم تكلم
وقال علي بن عطية البلنسي :

كلتني خلتُ دُرّاً نسيراً وتأمَّلتُ عقدها هل تنائرُ ؟
وللأمير محمد بن منبجك :

وكانَ الحديثُ منه هو اللؤلؤُ لؤلؤُ برَقَصُ بيننا والجنانُ
قال صبري :

وابسَمي ، مَنْ كانَ هذا ثغرُهُ يعلَا الدنيا ابتساماً وازدهاءُ
لا تخافي شططاً من أنفسٍ تعرُّ الصَّبوةُ فيها بالحياة
ويقول أبو نواس في معنى البيت الأول ، وفيه زيادة ظاهرة :

ظليَّ لِبَنِكَاهُ وَمَضَحَكَ فِينَا تُنِيرُ وَتُظْلِمُ الدُّنْيَا
وأما ما قيل في معنى العفة وهو محمّل البيت الثاني فكثير ، ومنه قول
مضر بن الحارث المرسي :

توقُّ اليك النفسُ ثمَّ أردُّها حياةً ، ومنلى بالحياة خليقُ
وقال مسلم بن الوليد :

أخذتُ لُطرفِ العينِ منها نصيبهُ
وأُخليتُ مِنْ كَفَى مكانِ المُخلخلِ
ولعبدِ اللهِ بنِ المعتزِّ :

كَمْ قد خلوتُ بِها وثالثُنا التَّثْنِي
بِحمى على الظَّمانِ بِرَدِّ المورِدِ
وقال المتنبي :

يَرُدُّ بِدَأْ عن نوبِها وهو قادِرُ
ويَعصِي الهوى في طيفِها وهو راقِدُ
ولغيره :

ما إِنْ دعاني الهوى لفاشِيةٍ
إِلَّا عصاهُ الحياءِ والكرَمُ
وقال آخر :

فَعصيتُ سُلطانَ أنَ الهوى
وأطعتُ مُسلطانَ العفافِ
وللشريف الرضي :

بَنّا ضَجيعينَ في قَوْبِي هَوَى وَثْقَى
بَلُغْنَا الشَّوْقَ مِنْ فِرْعَ إلى قَدَمِ
وله :

وَإِذا هَممتُ بِمَنْ أَحِبُّ أُمالي حَصَرَ يَعوقُ ، وَعَفَّةٌ تَهانِي
هَذَا شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ فِي مَعْنَى الْعَفَّةِ وَالْحَيَاءِ ، وَفِي الْبَيْتِ جَمَالٌ فَنِيَّ يَتِمُّثَلُ فِي الْعَبْوَةِ
تَعَثَّرَ بِالْحَيَاءِ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِالْعَثَرَةِ الْأُولَى تَقَعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَالشَّيْءِ ، فَانْ لَهَا لِنَظَائِرِ
كَثِيرَةٍ فِي أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، قَالَ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ :

فِي مَوْقِفِ مُغَضَى الْعِيونِ مَهَابَةٍ
فِيهِ ، وَيَعَثَرُ بِالْكَلَامِ الْمُنطَقُ
وقال الأبيوردي :

أَرَى نَظراتِ الْعَصَبِ يَعَثَرْنَ دُونَهَا
بِأَعْرَافِ جُرْدٍ أَوْ رَهوسِ عَوَالِ
وللقائد أبي الرضاء :

يَا قَالَةَ الشَّعْرِ قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ
وَلَسْتُ إِذْ هِيَ إِلَّا مِنَ النَّصَحِ
صَوْنُوا الْقَوافي ، فَأَرَى أَحَدًا
يَعَثَرُ فِيهِ الرِّجْلُ بِالنَّجِجِ
قال صبري :

أَنْتِ رُوحَانِيَّةٌ ! لَا تَدْعِي
أَنْ هَذَا الْحَسَنَ مِنْ طِينِ وَمَاءِ !

وقال شوقي :

صُونِي جَمَالَكَ عَنَّا ، إِنَّنَا بَشَرٌ
مِنَ الشَّرَابِ ، وَهَذَا الْحَسَنُ بِرُوحَانِي

وسواء كان المتقدم صبرى أو شوقي فالوصف قديم ، والصورة ترجع الى العصر الاول ، حتى أن القرآن الكريم لم يخل منها (فَلَمَّا رَأَيْتُ أَكْبَرَهُنَّ فَقَطَعْنِ أَيْدِيَهُنَّ وَأَفْجَسْنَ خَاشِعَاتٍ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) قال شاعر قديم :

أَوْ حَيِّيةَ الْعَبِينِ إِنْ لَكَ الْآهْلُ ؟
وَأَيَّةُ أَرْضٍ أَخْرَجَتْكَ ؟ فَانْتَبَهْ
فَقِي خَبْرِنَا ، مَا طَعِمْتَ ، وَمَا الَّذِي
فَاتَّ عِلَامَاتِ الْجَنَانِ مُبِينَةٌ
وَلَا بِي عَنَامَ :

إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا
وَلَهُ :

يَاهُذِهِ أَقْصَرَى ، مَا هُذِهِ بَشَرٌ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِي :

وَمُضْمَخَاتٍ بِالْعَبِيدِ ...
أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِ الرِّصَا
وَالشَّرِيفِ الرِّضَى :

أَنَا مِنْكَ فِي كَمَدٍ عَلَى كَمَدٍ
جَنِيَّةٌ ، وَقَبِيلُهَا بَشَرٌ
وَلِبَعْضِ الشَّعْرَاءِ (أَهْلًا بِهِ مَلَكًا فِي زِيِّ إِنْسَانٍ) وَلِغَيْرِهِ :

أَخْرَجَهُ رِضْوَانُ مِنْ دَارِهِ
خَافَةً أَنْ تُفْتَنَ الْحَوْرُ
قَالَ صَبْرِي :

وَانزَعَى عَنْ جِسْمِكَ النَّوْبَ بَيْنَ
لِلدَّلَا تَكْوِينُ سُكَّانِ السَّمَاءِ

وأرى الدنيا جناحي ملكٍ خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضياءٍ

ذهب البيت الأول بكل ما في القصيدة من أدب القول وزاغة النفس ، ولقد كان في قول الشاعر « واسفرى . . . البيت » مايكفي ولكنه أبى إلا أن يتزبد فيطلب نزع النياب ، وعجبت لشاعرنا النافذ البصر خليل مطران كيف يفضي عما في هذا البيت من شطط خلقي كبير وهو يمتدح هذه القصيدة في (المجلة المصرية) وينزّها عما وقع لبعض الشعراء المتقدمين في باب الغزل والنسب من مستنكر الوصف وساقط القول ، ولقد ازدحمت المعاني في البيت الثاني ازدحاماً يمثل لك لوحة من الصور الشمسية اختلطت فيها الرسوم والأصباغ حتى ما تكاد تسبقين كل رسم أو لون على حدة — إن صبرى يضع أمامك صورة الدنيا كأجل ما يكون الحسن ، وأحسن ما يكون الجمال ، ولكنك حين تكديّ ذهنك لفهم كيف تكون هذه الدنيا كجناحي ملك يقوم خلف تمثال من الضياء ، وما وجه الشبه بينها وبين هذين الجاحين ، وما هو هذا التمثال ، وما موضعه ومعناه من الصورة التشبيهية أو ايجازية أو أية صورة أخرى هي ما هي — انك حين تكديّ ذهنك لتنتزع من كل هذه الصورة الجميلة في ذاتها ، بل المتناهية في الجمال ، صورة معنوية ذات لون خاص ، أو دلالة خاصة ، لا تستفيد شيئاً آخر سوى ما اجتمع لك عند النظرة الأولى ، فحاصل البيت أن الدنيا جميلة ، وإذا كان الشاعر بصدد المرأة فلك أن تفهم أن هذا الجمال يمثل فيها ، وإذا أنت توسّعت في استنباط الأغراض والمعاني جعلت لجمال العفة والحياء وأدب النفس ، وهو ما ذكره في هذه القصيدة ، مكانه في هذه الصورة الخرساء . ولعلك واجد شبيهاً بين هذا الذي يقوله صبرى وبين قول صلاح الدين الصفدى في صفة القمر يبدو من خلال الفصوص وفيه خطأ كما سيجي :

كأنما الأغصان لما انثنت أمام بدر التّم في غيبة

بنتٍ مليكٍ خلفَ شبا كها تفرّجت منه على موكبة

لا أقول أن الشبه تام بين الصورتين ولكنه متقارب ، فأنت حين تعكس الصورة القائمة في هذين البيتين وتقف وراء الفصوص مستقبلاً القمر وهو يطالعك من خلالها تتمثل لك تلك الصورة التي يسوقها صبرى اليك في وصف الدنيا وتصويرها ، ففي هذه الفصوص مشابهة من جناحي الملك ، والقمر هو التمثال المصوغ

من الضياء ، ومثل هذه الصلة الوثيقة بين الصورتين مما يدركه علماء النقد وينظرون إليه نظراً واسعاً ، فجازئٌ عندهم أن يقال إن بيت صبرى مأخوذٌ من هذين البيتين اللذين لم يسلم صاحبهما من الخطأ ، بل هو قد أخطأ خطأً فاحشاً من جهة الوضع التشبيهي ، فهو قد أراد تشبيه القمر وهو يبعث بأنواره من وراء الغصون بينت الملك تطلُّ من خلف شابها لترى الموكب فأطلق هذا التشبيه على الأغصان لا عليه ، وقد نقده ابن حجة الحموى صاحب (خزانة الأدب) وأورد قول محي الدين ابن قرناص في تصحيح هذه الصورة :

وحديقة غنّاء بتنظم الندى بفروعها كالدرّ في الأسلاك

والبدْرُ يُشرق من خلال غصونها مثل المليلج يطلُّ من شبّاك

ولشاعرنا العظيم قصيدة في رثاء بطرس غالى باشا من أبياتها :

فتشتُ ، لما لم تجد مقلى كفوّاً ، عن الفضل ليكي معى

ف قيل لى : قد سار فى إثره يوم دفنائه ولم يرجع ا

لم يقل شيئاً ، فقد أسرف الشعراء فى مثل هذا ، ومنه قول أبى تمام :

ولم أنس سعى الجود خلف سريره بأ كسف بال ، يستقيم ويطلع

وما كنت أدري ، يعلم الله ، قبلها بأن الندى فى أهله يتشيع

ولك فى هذه الصورة الكنيرة الوجوه والنواحي ما يدلّك على اختناق الروح

الفنى فى قول شاعرنا :

سار ولم يرجع ... ، ول بعضهم فى هذا الباب :

نوى الجود والكافى معاً فى حفيرة لبائن كلّ منهما بأخيه

وقال الحسين بن مطير الأسدى :

ولما مضى معن مضى الجود والندى وأصبح عرينى المكارم أجدا

قال صبرى :

يانازلاً ببين وفود البلى آنسهم يامو حش الأربع

وقال شاعر قديم :

أمّا القبور فأنهن أوانس بجوارى فبرك ، والدبار قبور

ولابى بكر بن الصائغ :

لئن أنست تلك القبور بلحدهـ لقد أوحشت أقطارهُ وقصورهُ
وعلى هذا المنهاج درج البهاء زهير فى قوله يرئى بعض أصحابه :
الدارُ من بعدك قد أصبحت فى وحشةٍ يا مؤنس الدارِ
ولولا القافية وعنادها لقال يلمؤنس القبر ، وقد توسع المعرى فى هذا المعنى
فقال يرئى الشريف الطاهر الموسوى :

إن زاده الموتى كسائم فى البلى أ كفان أباج مكرم الأضيافـ
قال صبرى :

عينى فيك اليوم (فبطيئة) تروى الأسمى عن (مسلم) متوجعـ
والشطر الأول من هذا البيت صبرة ناطقة من قول ابن خفاجة الاندلسى :
تحنى به عينه تجوسية تبعث من وجنه نارا
ومسلم من رواية الحديث ، وهذا هو التوجيه عند البديعين ، ومنه
قول ابن نباتة المصرى :

ملك باهر المكارم يروى وجهه لتقيه عن (عطاء) و (بشر)
ولغيره فيه :

عن (نافع) وصَّله روى كما روى الهجر عن (ضرار)
ومن أجود ما قيل من هذا النوع قول ابن رشيح القيروانى فى الأمير نجم
ابن المعز :

أصح وأعلى ما معناه فى الندى من الطير المأثور منذ قديمـ
أحاديث تروىها السُّبُول ، عن الحيا عن البحر ، عن كف الأمير نجمـ
وقد عدوا الغاية فى هذا الباب قول علاء الدين الوداعى :

من أم بآبك لم تهرج جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من منـ
قالعين عن (قزفة) والكف عن (صله) والقلب عن (جارية) والأذن عن (حسن)
وبيت صبرى إذا فليس بهذا المقياس وأعنى من عيب التقليد وقع فى النقط
الأول والمنزلة العليا من هذا النوع ، وليس هذا بسبيلنا فنحن نريد إطلاق الروح

الفنى وتحريره من أمثال هذه القيود الصناعية التى ذهبت بمجد الأدب ، وأفسدت ماله من قوانين وأحكام . ولقد بلغ من أمر رجال المدرسة البديعية الذين أحدثوا هذه البدع المنكرة فى عالم الشعر أن جعلوا أشعار الفحول من غير فريقهم فى المنزلة الثانية ، وحسبك من هذا العيب أن ترى ابن حجة شيخ علمائهم يبالغ فى التشجيع لفنه حتى لبسكاد يقضى لصنى الدين الحلى وابن نباتة على المتلبي فيما وصف به قصيدتين لهما فى معارضة أبى الطيب ، وقد جعلنا موضوع هذه المعارضة قصيدته اللتين يقول فى مطلع احدهما :

بأبى الشمسُ الجانحاتُ غواريا اللابساتُ من الحرير جلابيا
ويقول فى مطلع الثانية :

أرقى على أرقى ، ومثل يارقُ وجوى يزيدُ ، وعبرة تفرقُ
فقال صنى الدين :

أسبلن من فوق النهود (ذوائبا) فتركن حبات القلوب (ذوائبا)
وقال ابن نباتة :

ما بث فيك بدمع عيني (أشرقُ) إلا وأنت من الغزالة (أشرقُ)

وكل هذا من أجل ذوائب وذوائب ، وأشرق وأشرق ، وهم يسمون هذا النوع الجنس التام ويكثر منه ، فانظر أى شيء من السموم الفنى فى هذه الصناعة ! وإليك لونين من قصيدة ابن نباتة فتذوقنها وارجع الى أثرها فى نفسك لترى أيتهما هو الشعر ، قال :

بمتار من دمعى عليك ذوو البكا فاعجب له من (سائله) يتصدقُ
يا حبذا ليل (نبيعُ) به الكرى لكننا (لا عن رضى نفرقُ)
ما سررتنى أن (الكُميت) بحسبها محوى الشقاء ، وأن قودى (ألقُ)

هذا هو اللون البديعى أو الصناعى ، فانظر ما يقول بعد هذا ولك الحكم :

قومٌ تذكراهم على مصحف العلى أصل الفخار ، وكل ذكر ملحقُ
الملكُ بعض ديارهم ، فليزلوا والنجمُ بعض جودهم ، فليرتقوا

هذا ولا ريب خير اللونين ، وأقوم السبيلين . ولنا نعاذى البديع فى ذاته فهو

عنصر فنى كبير الشأن ، ولكننا نكره أن يكون مناعة فاشية ، وأن يكون له مثل تلك الغلبة وذلك الطغيان . انظر الى قول عبد المطلب جدّ النبي ﷺ :

لا ينزلُ المجدُّ إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل
فذلك هو الاستطراء ، عند البديعيين ، ومنه قول القاضى الفاضل :

فكأننى ألفتُ ولائمَ في الهوى وكأن موعدةً وصلكم تنوينُ
هذه ملححة لا شك فيها ، ولكن أين هى من ذلك الجلال وتلك الفخامة ؟
ومن مُلح القوم في باب الاستعارة قول ابن رشيق :

بادرْ الى الذاتِ ، واركب لها سوابقَ اللهورِ ذواتِ المراحِ
من قبل أن ترشفتَ شمسُ الضحى ريقَ الغواذى من ثغورِ الأفاعِ
وقول الوليد بن حيان الشاطبي :

فوق خدِّ الرودِ دمعُ من عيونِ السحبِ يُذرفُ
برداءِ الشمسِ أضحى بعيد ما سال يُجفّفُ

ومن مختار ما يقع في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم :

وليلةً بتُ أسقى في غياهبها راحاً تسُلُّ شبايى من يدِ الحرمِ
ما زلتُ أشرها حتى نظرتُ إلى غزالةٍ الصبحِ ترعى نرجسَ الظلمِ
كلّ هذا مستحسن ، وجميل أن يقول ابن سكرة أحدُ غلائهم :

قيلَ ما أعددتَ للبرِّ دِ ، فقد جاء بشدةٍ
قلتُ درّاعةُ عرى تمنحها جُبّةُ رعدةٍ

ولكن أين هذا من قول ذى الرمة :

أقامت بها حتى دوى العودُ في الثرى ولفَّ الثريا في ملاءنِ الفجرِ
وقول الراعى :

همُ كاهلُ الدهرِ الذى يتقى به ومنكبُّه ، إن كان للدهرِ منكبُ

انظر الى الاعرابى كيف يتوقر في شعره فيقول « إن كان الدهر منكب » وتأمل حاله وحال من يجعل من العرى درّاعة ، ومن الرعدة جبة ، وإن العتني لمواطن يصفر فيها حتى ليكاد يزدرى ، فمن هذه المواطن الذميمة قوله في سيف الدولة :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تُلقى عليه الجوازم
 ليس بهذا ومثله بلغ المتنبي ما بلغ من شرف باذخ ومجد عظيم ، وأية قيمة لهذا
 البيت الذي هو أشبه بأشعار النحاة يعرض قوله في هذه القصيدة :
 وقفت ، وما في الموت شكٌ لو اقفى كأنك في جفن الردى ، وهو نائم
 تمرُّ بك الأبطالُ كلِّى هزيمةً ووجهك وضح ، وتفرُّكٌ باسم
 ضممت جناحيهم على القلبِ ضمةً تموتُ الخوافى مخنها والقوادمُ
 بضربٍ أتى الهاماتِ ، والنصرُ غائبٌ وصارَ إلى اللبّاتِ والنصرُ قادمٌ
 قال صبرى :

يا من سقاني الجمَّ من وُدِّهِ هذا ودادى كلُّهُ فا كرعِ
 وقال أبو تمام :
 ولقد أتيتك صادياً ، فكرعتُ في شِيبِهم الدَّ من الرُّلالِ الباردِ
 وللشريف الرضى :
 سقاني على الغُربِ كأمِّ الأنا مطلولةً بنسيم الصِّفا
 فهذا كلُّهُ من منبعٍ واحدٍ ، ومن أشهر شعره تلك القطعة الرقيقة التى
 يقول فيها :

أقصرُ فؤادى ، فالدُّكرى بنافعةٍ ولا بشافعةٍ في ردِّ ما كانا
 جرى في قوله « بنافعة ولا شافعة » على مشهور قول الناس ، وقد سبقه البهاء
 زهير إلى ذلك فقال :

أرْحَنِي منك حتى لا أرى مَنْظَرَكِ الوعرا
 فقد صرتُ أرى مُبْعَدَ لك عَنِّي الراحةَ الكبرى
 فما تنفعُ في الدَّنبِ ولا تشفعُ في الأخرى
 ومن هذا القبيل قولهم « الفاعل التارك » ولنور الدين المسبلي في فاعل على
 لغة أصحاب الأعمال عندنا :

وفاعله يتركى عامداً وهو رقى في الهوى مالكى

أقول للناس : ألا فاعجبوا من صنع هذا « الفاعل التارك » !
ومعنى البيت كله من قول المتنبي :

ولا يَرُدُّ عليكِ الغائتَ الحزنَ

قال صبري بخاطب فؤاده :

سلا الفؤادُ الذي شاطرتهُ زمناً حملَ الصبابةُ ، فاحققْ وحدكَ الآنا
الصورة في هذا البيت معكوسة ، والمعنى غير مستقيم ، فقد أراد الشاعر أن
يقول لقلبه إن القلب الذي كان يشاطرك حمل الصبابة قد سلا ، فأجرى فعل
المشاطرة على قلبه هو ، وأنت ترى أن وقوع الفعل من قبَله يُعْفيه من عناء هذا
السلو ، ويريمه من ذلك العبء الذي كان يحمله ، وإذاً فلا معنى لأن يحقق وحده ،
ومعنى البيت على الوجه المستقيم من المعاني المطروفة لانتخاذه صورة الحكاية التي
قل أن يخلو منها شعر الحب ، أو تدعها السنة المحبين ، فمن ذلك قول بعضهم :

أشكو الذين أذاقوني محبتهم حتى إذا أنظفوني للهوى رقدوا

وقول الشريف الرضي :

أحذاك حرَّ الوجْدِ ، غيرَ مُهاهم وسفك كاسِ الهمِّ غيرَ مُماقرٍ

وفي معنى شمانة الشاعر بقلبه وقوله (فاحقق وحدك الآنا) يقول عبيد الله
ابن عتبة :

قدنق هجرها ، قد كنت نزعم أنه رشاد ، ألا فأنار بما كذب الزعم

وللطغرائي في معنى البيت كله :

يا قلبُ مالك والهوى من بعد ما طاب السلو وأقصر العشاق ؟

أوما بدالك في الإفاقة ، والألى نازعتهم كأس الغرام أفافوا ؟

مرض النسيم وصح ، والداء الذي أشعكوه لا يرجي له إفراق ؟

وهذا خفوق البرق ، والقلب الذي تُطوى عليه أضمالي خفاق ؟

وهذا ابن وكيع يقول في معنى الشمانة بالقلب :

لقد شمت بقلبي لا فرج الله عنه

كم لمت في هواه فقال : لا بُدَّ منه ؟

قال صبرى :

هلاً أخذت لهذا اليوم اهبتهُ من قبل أن نصبح الأشواقُ أشجاناً
أخذُ الأعبة للامر قبل وقوعه مما كثر القولُ فيه ، ولكننا من هذا البيت أمام
أمر لا يحلُّ مثله عقدة ، ولا نؤخذ له عُدة ، وقد يستقيم قول بعضهم :

أقول لها ، والدَّمعُ يَنْلبُ صبرها أَعْدَى لِقْدَى ما استطعت من الصبر

قد يستقيم هذا ، وقد يكون مقبولا كذلك قول ابن المعتز :

كلما فُكَّرَ في الهجر بكي وبِحتُ يسكى لما لم يقع

فأما أن يأخذ الحبُّ عدته لسلو الحبيب أو لغدره فلا معنى له سوى انتقاض
الحب وفساد العلاقة ، ومثل هذا وإن جرى في القول مجرى الملح فليس بشيء في
مقام النقد ومعرض البحث والنظر ، ومن هذا العيب قول ابن رشيق والمعنى في
البيت الأول مسخر للغرض المتمثل في البيت الثاني :

فكرتُ ليلة وصلها في صدّها فجرت بقايا أدمى كالعندم

فطفتُ أمسحُ مقلتي في نحرها إذ عادة الكافور إمساكُ الدَّم

إن حال صبرى في هذا البيت لقريب من حال ذلك الشاعر الذي يقول :

ولما نزلنا على زمزم ونحن نريد طواف الأفاضة

بكيتُ فقالت : على مَ البنكا ؟ فقلتُ : على الودِّ أخشى انتقاضه

فقلتُ : صدقت ، ولكنى أعلمُ نفسى طريقَ الرابضة

يرى صبرى في هذا البيت بين الأشواق والأشجان منزلة ، وأن الأول أخفُّ
محملاً ، وأيسرُ عناءً ، وإذا فقد كان قلبه يستطيع أن يتخذ العدة والأشواق
وحدها هي الغالية عليه ، فهذا من جد القول وصحيح الكلام ؟ لعل قول
الشاعر الحكيم (لا يعرف الشوق إلا من يكابده) إنما أُعيد لهذا الذي يقوله
شاعرنا العظيم ، وارجته لقيس لُبني إذ يقول :

فواكبدي من شدق الشوق والجوى وواكبدي ، إلى الله راجعاً

وهذا آخر بصف لنا الشوق فيصدق :

رَعَى اللهُ مَنْ هَامَ الْفَوَادُ بِحُبِّهِ وَمَنْ رَكَدَتْ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ أُطِيرُ

وانظر الى الشهيد عروة بن حزام إذ يقول لمتافته :

مَنْ تَجَمَّعَ شَوْقِي وَشَوْقُكَ نَظْمِي وَمَا لَكَ بِالْعَبْرِ النَقِيلَ يَدَانِ

هو الشوق منذ العهد الأول ، لم يحل عن طبيعته ولم يتغير ، هو الذى قال فيه مسلم بن الوليد (أغرى به الشوق ليل الساهر الرمد) وقال فيه أبو تمام :

هَذَا مُحِبِّكَ أَدَمَى الشَّوْقُ مُهْجَنَهُ فَكَيْفَ تُشْكِرُ أَنْ تَدَمَى مَا قَبِيَ ؟

ووصفه فى مكان آخر فقال :

لَتَسَارُ نَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِ الْفَتَى وَالْبَيْنُ يُوقِدُهُ هَوَى مَسْمُومُ

خَيْرُهُ لَمْ يَنْ أَنْ يُخَامَرَ صَدْرُهُ وَخَشَاهُ مَعْرُوفُ أَمْرِي مَكْنُومُ

أنا آنيك بصبرى نفسه ينقض ذلك القول وينادى أن الأشواق عنصر نارى ، وأنها هى والأشجان بمنزلة واحدة ، فاسمع ماذا يقول فى قطعة أخرى :

يَا مَنْ أَقَامَ فَوَادِي إِذْ تَمْلِكُهُ مَا بَيْنَ نَارَيْنِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ شَجْنٍ

الحمد لله ، ظهر الحق واستبان السبيل ، ونحن نضع الآن هذه القطعة الأنيقة بين يدى النقد ، وإنا لنرى هذا البيت كثير التطلع فى منهجه ومرماه الى قول أبى جعفر بن البنى :

يَا مَنْ يَعْذِبُنِي لَمَّا تَمْلِكُنِي مَاذَا تَرِيدُ بَعْذِيبِي وَإِضْرَارِي ؟

وقد تم المراد فى هذا البيت ، وحلا بيت صبرى من كل شيء ، فهو لا يفيد معنى فى ذاته ، ولا يعطيك صورة مستقلة من نفسه ، وهذا من عيوب الشعر ، وفى النارين والامتعانة بهما على تزيين الكلام وتنميقه يقول أبو نواس :

صَلَبْتُ مِنْ حَبِّهَا نَارَيْنِ : وَاحِدَةً بَيْنَ الضُّلُوعِ ، وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي

ويقول الخطيب الحمصكى :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِنْ نَارَيْنِ : وَاحِدَةٍ فِي وَجْنَتَيْهِ ، وَأُخْرَى مِنْهُ فِي كَبِدِي

قال صبرى :

تَغْدِيكَ أَمِينُ نَوْمٍ حَوْلَكَ أَزْدَحَتْ عَطَشِي إِلَى نَهْلِهِ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ

وفي معنى ازدهام العيون حول هذا المورد العذب يقول الشيخ أبو الفضل بن أبي الوفاء :

على وجنتيه جَنَّةٌ ذاتُ بهجةٍ ترى لعيون الناس فيها تزاها
ولا بى تمام :

أنّ حزنى على ، لا بل عليك بل على مُهجةٍ تسيل لديك
أنت تُزهى بصورة غدت الأب..... صارُ من حُسنها وراحت عليك
وقال :

لطفَ نفسى على ، لا بل عليك أن تحبّولَ العيونُ فى خديكا
وعزيرُ على أن تحبّنى الأب..... صارُ زهرَ الربيع من وجنتيك
ولعلاء الدين الماردينى :

قد كتبَ الحسنُ على وجهه : يا أعينَ الناسِ ، قفى وانظرى !
فأما حُسنُ الوجوه وما فيه من ماء هو رى العيون الظماء والقلوب الحائمة ،
فليس هذا بأول العهد به ، وهذه طائفة من أخباره . قال ابن خفاجة الأندلسى :

أما ترى الماء على وجهه يحبّولُ ، والنارَ على وجنتيه
فوجّههُ ربيّاً ككفرى به وخدّه وفقدأ كقلبي عليه
وقال :

ترقرقُ ماءُ مُقلنائى ووجههُ ويذكر على قلبي ووجنته الجهرُ
ولبعضهم :

أشكو الصدى أبداً وما الحسنُ فى خديهِ جارِ
ومن الاختنان فى هذا الباب قول الآخر :

لم تَرِدْ ماءَ حُسنِكَ العينُ إلّا شَرقتْ قبلَ ربيّها برفيب
وهل أناك حديث « أفواه المنى » ترشف ذلك الماء ثمت تصدر ظمأى وأنت
تظنها رواه ؟ قال صاحب الرحانة :

ماءَ الجلالِ فى رياضِ خدّها ورَدُّ بأفواه المنى مُستعذبُ

ولابن خفاجة الأندلسي :

فكاد يشربُ نفسي وكدتُ أشربُ خدُهُ !
ومثله أو قريبٌ منه قول الآخر :
يكاد أن يشربه إذا تبدى نظري !

ونحن نختم هذا الباب ببيتين قيل إنيهما للمهلب في غلام تركي جعله معز الدولة
قائد جيش سيّره لقتال بني حمدان ، والشاهد في قوله (يروق الماء في وجنانه) ، قال :
ظبيُّ يروقُ الماء في وجنانه ، وَيروقُ عودُهُ
جَعَلُوهُ قائِدَ عسكرِ ضاع الرّاعيلُ ومن بقودُهُ

قال صبري :

جَرَدَتْ كُلَّ مَليحٍ من مَلاحته لم تنقِ الله في ظبي ولا عُصنِـ
فاستبقِ للبدر بين الشنب رُبنته تَمْلِكُهُ في أوَجِهٍ عَبْدًا بَلًا ثَمَنِـ
الظبيُّ والعُصنُ والبدرُ ، أو الشمسُ حيناً ، هذا هو مدارُ القول عند الأولين
إذ يبالغون في وصف الجمال . جاء صبري بهذه المجموعة في البيتين لسكيلا يفوت
شيء ، وليكون قوله في البيت الأول (جردت كل مَليح من مَلاحته) متناوِلاً
كل ما يقع في معناه ، أو يقوم تحت حكمه ، فلم يذكر البدر لاضطربت (كل)
في مكانها ، وفقدت الشطر الأكبر من قوتها وسلطانها ، وما أظن البراعة في وصف
الجمال ، أو المبالغة فيه على وجه الإجمال ، قد فارقت بيت البحرى الذى يقول فيه :
أُعْطِيَتْ بِسُطَّةٍ عَلَى النَّاسِ حَتَّى هِيَ صِنْفٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَسَنِ صِنْفٌ
وَمِنَ الشَّعْرِ الْجَامِعِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

كُلُّ حُسْنٍ فِي الْبَرَايَا قَمُورٌ مَنْسُوبٌ إِلَيْكَ

وأبلغ من هذين قول عبدالله بن عبدالله :

سألى : وما سألى ؟ تفوقُ المُنَى والحسنُ أوصافاً وألواناً

ولبحرئى في المجرى الذى تتبعه صبرى ، وهو عندى في المحل الثانى :

فِيهِ الشَّمْسُ بِهَجَةٍ ، وَالْقَضِيبُ نَحْنُ لِنَنَا ، وَالرَّيْمُ طَرْفًا وَرَجِيدًا

وله :

في طلعة الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تنقيها
وقال مهباز الديلمي :

سلاطينة الوادي ، وما الظبي مثلها وإن كان مصقول الترائب أكحلا :
أنتِ أمرتِ البدر أن يصدع الدجى وعلمت غصن البان أن يسميلاً ؟

وهذان شاعران ، هذا ينهم موصوفه بالسرقة من الظبي والفصن ، وهذا ينهم
الغزلان بالسرقة من موصوفه ، قال الأول وهو أبو الفتح بن عبد السلام المغربي :
سرقَ الجيّدَ والحافظَ من الظبي ، ولينَ الغلامَ من غصنِ بانٍ .
وقال الثاني وهو القطب المسكي :

ما أذى الغزلانَ إلا سرقتي منك جيداً والتفاناً وحسدي
نم خانت ، فتولت شرّداً كيف لا يشرّدُ خوفاً من سرقتي ؟

أما ما قيل في البدر وحده ومنزلته من الموصوف بالجمال من قبل أن يتناوله
صبري ويضعه في ذلك المكان ، فهذا طرف منه ، قال عبد الله بن المعتز :
كدتُ أقولُ البدرُ شبهةٌ لها أجعلها كالبدري ؟ حاشاها !
وقال الشيخ زين الدين بن الوردى :

وبى أغيدٌ من حصنه البدرُ خائفٌ على نفسه ، والنجمُ في القربِ مائلٌ

نريد أن نقرب من غرض صبري ، ففي هذا البيت أن البدر خائف على نفسه
وترجة هذه العبارة في بيت صبري (واستبق للبدر بين الشهب رنبتة) أي أنه خائف
فاعطه الأمان ، فبقى أن يكون عبداً ، أو عبداً بلائمن ، وأليك ما يقوله أحد الشعراء :
في النوم عني ، يا لقومي ، مهفٌ غلامٌ ، ولكنّ الهلالَ غلامُهُ !

لعلك تقول أين الغلام من العبد ، وهل الهلال كالبدري ؟ ليس لك أن تقول
هذا ، ولكني موافق فذاكرتك قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :

وأنتَ تعظمُ عندي أن يُسمى البدرُ عبدك !

سنقول وابن موضع (بلائمن) من الشعر القديم ؟ الجواب عند البهاء زهير ،

قال :

لَكُمْ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ لَكُمْ السَّرُّ وَالْعَلَنُ
أَنَا عَبْدُهُ مَلِكْتُمُو هُوَ ، وَلَكِنْ بَلَا نَحْنُ !

قال صبرى من قطعة أخرى :

يَا أَمْسَى الْحَيِّ ، هَلْ فَتَشْتَ فِي كَبْدِي ؟ وَهَلْ تَبَيَّنْتَ دَاءً فِي زَوَايَاهَا ؟
أَوَاهُ مِنْ حُرْقٍ أودتْ بِمَعْظَمِهَا وَلَمْ تَزَلْ تَتَمَتَّعْ فِي بَقَايَاهَا

يقال فتش الشيء وفش عنه ، فقوله (فتشت في كبدي) خطأ لغوى ، وقد ورد هذا الفعل على وجهه الصحيح في غير ما موضع من الشعر ، قال المتنبي :

طَلَبْتُهُمْ عَلَى الْأُمُورِ حَتَّى تَخَوَّفَ أَنْ تُفَشَّشَهُ السَّحَابُ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ لِلنَّهَامِي :

وَلَرُبَّمَا فَتَشْتَ بَعْضَ عَطَائِهِ فَوَجَدْتَ فِيهِ السَّيِّدَ الْبُهْلُولَا
وَلَا حُدَّ الشُّعْرَاءُ :

يَا وَجَّحَ قَلْبِهِ مَا خَلَا مِنْ شُغْلِهِ بِصِبَاةٍ وَمَحَبَّةٍ مُمَزَّجَا
لَوْ فَتَشَّوْهُ ، لَمَارَأَوْا السَّوَى الْهَوَى فِيهِ ، وَلَا غَيْرَ الْغَرَامِ مَكَانَا

وفي هذه الزوايا التي ذكرها صبرى يقول البهاء زهير :

وَيَمِيلُ بِي لِحَوْ الصَّبِيِّ قَلْبُهُ رَفِيقُ الْخَاشِيَةِ فِيهِ مِنَ الطَّرَبِ الْقَدِيمِ م. بَقِيَّةٌ فِي الزَّوَايَةِ

ولنأصح الدين الأَرَجَانِي :

تَأْمَلْ نَحْتِ ذَاكَ الصَّدْعِ خَالَا لَتَعْلَمْ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا !

فأمَّا تلك البقايا الواردة في البيت الثاني فحسبك من قديم ذكرها ما نسوقه اليك ، قال الشاعر :

وَمَا أَبْنَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنْى سِوَى رُوحِ تَرَدُّدٍ فِي خِيَالِ

وقال آخر :

لَمْ يُبْقِ مِنْ كَبْدِي شَيْئًا أَعِيشُ بِهِ طُولُ الصَّبَاةِ ، وَالْبَيْضُ الْعَطَائِلُ

ولأبي بكر بن دريد :

انّ الذي أبقيت من جسمه
صباية لو أنّها قطرة
وقال البهاء زهير :

لك الحياة فاني
لم يبق مني الا
وقال :

لم يبق غير حشاشه
وما أكثر الشبه بين البيت الثاني من هذه القطعة وبين قول المتنبي يذكر
خروجه من أرض قطمها :

حتى وصلت بنفس مات أكثرها
وليتني عشت منها بالذي فصلنا
لشاعرنا الكريم أبيات من جسد شعره في معنى الوداع ناجي فيها قلبه ، لا يدري
أهو إن همّ الفراق ناصره ، أو هو مُسلّمه فخاذله ، ووَصَفَ ساعةَ البين بمصنف
بالأحباب ، وأنها قطعة من العذاب ، وأنت تراه يجود بروحه فداءً لمن يرفق به
فيمحو هذه الساعة الشديدة الهول من صحيفة المقدور ، قال :

أترى أنت خاذلي ساعة التو
ديع يا قلب في غد ، أم نصيري ؟
ويك قل لي متى أراك بجنبي
راضياً عن مكانك المهجور ؟
ساعة البين ، قطعة أنت قدت
للمحبين من عذاب السعير
لا تحيني - روى الفداء لمناجي لك غداً من صحيفة المقدور

يناجي الشاعر قلبه في البيت الأول مناجاة الحاضر معه ، ثم ينظر فلا يراه ،
وينصت لسمع جوابه فلا يجد سوى صدامه ا هو في البيت الثاني غائب عن مكانه
المهجور لا يعطف عليه ، ولا يرضى عنه فيرجع اليه — هذا هو التدلّه ، والله
لشفيع ووجيه لمن يُصاب به فيخالف هواك ، أو يعدل بك عن السبيل ، هو
التدلّه ، فان أبيت فهو التلاعب البياني ما للشاعر المتصرّف في فنون الكلام منه
بدّه ، ولا لك عليه من سلطان وهو يأخذك به — أفان صبري بعد البيت الأول
من ذلك التدلّه ، أو هو قد جرى على منهاجه في هذا التلاعب ، فإذا به يسأل قلبه

متى أنت راجع ؟ وما تصنع القلوب والجُتوب بلاقع ؟ جرى صبرى فى هذا على
سنة الأولين ، فوضع قلبه بين قلوبهم ، وضمّ جنبه الى جُتوبهم ، وهذا هو
المتنبى يقول :

أنظعنْ يا قلبُ معْ مَنْ ظعنْ حبيبين ؟ أندبُ نفسى إذن ؟
ولم لا تُصابْ ، وحربُ البسو من بين الجفون ، وبين الوسن ؟
وهل أنا بعدكم عائشٌ وقد بان قلبى ، وبان السكن ؟
وللأبيوردى :

ظعنوا ، فما لك لا تفارقهم يا قلبُ إن ظعنوا ، وإن حطوا ؟
وما أشبه صبرى بابن ميادة إذ يقول :
فوالله ما أدرى ، أينبنى الهوى إذا جدّ جدُّ البين ، أم أنا غالبه
وفى معنى البيت الثانى يقول صنى الدين الحلى :

هجرت بعدك القلوبُ الجسوما حين أمست منك الديارُ رؤوما
وأقربُ من هذا الى غرض صبرى قول ابن المعلم :

سألتُ جسمى عن ساكنه ومن الجهل سؤالُ الطلل
ومما ينسب الى غرودد الموسوس :
فلما تولّوا ولّتْ النفسُ فيهم فقلتُ ارجعى اقلت : إلى ابن أرجع ؟
إلى جسدٍ ما فيه لحمٌ ولا دمٌ وما هو الا أعظمُ تنقمعُ
وللبودينى :

تمنازلُ هذا القلب كانت أواهلاً وما هى من بعدِ الفراقِ طولُ

فأما ساعة البين وانها قطعة من المذاب أو أشدّ ، فمن الشائع المتواتر ، ومنه قول
أبى بكر الزبيدى :

ما خلّق الله من عذابٍ أشدّ من وقفِ الوداعِ
وقول أبى تمام فى الآيات الثلاثة :

أما الهوى فهو العذابُ فإن جرت فيه النوى ، فاليمُ كلُّ اليمِ

قالوا الرحيلُ فما شككتُ بأنها نفسى عن الدنيا تريدُ رحيلاً

أظلهُ البينُ حتى أنه رجلٌ لو مات من شغله بالبينِ ما علما
وقال احمد بن عبد ربه :

يا سقيمَ الجفونِ من غيرِ سقمٍ بين عينيكَ مَصْرَعُ العشاقِ
إنَّ يومَ الفراقِ أصعبُ يومٍ ليتنى متُّ قبلَ يومِ الفراقِ
ولبعضهم :

والله ما فارقتهم لكننى فارقْتُ قلبى
وللبهاء زهير :

أنت الحياةُ ومنَ نفا رقةُ الحياةُ فكيف حاله ۱۲

فى البيت الرابع من أبيات صبرى معن، يبدو كأنه طريف ، فهو يبذل روحه
أو (جائزة) لمن يمحو ساعة الفراق من صحيفة المقدور ، وعلى هذا الوجه فهو يؤثر
أن يموت قبل أن نحين هذه الساعة ، وهنا يلتقى هو واحمد بن عبد ربه فى قوله
(ليتنى متُّ قبلَ يومِ الفراق) ويبقى له بعد ذلك نحو الساعة من الصحيفة ، واقتطاعها
من الغد أو من الزمن ، وهذا شاعر قديم يجاوز هذا الحد فلا يريد الا أن يزول
الغد كله من مجموعة الدهر وجريدة الايام ، قال :

قالوا الرحيلُ غداً ، عدمتكَ يا غداً !

ومن الصُّورِ الواردة فى هذا الباب قول البيهقى :

يا يومُ عرجٍ ، بل وراك يا غداً قد أجمعوا بيننا ، وأنتَ الموعدُ

ومنها قول كلثوم بن صعب ، والشاهد فى البيت الثانى :

دما داعياً بينَ ، فن كان باكباً معى من فراق الحى ، فليأتنى غداً
فليت غداً يومٌ سواه ، وما بقى من الدهر لبلٍ يحبسُ الناسَ سرمداً
لتبكي غرائبقُ الشبابِ فأننى إخالُ غداً من فرقة الحى موعداً

وهذه صورة أخرى فى آخر لابن المعتز ، قال :

طلوّ فى أيلولَ شهرُ الصيامِ وما قضينا فيه حقَّ المدامِ

والله لا أدرى عن الدهر ، أو يسرق شهر الصوم في كل عام !
فأنت تأخذ من جلال هذه الصور أن صبري لم يبتدع شيئاً في أمر ذلك المحو الذي
أرادته ، وهو جهدٌ مارمى إليه في تلك القطعة ، وأحب أن يذكر له ويؤثر عنه .
وهذه قطعة أخرى من شعره ، قال :

نمسي تذكرنا الشبابَ وعهدَهُ حسناً مرهفهُ القوامَ فنذكرهُ
هيفاً أسكرها الجلالُ ، وبعضُ ما أوقى على قدرِ الكفايةِ يُسكرهُ
كثيبُ القلوبِ إلى الرموسِ ، إذ أبدت وتُطِلُّ من حدِّقِ العيونِ وتُنظرهُ
ونبيتُ تكفرُ بالشجورِ فلا تُدْ فاذا دنتُ من محورها تستغفرهُ
وزبد في فها اللآلئِ قيمةً حتى يسودَ كبيرُهنَّ الأصغرُ

تأتى الشاعر في صياغة هذه القطعة الفنية الرائعة وتلوينها ، واستعان على تأدية
أغراضه فيها بأساليبٍ لطافٍ ، ووسائلٍ ما في براعتها وحسن اتساقها من خلاف ،
وانما يتمشى النقد في هذه القطعة على الأغراض والمعاني ، وإن كان قوله (هيفاً)
في البيت الثاني بعد قوله (مرهضة القوام) في البيت الأول من فضول الكلام ،
وما أرى البيت الآخر صورة من قول المتنبي :

وفتاتٍ العيينِ ، فقالَ الهوى إذا تفتحتُ شبحاً روائحها شبحاً

ولقد بدأ الشاعر القطعة بتذكر الشباب وعهده ، وما برح هذا التذكر يستطير
رنيته في أشعار الماضين ، ويتجاوب صدهاء في نفوس المتأدين ، قال منصور الخيري :

ما تنقضى حسرةً منى ولا جزعُ اذا ذكرتُ شباباً ليس يُرنجِعُ
وقال المبرسي :

ولقد سلوتُ عن الشبابِ كما سلا غيري ؟ ولكن للحزين تذكرُ

وهذا من الأغراض العامة والمواطن المباحة ، وليس في هذا البيت من
الصُّور الفنية الخاصة أو المعاني المولدة ، ما هو من النظر بموضع أو من النقد
بسبيل ، وموضع ذلك في البيت الثاني حيث يقول الشاعر (هيفاً أسكرها الجلال)
وما أبرح ما لاقت النفوس من هذا الشراب الذي أسكر الشعر والشعراء ، فألهمه
اغنية الحب ، وعلمهم كيف يرددون أنغامها الروحية الصافية على معازف الفن .
قال البهتري في معنى ذلك السكر :

وبوم ثلثت للوداع ، وسلّمت
توهّمها ألوى بأعطافها الكرى
بمئين موصول بلحظها السحر
كرى النوم ، أو مالت بأعطافها الخمر
وقال المتنبي :

وغضبي من الادلال ، سكرى من العسبي
ومن قول ابن هاني :

منعوك من سينة الكرى ، وسروا ، فلو
ودعوك سكرى ، ماسقوك مدامة
عثروا بطيف طارق ظنوك
لما تمايل عطفك أنهموك
ولبعضهم :

يرنحها سكر الشباب ، فتننى
وزاد جمال الدين بن مطروح على كل هذا فقال :

نشوان ، ما شرب المدام ، وانما
قال صبرى فى البيت الثالث :

ناب القلوب الى الرؤوس ، إذا بدت
حدّد الشاعر مرعى تلك الحركة التى تأخذ القلوب إذا بدت موصوفته بقوله
(تطلّ وتنظر) وهذا معنى فاسد ، لأن القلب لا ينظر من العين ، ولسانى مقام
البحث العلمى ، فحبنا شهادة الشعر ، قال بشار :

يزهّدنى فى حبّ عبدة معشر
قلوبهم فيها مغالفة قلبى
قللت دعوا قلبى وما اختار وارنقى
وما تبصر العيان فى موضع الهوى
فبالقلب لا بالعين تبصر ذو اللب
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

فان قيل إن بشاراً أعمى يفتصر لنفسه ، فهذه أقوال طائفة من المبصرين حاول
المعرى أن يتعلّق بها فنغيناه ، قال الشريف الرضى :

إذا توجّس كان القلب ناظره
والقلب ينظر ما لا ينظر البصر

أغار عليه البهاء زهير فقال فى المعنى :

إنى عشقتك ، لا عن رؤية عرّصت
فقيت منك بأوصاف مجرّدة
والقلب يذكرك ما لا يدرك النظر
فى القلب منها معان ما لها صور

وقال حسن بن محمد البوريني من شعراء الربحانة :

أحوُلٌ وجهي حين يُقبلُ عامداً بخافةٍ واشٍ بيننا ورقب
وفي باطنى - واقفه أعلم - أعينٌ تلاحظه في أضلعٍ وقلوبٍ
ولصاحب الربحانة :

وَنَنْظُرُهُ مِنْ قَلْبِي الصَّبِّ أَعَيْنٌ عليها لِمَتَحْنِي الضَّلُوعُ حَوَاجِبُ
وَلِمَ هَذَا كُلُّهُ ؟ أَمَا كَانَ كَافِيَا أَنْ يَقَالَ (قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا عَيُونَ ؟) وَلَقَدْ
أَبْصَرْتُ الْقُلُوبَ الَّتِي جَعَلَهَا صَبْرِي نَتَبَ إِلَى الرُّؤُوسِ بِشَادَتِهِ هُوَ ، وَلَيْسَ بِمَدِّ هَذَا
كُلُّهُ مِنْ دَلِيلٍ عَلَى فُسَادِ الْمَعْنَى الَّذِي جَاءَنَا بِهِ ، وَانْظُرْ مَا يَقُولُ أَحْمَدُ الْكَيَوَانِي الشَّاعِرُ
الدِّسْتَنِي فِي الْمَأْخُودِينَ بِسُلْطَانِ الْجَمَالِ :

قُلُوبُهُمْ كُلُّهَا عَيُونٌَ وَكُلُّ أَعْصَامِهِمْ قُلُوبٌ أ

لو أنصف صبري لأعنى القلوب من ذلك الوئوب ، أو لأطلقها من تلك القيود
التي احتجزتها وراء العيون ، ولستنا نكتم شهادة ذلك الشاعر الذي يؤم قوله أن
شاعرنا على شيء من الصواب ، وهذا ما لا يكون إلا على أضعف وجوه التأويل
وأدق مدارج الاستنباط ، ذلك هو شهاب الدين بن رضوان الغرناطي ، قال :

يَا مَنْ اخْتَارَ فَوَادِي سَكَنًا بَابُهُ الْعَيْنُ الَّتِي تَزَعُّهُ
فَتَحَّ البابُ مُهَادِي بِمَدِّكُمْ فاعنوا طيفكم بظلمة !

جمل العين باب القلب ، وهذا وصف صحيح في أكثره وهو يحتمل تجويزاً أن يقال إن
وئوب القلوب إلى الرؤوس لتطل من حدق العيون وتنتظر انماها في حكم من يرى أمام دأره
منظراً حسناً أو غير حسن من المناظر التي تنير النفوس فيهرع إلى الباب لينظر عن
قرب ، ولكن هل يستقيم هذا المثل والوصف جاري على القلوب ؟

تلك إحدى الصورتين ، فأما الأخرى فحركة القلب في ذاتها وصلتها بالشعر
القديم ، وليس من هذه الصورة ما قبيل في القلوب تطير شوقاً أو فزعاً ، ولكن
منها قول أبي تمام :

مَشَتْ قُلُوبُ أَنَاسٍ فِي مَدُورِهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ تَمَشَّى بِحَوْصِ قَدَمَا

البيت في معنى الفزع ، ولكن حركة القلوب فيه أشبه بها في بيت صبري ،
فهي تمشى هنا وتنب هناك ، وبين المشى والوئوب ما ترى من مجاور وقرب . ومن
هذا النوع قول المتنبي :

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا وَقَوْلُهُ فِي الْخَيْلِ :

تُجْأَذِبُ فِرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَهُ كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَطْعِيَا
بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجُمْهُمُ فِي الْمَرْجِ رَاكِبًا بِهِ، وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَا شِئَا
وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ يَمْدَحُ :

فَمَا لَيْتُ غَابَ يَسْلُبُ الْجَيْشَ بَأْسَهُ بِمَشِيَةِ وَثَابٍ عَلَى النَهْمِ وَالزَّحَرِ
إِلَى أَنْ يَقُولَ وَهُوَ الْمَوْضِعُ :

بَأَجْرًا مِنْهُ حَدٌّ بِأَسْرٍ وَعِزْمَةٌ إِذَا مَا ارْتَنَى قَلْبُ الْجَبَانِ إِلَى النَّحْرِ
وَهَذِهِ صُورَةٌ أُخْرَى مِنْ قَوْلِهِ نَكْشَفْتُ لَكَ عَنْ انْجَاؤِ آخِرِ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي
تَرَاهُ مِمَّنْ لَا وَاضِعًا فِي بَيْتِ صَبْرِي ، قَالَ :

لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ تَفْذِنَ أَجْسَادُهُمْ ، فَنَعَانَفْتُ حُبًّا
قَالَ صَبْرِي :

وَنَبَيْتٌ تَكْفَرُ بِالْبُخُورِ فَلَا تُدْ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ لَحْرِهَا تَسْتَغْفِرُ

هَذَا وَلَا خَفَاءَ مَعْنَى دَقِيقٍ هُوَ مَنْ أَيْمَدَ أَسْرَارَ الْفَنِّ غُورًا ، وَأَشَدَّهَا تَعَذُّرًا
وَامْتِنَاعًا ، وَتَنَاوَلَهُ شَاعِرُنَا الْقَدِيرُ فَصَوَّرَ لَكَ فِيهِ كُفْرَ الْفَلَاثِدِ وَاسْتِغْفَارَهَا ، وَلَكَ أَنْ
تَقُولَ إِنَّ الْكُفْرَ لَا يَحْجَى بِالْإِسْتِغْفَارِ ، وَأَنْ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَطْلُوبُ فِي هَذَا الْمَقَامِ - ذَلِكَ
مِنْ أَحْكَامِ الْقَوْلِ وَشُرَائِطِهِ ، وَمَا بَكَ مِنْ شَطَطٍ حِينَ تَقُولُهَا ، وَلَكِنْ دَعِ هَذَا
نَاحِيَةً ، وَادْهَبْ مُتَعَدِّيًا فِي مَعْنَى الْبَيْتِ ، إِنَّكَ مِنْ هَذَا فِي الْمَطْلَبِ الْأَجَلِّ وَالشَّأْنِ
الْأَعْظَمِ ، أَنْتَ مِنْهُ بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ دَقِيقَتَيْنِ : صُورَةُ الْكُفْرِ وَصُورَةُ الْإِسْتِغْفَارِ ،
وَلَعَلَّكَ تَحْزَنُ مَعِيَ لِهَيْبَةِ هَذِهِ الْآيَةِ الْفَنِئَةِ الرَّائِعَةِ بَعْدَ قَوْلِ مِهْيَارَ :

كَفَرْتُ وَجُوهَهُمُ الْبِدُورُ وَأَمَنْتُ لَا كَفَهُمُ أَيْدِي السَّحَابِ ، فَكَفَّرْتُ

جَاءَ مِهْيَارُ بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ مَعًا ، وَجَاءَ بِهِ وَبِالْمَعْنَى جَمِيعًا أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْقَوَاطِبَةِ
الْأَنْدَلُسِيُّ إِذْ يَقُولُ فِي السُّوسَنِ وَالرُّودِ :

كَأَنَّمَا ارْتَضَعْنَا خَلْقِي مِمَّا نَهَاها فَأَرْضَعْتُ لِبَنِي هَذَا ، وَذَاكَ دَمَا
جَسْتَانِ قَدْ كَفَرَ الْكَافُورُ ذَاكَ وَقَدْ عَقَّ الْعَقِيقُ أَحْرَارًا ذَا ، وَمَا ظَلَمَا

تعلم من هذا أن الكفر قديم في باب المفاضلة بين الأشياء ، فإنا نرى شاعرنا ببدع ، وإنا نرى حُسنًا كثيرًا في قوله تستغفر على أنها كلمة مستقلة لا يحكمها ضابط ولا يسيطر عليها نظام ، وما هذا الحسن الكثير إلا ترجمة همس الحلى ووسوسة تلك الترجمة البديعة فإذا أنت منها في لغة فصيحة ، وإذا الاستغفار قائم في هذه اللفظة ، وفي هذا همس أو الوسواس ، يقول العجاج :

تَسْمَعُ لِلْحَلَى إِذَا مَا وَمَوَسَا وَالسَّجَّ فِي أَجْيَادِهَا وَأَجْرَسَا
زَفَرَفَةَ الرَّيْحِ الْحَصَادِ الْيَسِيمِ

ويقول خاتم الطائي :

إِذَا انْقَلَبْتُ فَوَقَى الْحَشِيَّةَ مَرَّةً تَرَنَّمَ وَمَوَسَا الْحَلَى تَرَنَّمَا
وقد جرى أبو تمام والبحرئى في هذا المضمار على غرارَيْهِمَا من حيث الصنعة ، فقال الأول :

وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتُ بِفَلْبِكَ ضِعْفًا مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثَرَةِ الْوَسَاسِ
وقال الثاني :

إِذَا هِجَنَ وَسَوَاسَ الْحَلَى تَوَلَّعْتُ بِنَا أَرْبَحِيَّاتُ الْجَوَى وَالْوَسَاوَسِ
وأخذ شهاب الدين الحاجي معنى بيت أبي تمام فقال (حَلَى يُوسُوسُ فِي صَدُورِ النَّاسِ) وأكثرُ اللفظ من القرآن الكريم على طريقة الانقباس ، ذلك هو الاستغفار عند شاعرنا ، غفر الله له وأحسن إليه ، قال :

وَتَزِيدُ فِي فَمَا اللَّآلَى قِصَّةٌ حَتَّى يَمُودَ كَبِيرُهُنَّ الْأَصْفَرُ
معنى حسن ، ولكنه غير جديد ، قال ابن النبهي :

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَوْلُوغِهَا بِأَنَّ تَقْيِيسَاتِ اللَّآلَى صِفَاتُهَا
ومما أعمل فيه شاعرنا فكره ، وراضه من الأغراض والمعاني قوله :

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرِيبَ الشَّوْقِ جُهِدُهُ شَجَبَيْنِ فَاضًا لَوْعَةً وَعَنَابًا
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعَنَاقِ وَغَنَابًا

يفيض لوعة ، أو يذوب شوقًا ، أو ما كان من هذا بمنزلة ، إنما هو من أنشاء القول ، وأخلاق الكلام ، وقد صفوا الشكوى والعتاب بارقة ، وأفرغوا عليهما

صفة الذّوبان ، فجاء شاعرنا يُجمرى هذا الوصف على الأشخاص ، والمتحول سهل
والمسافة غريبة . وقد تناول أبو تمام رقة الشكوى فقال :

كادت لعرقانِ النَّوى الفاضلُها من رقةِ الشكوى تكون دموعا

وقال آخر :

لو كُفّت ساعةً بيننا ما بيننا وشهدت كيف مُكرّرُ التوديعا
أيقنت أن من الدُموعِ محدثا وعلمت أن من الحديثِ دموعا
ومما ينسب إلى جحظة البرمكي :

ورقٌ الجوُّ حتى قيلَ هذا عتابٌ بينَ جحظةٍ والزمانِ

نريد أن ننظر الى اللغة في البيت الثاني قبل أن نلخص المعنى ، ونحن نرى أن في
قول الشاعر « خلال صديقه ، وأثناء العناق » موصفاً للتأمل ، فخلال لُمة منفرد ما بين
الشبيين ، وهى من الديار ما حوالى حدودها وما بين بيوتها ، ومن السحاب غارج
الماء ، وأسنا نجد بين هذه الصور صورة واحدة تلائم ما ذهب اليه صبرى في ذلك
الوصف حتى مع قوله أن الصديقين فاضا وقوله تسرب ، وقد جعل أثناء ظرفاً
فجرى في ذلك على طريقة العاشقين باللغة من جماعة الكتاب ، وأثناء الشئ فواء
وتضاعيفه وطاقاته ، وأحدها ثني ، والسبيل أن يقال في أثناء ذلك ، أى في غضونه
أو في فترة منه ، وقد قرأت في مجموعة شعر صبرى للأديب المعروف (محمد صبرى)
أن أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعى يردّ المعنى القاسم في هذا البيت
الى قول بشار :

فبتنا ولو أنا تُراقُ زجاجةٌ من الخمرِ فيما بيننا لم تسربِ

وأنه يُنكر صورة هذا العناء يجرى بين صديقين ، وبعد أن خالفه صاحب
المجموعة فيما ذهب اليه قال إن صحّ أن هذا المعنى مأخوذ من أحد وجب رده إلى
(مونتني) . الفيلسوف الفرنسى الذى قال في موقف عناق (وما كنت أدري أكان
هو أم أنا) !

صديق الأديب (محمد صبرى) فيما تحدث به من عهد العلاقة بين بيتى صبرى
وبشار ، فليس المعنى واحداً فيهما ، وأصح ما يقال أن بيت بشار عهد للمعنى
الذى أفرغه صبرى في ذلك البيت ويهين له الخاطر ، وأكثر منه تمهيداً له

وإعانة عليه قول ابن الرومي :

أعانته والنفس بعد مشوقة إليه ، وهل بعد العناق تدان ؟
وألثم فاه كي نزول حوارتي فيشتد ما ألقى من الهبان -
كأن فؤادي ليس يشفى غلبته سوى أن يرى الروحين يمتزجان -

وقد أنكر الأديب محمد صبري على الرافعي ما أثاره من الشبهة حول ذلك العناق ولكن لم يدفع هذه الشبهة التي ما تزال قائمة بشاهد لغوي أو دليل شعري ؛ فكان معنى ذلك أنه لا يرى مانعاً من وقوع العناق بين الصديقين - من الرجال - على الصورة الواردة في البيت ؛ وليس هذا هو الوجه ، فالصديق صفة تطلق على المرأة كما تطلق على الرجل ، ومن ذلك قول جميل :

كأن لم تحارب يا بئير لو أنها تكشف غمها وأنت صديق
وقول ابن المعتز :

برغم البين ، لا صار مني شراً ولا زالت وإن بعدت صديقا
فأما أن الشعر العربي خال من ذلك المعنى ، وأنه إذا كان صبري قد سبق إليه فلا يكون متابعه سوى ذلك الفيلسوف الفرنسي - أمّا هذا فبعد عن الحق والصواب ، وهذه طائفة من الشواهد : قال ابن المعتز ، ونسبه بعضهم إلى خالد الكاتب :

كأنني عانقت رجانة تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد
وقال ابن عبدوس :

لا ، والنازل من نجد وليتنا كم رام فينا الكرمي من لطف مسلكه
بقيّة إذ جسدانا بيننا جسد عينا ، فاتفك لا كف ولا عضد
وقال ابن بشر الكاتب :

ولم نزل ، والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسم
ولابن عبدون :

وما أنس ليتنا والعناق قد مزج الكل منا بكل

وهذا صالح بن موسى يستعين بالخي على تصوير هذا المعنى بلون آخر فيقول :

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ مَبِيدٌ تَصَدَّتْ الْحِمَى لِي فَاشْتَكَيْ
عَاقِبَتُهُ عِنْدَ مُوَافَاتِهَا فَلَمْ نَجِدْ مَا بَيْنَنَا مَسْلُكًا

أبتعد هذا كله يقال إن المعنى غريب عن الشعر العربي ، وأنه لا شبهة له إلا في قول صاحبنا الفرنسي (وما كنت أدري أكان هو أم أنا ؟) فأين كان الأديب محمد صبري من كل هذا ؟ بل أين هو من قول الشاعر :

أَنَا مَن أَهْوَى ، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَنَا
وقول الآخر :

بَنَكُمُ اتَّحَدْتُ هَوًى ، فَلَوْ حَيِّتُكُمْ قُلْتُ السَّلَامُ عَلَى إِذْ أَنْتُمْ أَنَا

لا أخشى أن اتهم بالمغالاة في تلمس المأخذ إذا أنا اتخذت ناحية أخرى في هذا المجري وزعمت أن المعنى الذي أنتجع موافقه وأعثل صورته قد يتيسر انتزاعه من هاتين الصورتين على ما بينهما وبينه من بُعد في ظاهر الحال ، وهذه إحداها ، قال الشاعر :

وَتَحَدَّرْتُ مِنْ كَأْسِهِ فِي ثَغْرِهِ كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي هَلَالٍ مِنْ قَرِ
فأما الثانية فيقول الآخر :

أَقُولُ وَالْكَأْسُ عَلَى فِيهِ قَدْ تَصَوَّبَتْ كَالْكُوكَبِ الشَّاقِبِ
ذَا كُوكَبٌ يَغْرُبُ فِي كُوكَبِ وَيَلِي عَلَى الطَّالِعِ الْغَاوِبِ

لم يذكر صبري أي الصديقين تسرب في الآخر ، فجاء الوصف على هذه الصورة مشوشاً ، بل هو يوم أن هذين الصديقين شخصان آخران غيره هو وصاحبه ، وإذا تكونت الصورة وصفية محضة ، أي أنها لا تفيد معنى الأمر الواقع على حد ما أراده الشاعر .

قال صبري في معنى حقوق الاخوان والبُقى عليهم :

إِذَا خَانِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقْنِي وَفَوِّتُ يَوْمًا فِي مَقَانِلِهِ سَهْمِي
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَسَكَّرَ سَهْمِي ، فَانْتَبَيْتُ وَلَمْ أَدْمِ

المعنى غير مستقيم في البيت الأول لما اشتمل عليه من الخطأ العموى في قوله « وفوتفت في مقاتله » إذ معنى فوق السهم جعل له فوقاً وهو موضع الوز منه ، وقد أتى الشاعر بهذه الكلمة في موضع سدّدت أو صوّبت ، والحكم في ذلك أن يقال إلى مقاتله ، لا فيها ، فالخطأ ظاهر ، وهو آت من طريق الوهم ومجانبة التثبّت ، وعندى أن تمرّض طف الود في البيت الثاني مما يستفاد من قول البحرى .

حيث نأى ، إلا تعرّض ذكرى له ، أو ملم طائف من خياله

وفي معنى البيتين يقول الشريف الرضى يعاتب أخاه :

نهضنى من لا يكون لغيره من الناس إطراق على الهون أو غضى
أفوق منبل القول بينى وبينه فبولنى من قبل تزعى بها عرضى
وأرجع لم أوليغ لسانى فى دمي وله أدمر أعضائى بنهش ولا غضى
شفعت إلى نفسى بنفسى ، فكفكفت من اللغىظ واستعطفت بعضى على بعض

ولآخر في المعنى :

فداوته بالحلم ، والمرء قادر على سهم ما دام في كفة السهم
وقال أبو عبد الله بن الفخّار المالتى إذا ما خليل نبا صرة
ذكرت المقدمة من فعله وفد كانت فيما مضى مجيلاً
فلم يفسد الآخر الأولاً

وللشريف الرضى في معنى التعرّض :

وإن ناكرتنى خيلة من خلاله تعرّض قلبي بفتديها من الحفلة

الامير (عمر طوسون)

لشاعرنا الكبير قصيدة وجهها إلى صاحب السمو الأمير (عمر طوسون) أيام الحرب البلقانية بين تركيا القديمة ودولة اليونان ، يذكر فيها مجده العلية ، وحميته الماثورة ، قال في مطلعها :

لك الامارة ، والأفوام ما برحت بكل حال الدرى في الكون قائم

يقال انتمر الأمر امتله ، وبه أمر نفسه ، وانتمر فلاناً شاوره ، وبفلان هم به ، ومنه في القرآن الكريم (إن الملائكة ياغفرون بك) ولم يرد انتمر به بمعنى اتندي أو اتبع أمره ، فلا استعمال فاسد في البيت كما ترى ، والمعنى قريب من قول لبيد في معلقته :

ولكل قوم سنة وإمامها

وبعد هذا يقول صبري :

لو لم تر منها لنا الفت اعنتها إلا إليك خلال كلها غرر

غريب منحنى الشاعر في هذا البيت الخادع ، والحق أنه قد خدع في إيراد على هذا الوجه ، إذ كان مراده القول إن الأمير حفظه الله جمع بين الامارة التي ورثها عن بيته العظيم وبين العظمة الخاصة المستفادة من اجتماع خلال الخير والمعروف فيه فأخطأ المراد ، وفصل بين الموروث والمكتسب على وجه التفريق ، فجعل الأول قائماً ، وترك الثاني معلقاً ، وانظر إلى الشريف الرضي إذ يفسح عن هذا الغرض بقوله :

قد زاده الله على عظم الخطر مكارماً ذات حُجُوله وُغُرر

ومن قوله في هذا المعنى :

لو لم يكن على الأصول ، فقد وفي شرف الجدود بسؤدد الأجداد

الجدود جمع جدة ، وهو الخط والاقبال والعظمة ، ولأبى تمام في معنى البيت على الوجه المستقيم :

وهل يساميك في العلا ملك صدرك أولى بالرحب من بلدة ؟

أخلافك الزر دوز رهطك أذر ... رعى منه في رهطه وفي عدده ؟

نعلم من هذا أن شاعرنا لم يوزق التوفيق في هذا البيت ، وأنه أخذ المعنى من الأقدمين ، قال :

يا ابن الآلى لو أرسلوا من مضاجعهم يوماً عليك ، لقالوا : إيه يا عمر !

أعدت أيامهم في مسر ثانية حتى توم قوم أنهم نُشِروا

وسرت سيرتهم ، حتى كأنهم إذا خطرت بارض مرة خطروا !

معنى البيت الأول مأخوذ من قول الشريف الرضى في الملك بهاء النولة :

لو أن عين أيبك اليوم ناظرةٌ تعجبَ الأصلُ مما أثمرَ الطرفُ !

ويصح أن يُردَّ الى قول أبي تمام في محمد بن يوسف النفرى :

رأى الحميد بن ألفتحت الأمورَ به من ألقح الرأى في يوم الوغى تتجا

لو عيناك ، إذن قالاً ، وما ظلمنا أيرحت ، أيسرُ ما في العرق أن يشيجا

وللشريف الرضى في معنى البيتين الثانى والثالث :

رأيتُ فتى في كفه ريمه الندى وفي وجهه شبه من الأب والجد

إذا ما احتجى في الحى وامتد باعه رأيتُ أباه حين يحكم أو يُجدى

وقد وقع هذا المعنى في صور أخرى منها قول ابن نباتة المصرى :

ظعن الكرام الأولون وأقبلت أيامهم ، فكانهم لم يظعنوا

وفي شرف الأبناء يقول البحرى ، وهو أوسع معنى وأبعد أثرًا :

وكم أنافت من الأبناء مكرمه مشهورةٌ ، ندعُ الآباء حُنادا

قال صبرى :

لله درك ، كم نبهت من همهم مُننى على أهلها الأصال والبُكر

وكم تعهدت جرحى من أسود وغى إن يكشر الدهرُ عن أحداثه كُشروا

ليس في البيتين معنى جديد أو أثر للنشاط الفكرى الذى يجب أن ينور ويترد

في النفس الفنية الطامحة : فله درك ، وأسود وغى ، ويكشر الدهر ، كل هذا

من الصور التى ذهبت فزارتها مع الداهيين الأولين ، فإذا لم يكن بدء من

استعمالها وجب أن يكون الى جانب كل صورة منها شئ جديد من المعانى

المولدة ، والأغراض الفنية التى تخرجها من دائرة الجود الى دائرة أخرى من

الحركة والتصرف . وما أبعد ما بين قول الشاعر — كم نبهت من همهم —

وبين بقية البيت الأول ، فالسباق الفنى مُعطل في هذا البيت على أنكر الحالات

وأسوأ الوجوه ، والوحدة المعنوية التى كان ينبغي أن تقوم فيه وتنض به لا موضع

لها ولا وجود ، وليس الشعر أن تأتى بصورة الفعل أو هيئة الحال جامدة كثيفة

منقطعة الصلة مما بعدها من الكلام كقوله : نبهت من همهم ، بل عليك أن تُربى كيف

تهب هذه الهيم من رقادها ، وكيف كانت وهى نائمة ، في صورة فنية رائعة ، لأعلم

أنك شاعر وأنت تقول شعراً ، فأما أنت تقول لي — تُثني على أهلها الآصال
والبكر — فانصرف^١ عن الشأن ، وخلط^٢ مئة بين ضرب وآخر من ضروب
الكلام ، قال :

مُستنجداً من بنى مصر^٣ أولى شمم إذا رأوا لمة في حوضهم جبروا
مُسْتَهْمِياً هَامِياً ، والنَّيْلُ في وجل^٤ من أن تجود به إيمانكم حذر^٥
تقصر النقد على البيت الثاني ، ففي معنى قوله (مستهْمِياً هَامِياً) يقول أبو تمام
في محمد بن يوسف النخعي يذكر إمداده إياه بماله وجاهه وجبر^٦ المنفعة إليه :

أنضرت أيكتي عطائك^٧ حتى صار ساقاً عودي ، وكان قضيباً
مطرّاً لي بالمال والجاء ما أله... قالك^٨ إلا^٩ مُستوهباً أو وهباً
ويُفسر أبو تمام ذلك فيقول :

فاذا ما أردت كنت رشاء وإذا ما أردت كنت قليلاً

فأمّا قوله في البيت الثاني للأمير الجليل : ان النيل من أن تجود به إيمانكم
حذر ، فيقع تحت حكمين اثنين من أحكام النقد ، حكم الغلو بمجاوز الحد فيمجه
الذوق والمقل ، وحكم المدح يضل^{١٠} السبيل فينزلق الى الضد^{١١} ، ومن الأول قول
المتنبي : يا من إذا وهب الدنيا فقد بخل^{١٢} . وقوله :

إنك من معشر إذا وهبوا ما دون أعمارهم ، فقد بخلوا

ومن ذلك قول أبي سعيد الرستمي في الصاحب بن عباد يهنئه بدار بناها
بأصبهان :

وواثي لا أرضى لك الدهر خادماً ولا الغيث مُنتاباً ، ولا البحر نائلاً
ولا الفلك الدوار داراً ، ولا الوري عبيداً ، ولا زهر النجوم قبائلاً
وقول شهاب الدين محمود الخفاجي في الأمير محمد بن منجك ، وفي البيتين من
فساد اللغة ما ترى :

قد بشرتك بمصر^{١٣} بمصر^{١٤} معاشري لم يعلموا الأقوال في تأويلها

مصر^{١٥} أفل^{١٦} ندى^{١٧} أياديك التي من فيض^{١٨} نائلها أصابع^{١٩} نيلها

أما المعنى القائم في وجل النيل وحذره فنتزع من قول المتنبي في ثياب أبي
العشائر ، قال :

مُسْتَحْبِبًا . مِنْ أَبِي الْعِشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً
أَسْحَبَهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسٍ وَجِيلَةٍ
وَالْمُتَنَبِّيُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ كَرَمِ مَحْدُوْحِهِ :

قَدْ لَعِمْتُ أَقْصَرَتْ عَنْكَ ، وَلَوْ فُ لِدِ اَزْدَحَامٍ ، وَالْعَطَايَا اَزْدَحَامُ
يَخَفْتُ إِنْ صَرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْ خَذَنِي فِي هَبَاتِكَ الْاَقْوَامُ ا

ومن باب المدح بضلّ السبيل فيزلي الى الضدّ ، ما يستفاد من جود الأمير
الجليل (عمر طوسون) بالنيل ، فهذا الجود الذي لا تستطيعه نفسه الكريمة ،
ولا تحب من يستطيعه أو يحدث به نفسه ، وهو الذي علّمنا كيف نحبه وأمرنا أن
نبخل به كل البخل — هذا الجود الفطيع المحزى ليس مما يحبّ أو يمدح صاحبه .
وما أضلّ المتنبي رأياً وأشدّه ذهولاً وغفلةً إذ يقول في هذا الباب لسيف الدولة :
كريمٌ متى استوْهبتَ ما أنتَ رَاكِبٌ وقد لقيحتُ حربٌ ، فأنك نازلٌ
وإذ يقول لكافور :

فقد تَهَبَّ الجيشَ الذي جاء غَازِيَا لسائلِك الفردَ الذي جاء عَاقِيَا
ليس هذا الذي يذكره المتنبي من الفضائل فيصدق ما أجراه عليه أو ما أراد
أن يُجسّله به من ثناء ومدح . ومن جنونه في هذا الباب قوله في أبي شجاع فأنك :
نَمَى الضِيُوفُ مُشْبَعَةً بِعَفْوَتِهِ كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيْبِ آصَالُ
لو اشتهتُ لَحْمَ قَارِيهَا لِبادَرَهَا خَرَادُلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ ا
إنما يعرف وجه الأمر ويجري على حكم الصواب من يقول :

بِجُودٍ لِلرَّاحِي بِكُلِّ نَفْسَةٍ لَدَيْهِمْ سِوَى أَعْرَاضِهِمُ وَالْمَنَاقِبِ
قال شاعرنا :

حَتَّى نَفَاهَمْتَ الْأَدْوَا حُ وَاذْ كَرْتُ مَا بَيْنَهَا الْأَهْلُ وَالْخِلَائِنُ وَالْأَمَرُ
وَأَذْنُ الْيَبْرِ بِالسُّقْبَا وَمَا بَرَحْتُ مِنْهُمْ وَمِنْكَ صُنُوفُ الْيَبْرِ تُنْتَظَرُ

وحرّكت كل كفة بالندي مِقةً حتى تمجبت الأنهار والغدر
 يكثر الناس من ذكر التفاهم ولا وجود لهذه الكلمة فيما نعلم من كلام
 الأقدمين ، شعراً كان أو نثراً ، وقد راجعنا ما عندنا من المعاجم فلم نجد لها في
 مظانها ، وما نحسبها إلا من مخترعات كُتّاب الصحف ، وليس لتعارف الأرواح
 أو لتفاهمها كما يقول الشاعر بالمعنى المعروف اليوم لهذه الكلمة من محلّ يقبلها
 أو يتسع لها في مثل هذا المقام ، وقد ازدحم الشطر الثاني من البيت بالأهل
 والخلان والأمر ازدحاماً لا معنى له ولا فائدة فيه ، ففي الأهل على حدة غناء ، وما بعد
 الأمر من زيادة تُطلب أو علاوة تضاف ، وليس الوجه أن يدّكر المصريون ما بينهم
 على حد قول الشاعر الكبير فحسب بل وما بين اخوانهم الترك من الأواصر
 السياسية وغيرها ، وهذا ما أراده ولكنه لم يقله أمّا تمجّب الأنهار والغدر في
 البيت الثالث فليس ببعيد من قول المتنبي :

فلم نرَ قبل ابن الحسين أصابعاً إذا ما هطلن استحييت الديم الوطفُ
 قال صبري :

والناسُ إن قام يستسقى الكريمُ لهم سحائبَ الفضل بشرهم فقد مطروا

لا يعدو هذا البيت ما قيل في الامتساق وهو كثير ، فنه البيت المشهور :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه غمالمُ اليتامى ، عصمة للأراذل

وقول الفرزدق : خليفة الله يُستسقى به المطر — ومنه قول البحتري :

مليئون أن تُسقى البلادُ غياثها بأوجهم حتى تسيل فجاجها

وقول الرقاشي في آل برمك :

أُصبتُ بسادة كانوا نجوماً بهم تُسقى إذا انقطع الغمام

قال صبري :

يأبى علاء (سعيد) أن يشابه إلا (ابن دوحته) إن قام يفتخرُ

ما زال بحمد رائيك مدّ كراً والأصل بالفرع إن حاكاه يدّكرُ

هذا هو ختام القصيدة ، وقد رأينا أن نغني هذين البيتين من النقد ، وإن كان
 معناها شائعاً في هذا الباب من الشعر ، ولهذه القصيدة من شرف موضوعها

وجلال ذلك المقام الرفيع الذي وُجِّهَتْ إليه ما يجعلها أميرة شعر صبرى وسيدة فصائده ، حفظ الله للإسلام والشرف في أميرنا العظيم (عمرطوسون) وبارك فيه وفي سلالة الطاهرة .

معارضة يابل الصب

أقرببُ من دنفِ غدُهُ ؟ فالليلُ تَمَرَّدَ أشوَدُهُ
والنفتُ تحت عجاجنه بيفضُ في الحى نُؤيدهُ
حربُ عندي لمسقرها شوقُ ما زلتُ أرددُهُ
هل من راقٍ لصريعِ هوى ؟ هل من أسرٍ بتعهدُهُ
حتى مَ يساورهُ كدُّ نبيلِ الأحشاءِ نجددُهُ
والى مَ بصارعهُ ألمُ إن همَّ يقومُ ويُقعدهُ ؟
فى القصرِ غزالُ تُكبرهُ غزلانُ الرِّمِلِ ونجدهُ
صرفتُ كفى منه ومضى وقد امتلأتْ منى يدهُ
كم صُغتُ التبرَ له شركاً وقضيتُ الليلَ أنقصدُهُ
وانساورُ شوقى ، بل أدبى هل أفصرُ ، أم أنصيدُهُ
مولائى أعبذك من ضرر لا يرحمُ قلباً موفدُهُ
أدركُ بحيانك من رمقِ ما بات هوالكَ يهددُهُ
قد بان الحبُّ لدى عَيْنَيْهِ نر ، وهذا الشوق يؤكدهُ
(شوقى) أجودُ فى الشر وقل آمنتُ بأنك أوحدهُ !

عارض شوق وصبرى وولى الدين يكن والأمير نسب إرسال قصيدة الحصرى هذه (يا ليل الصب متى غده ؟) فقال الأول فى مطلع قصيدته :

مُضناك جفاهُ مرفدُهُ وبكاهُ ورَحَمَ عودُهُ
وقال ولى الدين :

الحسنُ ممكناك معبدُهُ واللعظُ فؤادى تمعدُهُ

وقال الأمير نسيب :

مُضْنَاكَ عَصَاهُ تَجْلِدُهُ هَلْ أَنْتَ بِعَطْفِكَ مُنْجِدُهُ ؟

فنحن نرى أن هذه المطالع الثلاثة لم يلمس واحدٌ منها ذلك المعنى الذى استهل به الحصرى قصيدته ، وأن صبرى تناول هذا المعنى قائماً فى بعض صورهِ اللفظية بلا تخرج ولا احتياط ، ثم جرى على هذا النهج فى كثير من أبيات قصيدته ، حتى لقد يُخيل إلى من يجمل أحكام المعارضات الشعرية أن تنازع الأغراض والمعانى مما يُطلب فيها ، أو مما يباح لأصحابها ، وليس هذا بحق ، قال الحصرى من قصيدته :

رَفَدَتِ السَّمَارُ ، وَارْفَهُ أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ

وَعَدَا يَقْضَى ، أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ ؟

نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شِرْكَاً فِي النَّوْمِ فَعَزَّ نَصِيدُهُ

لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقاً فَلْتَبِكِ عَلَيْهِ عُوْدُهُ

خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدُمَى فَعَلَى مَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ ؟

هذه أبيات خمسة مُقتناها على غير ترتيبٍ لذلك على ما لها من الصلة من جهة

اللفظ والمعنى بقول صبرى :

حَرْبٌ عِنْدِي لِمَسْعَرِهَا شَوْقٌ مَا زِلْتُ أَرْدِّدُهُ

هَلْ مِنْ رَاقٍ لَصْرِيعِ هَوَايَ هَلْ مِنْ اسِرٍ يَتَعَهَّدُهُ

كَمْ صُفْتُ التَّيْبَرَ لَهُ شِرْكَاً وَقَضَيْتُ اللَّيْلَ أَنْصِدُهُ

وَأَشَاوَرُ شَوْقِي ، بَلْ أَدْبِي : هَلْ أَقْصِرُ ، أَمْ أَنْصِيدُهُ ؟

أَدْرِكْ بِحَيَاتِكَ مِنْ رَمَقٍ مَا بَاتَ هَوَاكَ يَهْدِدُهُ

قَدْ بَاتَ الْحُبُّ لَدَى عَيْنَيْنِ ، وَهَذَا الشَّوْقُ يُوَكِّدُهُ

ولقد ضاق الوصف على شاعرنا وهو يذكر الليل فى الشطر الثانى من مطلع قصيدته فلم يزد على قوله (فالليل محمود أسوده) ثم عزَّ عليه أن يترك هذا السواد قائماً وحده ، فعمد إلى مذهب البديعيين وجاءنا فى البيت الثانى بقوله (بيضٌ فى الحى تؤيِّده) ثم أوحى إليه كلمة (تؤيده) فى هذا الشطر وكلمة (مجاجته) فى الشطر الأول من البيت ، أن يجعلها حرباً مقاماً عليه ، وإذا بالغبار ينجلي فى البيت السابع عن

(غزال القصر) فنحن نشهد إذا صورة مزودةً تُنبئ بالمعجز عن ضبط الغرض ،
وتصوير العاطفة قائمة في حدود الفن باتزان ، مقبلة على شأنها في هُدًى وعرفان ،
يقول صبرى في غزال القصر :

صفتُ كفى منه ومضى وقد امتلأتُ منى يدهُ
ما زال الشراء قبلنا يلوكون هذه المُضغة الجافة ، مضغة فراغ الأيدي
وامتلأها . ففهم الشريف الرضى يقول في رثاء صديق له :

فرغتُ يدي منه ، وقد رجعت به أيدي التوائب والخطوب ملاء
وله في غيره :

راجت وفود الأرض عن قبره فارغة الأيدي ، ملاء القلوب
ولابن المعتز :

ما في يدي منه غيرُ عَضِّ يدي ورُبَّ بَحْتٍ في الحبِّ مبعوسـ
وَمِنْ قول بعضهم — قد كنت أحسبُ أني قد ملأتُ يدي — وللبهاء زهير :
ما لقلبي منك يا بَدَّ رُ سوي حُفَى حُفَيْنِـ
وَبَرَى الحُسَّادُ أني منك ملائُ البدينـ

قال صبرى :

كَمْ صُنْتُ التَّبَرَّ له شركاً وقضيتُ الليلَ انصُدَّةُ
وأشاورُ شوق بل أدبي هل أفصِرُ أم أنصَبِيدهُ

لا معنى لهذه المشاورة بعد مدِّ الشراك ونصب الحبال ، وما أ كثر هؤلاء
الصيادين عندنا ، ولكن يأتي أدبنا إلا أن يزيد سوادهم وإلا أن يكون لكل مائة
(خيراش) غزال واحد أو ظبية واحدة ! قال الشريف الرضى :

كَمْ قد نصبتُ لك الحبال طامعاً فنجوت بعد تمرّضٍ لوقوعـ
وتركتني ظهركَ أشربُ غُلِيَّتِي أسفاً على ذاك السَّحَى المنوعـ
وقال ابن الوردي :

ورُبَّ غَزَالَةٍ طلعت بقلبي وهو حُرَّاعها

نصبتُ لها شباكاً من لِحْيَتَيْنِ ثم صيدناها

هذه شبائك من فضة ، فأما شرك التبر الذي بات شاعرنا ينضده والمراد به الذهب فانك واجده في قول الأمير منجك (باشا) على لسان من يحبه :
لا تنفضي لك حاجة عندي بشعر أو طرب
إن رمت صيدى في الهوى فانصب شراكاً من ذهب
قال صبرى :

قد بان الحب لذي عينين وهذا الشوق يؤكد
في البيت نكابة شديدة للذوق الفنى السليم وموضعها قوله (لذي عينين)
فان هذه الكلمة الخشنة في روحها ومغزاها تجعل البيت قطعة من الكلام الجدلى
وليس هذا بعوقه ، وليس الشاعر وهو يأخذ في مثل هذا الجدل قد أنصف المنطق
في قوله : وهذا الشوق يؤكد - فان الشوق دعوى والدعوى منتقرة الى البيئنة .
وانظر ما يقول الأبيوردي :

ومن بيئات الشوق أنى على النوى أموت لذكراه مراراً وأبعث
ومن قول الشيخ الشبراوى :

قضيت الشوق في فؤادى برهاها بالضنى مُكَمَّ
نأخذ من هذا أن شاعرنا الكبير أظم الدعوى مقام البيئنة ، وهو الذى مارس
القضاء طويلاً ، وعرف من أمره ما لا نعرف ، ولقد أكثر الشعراء من ذكر
بيئات الحب وشهوده ، فمن ذلك قول بعضهم :

سأعده ما ألقى ، فان كذبى فلى الدموع ، فانها لا تكذب
وقول أبى المواهب البكرى :

لا أذوق الكرى ، ومثل أنجم اللب لـ ، وهذا السقام من بيئاني
واليك شهود المتني ، قال :
شيب رامى ، وذلتى ، وبحولى ودموعى على هوالك شهودى

الحياة والموت

إن ستمت الحياة فارجع الى الآدمى . تنم آمنأ من الأوصابى

تلك أمٌ أختى عليــــك من الأم التي خلقتك للآعاب
لا تخف ، ظلمات ليس بلاح منك إلا ما تشكى من عذاب
كل مميتٍ باقٍ وإن خالف العذ... وإن ما نص في غمضون الكتاب
وحياة المرء اغترابٌ فإن ما ت ، فقد عادَ سالماً للتراب

هكذا قال صبرى في الحياة والموت ، وتعدّ هذه القطعة من أجود شعره وأشهره . وأكثر ما يأخذ الأدباء منها ما ورد في البيت الأخير من اغتراب المرء في الحياة ، ورجوعه سالماً الى التراب ، وإن سبب غير واحد من الأدباء هذا البيت الأخير الى المرحوم مصطفى نجيب بك ، ولعلك قد أدرك ما في النقد من فائدة حين ترى أن شاعرنا الكبير لم يزدنا شيئاً من عنده ، وأن الناس قد يؤخذون من قبل أنفسهم في كثير من الأمور ، وأن المقاييس الصحيحة للأدب والموازين العادلة للأدباء لم تقم الى يومنا هذا في بلادنا وبين قومنا ، وما أبرح ما تجمد الفنون والصناعات من أناس لو أنهم أوتوا أو رزقوا المعرفة لتبينوا أنهم خاطئون .

وبعد فإن أظهر ما يبدو لك من عيوب هذه القطعة قول الشاعر في أواخر الأبيات الأولى : الأوصاب ، والانعاب ، والعذاب ، فإن هذه الثلاث مؤلفة معنى وإن اختلفت لفظاً ، وما برح الرؤساء من أرباب الصناعة يتحامون ذلك . وما أعلم أيحده شاعراً أم يهزل في قوله - إن سئمت الحياة فارجع الى الأرض - لا أعلم أين هو من المخلصين فما كل من يسأم الحياة يميت ، ولا كل من يحبها ويرغب فيها ينجح من الموت ، أنظنه يشير بالاتحاد ويحرض عليه ؟ هذا ما أفهمه مكرها وإن لم يردده وأين الذى يسأم الحياة أو يملها ؟ أيفرّه قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يمتش ثمانين حولاً - لا أبالك - بتسأم
على أن زهيراً لم يسأم الحياة ، وإنما سئم تكاليفها ، وقد أغنانا المتنبي عن مثل هذا التفسير بقوله :

وإذا الشيخ قال أفراً فما ملّ حياة ، وإنما الضعف ملا
أن ذلك النوم المريح الذى يريده صبرى في البيت الأول هو بعينه ما تراه في قول المعري :

ضجعة الموت رقة يستريح ال... جسم فيها والعيش مثل السهادى
وانظر ما يقول في هذا المعنى :

أُخِنَى الْمَنَازِلِ قَبْرٌ مُسْتَرَاخٌ بِهِ وَأَفْضَلُ اللَّبَسِ فِيمَا أَعْلَمُ الْكَفَنُ

لِعَمْرِكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارٌ إِقَامَةٌ وَلَا الْحَيُّ فِي حَالِ السَّلَامَةِ آمَنُ

إِذَا عُدَّتْ الْأَوْطَانُ فِي كُلِّ بَلَدٍ لِقَوْمٍ سُجْعُونًا ، فَالْقُبُورُ حُصُونُ

مَتَى أَنَا لِلدَّارِ الْمَرْيُوحَةِ ظَاعِنٌ فَقَدْ طَالَ فِي دَارِ الْعَنَاءِ مُقَامِي ؟

ولبعضهم :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَانْه أَبْرُؤُ بَنَّا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرَأَيْ

يُعْجَلُ إِنْقَازَ النَّفْسِ مِنَ الْأَذَى وَيُنْذِنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وَهَذِهِ أَيْبَاتُ آخِرٍ لِشَيْخِ الْعَرَةِ تُرْبِكَ مِنْ ابْنِ أَخَذَ صَبْرِي مَعْنَى الْبَيْتِ الثَّانِي :

وَالْتُرْبُ تَقْلِيهِ ظُلْمًا ، وَهُوَ وَالِدُنَا وَكَمْ لَنَا فِيهِ مِنْ قُرْبَى وَمِنْ رَحِمِ

نَقَضَتْ عَنِّي تَرَابًا ، وَهُوَ لِي نَسَبٌ وَذَلِكَ يُحْسَبُ مِنْ قَطْعِ الْغَنَى الرَّجَا

وَوَالِدُنَا هَذَا التَّرَابُ ، وَلَمْ يَزَلْ أَبْرُؤُ بَدَأَ مِنْ كُلِّ مُنْتَسِبٍ

يُودِّي إِلَى مَنْ فَوْقَهُ رِزْقَ رَبِّهِ أُمِينًا ، وَيُعْطَى الصَّوْنُ مَحْتَجِبٍ

أَتَعْلَمُ الْأَرْضَ ، وَهِيَ أُمٌّ خَفَ زَمَانٌ فَمَا أَزْدَهَا

بَأَى جُرْمٍ ، وَأَيُّ حُكْمٍ سُلْطَ لَيْتَ عَلَى مَهَامَا ؟

قال صبري :

لَا تَخَفْ فَالْمَاتُ لَيْسَ بِمَاحٍ مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابِ

لَا أَقُولُ إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ يَكْثُرُ مِنَ الْإِلْفَاتِ إِلَى قَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

قَالَ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ فِي الْحَيَاةِ فَكَمْ فَرَجٌ فِي انْقِضَاءِ الْمُرَّةِ

ولكني أقول إنه يُبلى في فم المعري حيث يقول — العيش دالا وموت المرء عافية — ولقد قال المتنبي قبله : كفى بك داء أن ترى الموت شافيا — والمعري يردد هذا المعنى :

إذا غدوتُ ببطنِ الأرض مضطجعا فَمَ أفقدُ أوصابي وأمراضي

إذا ظفِئَتْ في الزرى أعينُ فقد أمنتُ من عَمي أو رمد
قال صبرى :

وحياةُ المرء اغترابُه فان ما تَ ، فقد عادَ سالماً للترابِ
وقال أبو السعادات الحسيني :

نحن في دارِ غربةٍ كلَّ يومٍ يَنفُضُي جيلُ ، ويحدثُ جيلُ
وكاننا في ذاك رَكبانَ : ركبُ مُزَمَّعٍ رحلةً ، وركبُ فُفُولٍ
أما المعري فيقول مرَّداً هذا المعنى في صور مختلفة :

قد طال سيري في الحياة ، ولي ببطن الأرض منزلُ

فان تلكُ هذي الدارُ منزلَ ظاعنٍ فدارُ مُقامي عن قليلٍ أوافها

إننا ضيوفُ زمانٍ ما قِراءُ لنا الأمانيا ، ونحن الآن في الشَّهَن

جمع لُهْنَة ما يتمجله الانسان من الطعام يتعلل به ، — هذا في معنى الغربة ، والعودة الى الوطن ، أما في معنى قوله : عاد سالماً ، فقد قال بعضُ الأوائل : رجعنا سالمين كما بدأنا — على أن ثمة غربةً أخرى بعد الموت هي ولا ريب شرُّ الغريبتين ، فيا ويح الانسان ، وما أشدَّها عظة أن يقول فيه لشيخنا المعري إذا مات :

لعلَّ إناءَ منه يُصنعُ مرَّةً فيأكلُ به مَنْ أرادَ ويشربُ
ويحملُ من أرضٍ لأخرى ، وما دَرى فواهاً له بعد البِلَى يَتَغَرَّبُ

وانظر ما يقول في من يُقيم لنا البيوت ويرفع القصور :

لَعَلَّ مَفَاصِلَ الْبَنَاءِ تُضَيِّحُ : طِلَاءَ السَّقْفِيَّةِ وَالْجِدَارِ
أرى بعد هذا أن قطعة صبرى وكل ما قيل أو يقال في معناها مغالطة ظاهرة
للنفوس ، وقد نكون تعزية ناعمة لبعضها ، فإن طبائع الحياة وحقائق الموت أشد
قوّة وأعظم سلطاناً من أن تدعن لأمثال هذه المغالطات ، وقد بما قيل - كفى
بالموت نأياً واغتراباً .

الشباب والشيب

لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْعَيْشِ شَبَابٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ شَيْبٌ
جَهْلٌ يُضِلُّ قُوَى الْفَنَى قَتْلِيشٌ ، وَالْمَرْمَى قَرِيبٌ
وَقُوَى نَحْوُهُ إِذَا تَشَبَّهَتْ بِالْقُرَى الشَّيْخِ الْأَرَبِ
يَتَنَبَّأُ بِقَالُ كَبَا الْمَغْفُ لُ ، إِذْ يَنَالُ كَبَا الشَّيْبِ
أَوَاهُ ، لَوْ عَقِلَ الشَّابُّ أَبُؤَاهُ ، لَوْ قَدَّرَ الشَّيْبُ !

هذه إحدى آيات صبرى ، وأنا لنرى الصورة الغامضة في هذه الأبيات تنفي
باختلال كبير في التصوّر ، وشطط غير متقارب الحدود في وصف الحياة ، وكيف
تكون في الشبان والشيب . ولو صدقت هذه الصورة غلبت الدنيا ، وسقط العالم
في مهاوى الفناء . وماذا تريد من شباب صالٍ ، وشيب عاجز ؟ إن شاعرنا
الكبير لمحب الكلام لداته ، ويتصرف فيه على هواه ، ولئن ذهبنا نصائمه ونقول
معه إن الشباب ضلال محض وجنون صرف ، وأن الشيب عجز خالص وجود
بمحت ، أمّرانا نستطيع الاعتداء على سنن الحياة فنزعم أن ضعف الهرم - الضعف
التام الذي يصفه هو - يُعقب قوّة الشيب ونشاطها مرة واحدة . وفي يوم واحد ؟
كلّا إنك لتعلم أن بين شرّة الشباب ووهن الشيب فسحة كبيرة من العمر ، ومسافة
غير قليلة من الزمان ، فإذا العقلُ والمقدرة ، وإذا السداد والمضاء والقوّة المدبرة ،
ولسنا نستعين بالشواهد الشعرية على إثبات فساد هذا المذهب وتعسف شاعرنا
الكبير فيه ، ولكننا نستشهد التاريخ ، حوادثه وأبطاله من الفريقين - الشباب
والشيب - ومن كل هذا نعلم أن الصورة القائمة في هذه الأبيات ليست من الحقائق
العامة كما أراد الشاعر أن تكون ، وهي لا تصدق إلا إذا أجريناها مجرى الحكاية

الخاصة في تمثيل حياة بعينها لشخص معين ، وإنك لترى هذه الحياة ماثلة في الشخص الذي تستفيده من قول أبي العنابية :

دَبَّ فِيَّ الْفَنَاءُ سِفْلاً وَعِلَواً وأرائي أَموتُ عُضواً فمَضُوا
ذهبتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وتذكرتُ طاعةَ اللَّهِ نَضُوا

هذا حكنا على الصورة العامة في الأبيات من الناحية الوصفية للحياة ، فأما الناحية الفنية فيها ، فأنت ترى أن قول الشاعر - لم يدر طعم العيش - في البيت الأول مما لا معنى له ولا طعم في مثل هذا المقام ، فالمعبدُ أن يقال هذا في لذة العيش أو ما ينافيها ، لا فيما ينبغي له من أدب ، أو بكرة فيه من شطط وازورار . وليس من جديد يُستفاد فيما نحملة أبيات صبرى من صفق الشباب في غروره وقوته وحال المشيب في انشاده وضعفه ، قال العنبي :

قالت : عهدتك مجنوناً ، فقلتُ لها : إن الشبابَ جُنونٌ برؤهُ الكِبَرُ
وقال بهاء الدين العاملي :

قَوَاكِ وَهَتْ عِنْدَ وَقْتِ الْمَشِيبِ وما كان من دأبها أن رِنهى
وبأينتَ نفسك لما كبرت فلا هى أنتَ ، ولا أنتَ هى
وإنْ ذُكِرَتْ شَهَوَاتُ الْقُرُوسِ فما نشتهى غيرَ أنْ نشتهى
وانظر ما يقول أبو العلاء :

سُقْباً لا يامُ الشبا
أيامَ آمَلُ أنْ أمْسَ ۝ بـ ، وما حَسَرْتُ مَطِيباً
فَالْآنَ تعجز همتي فرقدتُ بـ براحتي
عما يُنالُ بمُطَوِّبَاتِ عما يُنالُ بمُطَوِّبَاتِ

مهمم - وأين مقام ؟

يارب ! أين تُرى مُقامُ جَهَنَّمَ للظالمينَ غداً ، وللأشرارِ ؟
لم يُبقَ عَفْوُكَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعَلَى والأرضِ ، شبراً خالياً للنارِ
يارب ! أهلني لفضلك واكفني شططَ العقولِ وفتنة الأفكارِ

ومرّ الوجود يشفّ عنك لكي أرى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الأسرار احسبى محنة علمى بأنك عالم الأسرار
أخلق برحمتك التى تسع الودى ألا تضيق بأعظم الأوزار

فى البيتين الأول والثانى من هذه القطعة التى رفعها صبرى الى الله فى مرض
الثقة وحسن الظن ما لا ينتظم فى سلك الأدب الدينى ، ولا يلائم النظام
الشعرى الذى ينبئ لكل مؤمن أن يتقيد به ويرعاه - يرى الشاعر أن لا مكان
لجهم تقام فيه ، بل هو قد اطلع فلم يجد شبراً واحداً يتسع حتى لموقد واحد
صغير من موائد هذه النار - أن هذا من شاعرنا لكثير ، وما هو من الثقة وحسن
الظن بسبيل ، إنا لنؤمن معه بسعة عفو الله ورحمته ، ونعلم
أنه يؤمن معنا بأن (منطقة جهنم) قائمة بأقطارها الواسعة ، وحدودها المترامية ،
لا ينقصها ذلك العفو شيئاً ، ولا تطوى هذه الرحمة منها جانباً أو بعض جانب ، ذلك
أن من الذنوب ذنوباً لا يعفو الله عنها ، ولا يرحم جناتها - يؤمن شاعرنا الكريم
بهذا إيماناً صادقاً ، فإياه يأخذ هذه الناحية ، وماله وهذا المسلك الوعر ؟ لقد
أكثر الشعراء قبله من ذكر رحمة الله وعفوه ، فما بلغ أحد منهم حيث يقول
أبو نواس :

تَكْثُرُ ما استطعت من الخطايا فانك بالغ ربّ غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيّداً مليكاً كبيراً
تَعْفُو ندامة كعبك مما تركت مخافة النار السرودا

هذا ولا ريب أقرب الى حسن الأدب وسلامة العقيدة من قول صبرى ،
ولأبى نواس فى هذا الباب شعر كثير منه قوله :

يا كبير الذنوب عَفِّوْهُ الله مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ

ياربّ إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

ومما ينسب الى عبيد سيفان المكلّى :

ياربّ قد حَلَفَ الأعداء واجتهدوا إيمانهم أنّى من ساكنى النار-

يختلفون على عمياء ؟ ويجهّم ما ظنّتهم بعظيم العفو غفّار ؟
 ولعبد الرحمن بن عماد الدين الشامي :
 إن قبل أيّ سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد ؟
 قلّ رحمة الرحمن منّ أنا عبدهُ تسمّ العباد فن هو ابن عماد ؟
 وانظر أدب المعرّي وحكمته إذ يقول :
 تغشى جهنّم دمة من نائب فتبوح وهي شديدة الابتاد
 يذهب صبرى مذهب المتصوفة في قوله :

ومرّ الوجود يشفّ عنك لكي أرى غضب اللطيف ، ورحمة الجبار
 فهو يريد أن يرى الله ، ولكن لغير ما يريدون هم ، القوم يطلبون المشاهدة
 لذاتها ، أما شاعرنا فيريدها لبشده نوعاً خاصاً من الجمال ، وحالة بعينها من العظم
 والجلال ، هو يريد أن يرى الغضب قائماً في اللطف ، والرحمة ماثلة في الجبروت ، وإذ
 كنا في مقام النصوص فلا مناض لنا من القول أن أدب القوم ينكر هذه العلة
 ويسمى معاملتها ، ثم إن هذا الذي يريده الشاعر هو من شأن الصفات
 الإلهيّة وآثارها الشائعة في هذا الكون . أما الذات وشهودها فشأن آخر ومطلب
 مستقل . ومن الاضطراب الظاهر في البيت قول الشاعر — ومر الوجود
 يشفّ عنك — فالمقل والعلم الاتّمسّ على اتّفاق في أن هذا الوجود بنوعيه
 من كثيف أو لطيف لا يقوى على أن يحجب الله جلّ شأنه ، بل هو كما قال العارفون
 مرآة قدرته ، ومظهر صفاته ، ولعل ورود ذكر الحجب في أقوال الذين طلبوا
 المشاهدة من عرشاق الذات العليّة هو الذي جرّ شاعرنا إلى هذا الاضطراب ،
 ولو علم — رحمه الله — أن القوم لم يعمّوا بهذه الحجب سوى ما يكون على القلوب من
 أغشية أو أكنة لاستقام له الأمر ونجا من هذه السقطة ، وما أراه في قوله —
 غضب اللطيف ورحمة الجبار — يبيد من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا (الكريم) تحلّى باسم (منتقم)
 فأتمّ قوله :

يا عالم الأسرار احسب محنة علمي بأنك عالم الأسرار ؟

فشيبة بقول ابن عمار في المعتضد :

قنعت بما عندي من النعم التي يفسرها قول : قنعت بما عندي !

عرف صبرى أدب النقة بالله وحدها بعد الذي كان من شطط وفتنة ، فقال في ختام كلمته :

أخلق برحمتك التي تسع الورى ألا تضيق بأعظم الأوزار

مورث عملي في بعض شعره

يقول صبرى من قطعة في الرثاء :

ألا يا نجار المصر هل فيكم امرؤ يبيع على صرعى الهموم عزاء ؟

يقال باعه الشيء وباعه له ومنه ، فأما يبيع عليه فليس من لغة العرب ، وإنما يقال باع عليه القاضي إذا باع على كره منه ، فهو خطأ من شاعرنا ، وبيع الصبر أو نحوه ليس من المتعارفات الفنية ، فقد أكثر الأهلون من عرض هذه البضاعة وطلبها ، كما أكثروا من ذكر البيع والهبة والاعادة ونحو ذلك ، قال عبد المحسن الصولي :

هللوا أسألوا عن سلوة يباع واستخبروا عن كرى يُكترى

هل الناس مثل ؟ وإلا فما أشد القلوب ، وما أصعبا

ومن المشهور قول بعضهم :

ألا موت يُباع فأشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

وقال البحرى :

وما سرنى أن قلبي أعبر عزاء النفوس وسلوانها

وللمتنبي :

وهبت السلوة لمن لامنى وبيت من الشوق في شاغل

وقال الشريف الرضى :

وخد النوم من جنوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

وقال النهامي :

حليلي هل من رقدة أستعيرها ؟
وللمردل بن شريك اليربوعي :
وكنْتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مِنْ بَكِي
ولصقّ الدين الحلي :
فأنت على من مات بعدك شاغلة
وافترضنا منها الدموع ، فقالت :
كلُّ فرضٍ يجرُّ نفعاً حراماً
وللعباس بن الأحنف :

يا أيها الرجلُ المَعَذَّبُ نفسه
نَزَفَ البكاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرْ
أَفْصَرَ ظَنِّ شِفَاءِكَ الْإِقْصَارُ
مَنْ ذَا بِعَيْنِكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا
عَيْنًا لِعَيْنِكَ دَمْعُهَا مَدْرَارُ
أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبَكَاءِ تُعَادُ ؟
ومن المفاضة في صورة البيع قول صاحب الكبد المقروحة :

ول كبدٌ مقروحةٌ ، مَنْ يَبِيعُ
أَبَاهَا عَلَى النَّاسِ ، مَا يَشْتَرُونَهَا
بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ فَرْوحٍ ؟
وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحْبٍ ؟
وقال ابن خازن الكاتب :

وَإِنِّي خَيْالُكَ ، فَاسْتَعَارَتْ مَقَلَّتِي
وَأُظْلِمَتْهُمْ فَطَنُوا ، فَكُلُّ قَائِلٍ :
مَنْ أَعْيَنَ الرِّقْبَاءُ ضَمَضَ مُرْوَعٍ
لَوْ لَمْ يَزُرْهُ خَيَالُهَا لَمْ يَهْجِعْ
قال صبري بعد البيت المتقدم :

إِذَا دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِهِ قَتْنِي
يُرِيدُ مَنْ يَبِيعُ الْعِزَّاءَ فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَا نَدْرِي لِمَ يَقْصُرُ جِزَاءَ مَنْ
خَلَعْتُ عَلَيْهِ مَا يَشَاءُ جِزَاءَ
بِدَلِّهِ عَلَى مَا يُخْلَعُ ؟ لَعَلَّهُ اسْتَبَقَنِي سِوَاهُ مَا يَمْلِكُ لَيْسَ كَوْنُ نَحْنًا لِلْعِزَّاءِ يُؤَدِّيه إِلَى النَّاجِرِ
فِيهِمْ الرَّائِي سُكَارَى مِنَ الْأَمَى
(. . .) قَالَ :

بِغَالِظِهِمُ الرَّائِي سُكَارَى مِنَ الْأَمَى
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)
فِيهِمْ رَحْمَةٌ وَوَفَاءٌ
وَلِلْعَتْفِي :

عَلِيلُ الْجِسْمِ ، مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ - شَدِيدُ الْكَرِّ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ -
وله :

أَفِيقَا أُمُخَارُ الْهَمِّ بَفَضْنِي الْخُرَا وَسُكْرَى مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِي الْكَرَا
ولبعضهم : (سَكَرَانٌ مِنْ خمر الْفِرَاقِ مَعْدَبٌ) . وقال مِهْبَارُ الدِّيَالَمِيِّ :

لَا سَكْرَةُ الْبَلَوَى بِبَابِلَ بَعْدَكُمْ تَصْحُو ، وَلَا لَيْلُ الْبَلَابِلِ يُصْبِحُ
قال صَبْرِي :

لَوْ أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ طَوَّعُ إِرَادَتِي قَلْبْتُ الْأَسَى فِي بَعْضِهِنَّ (هُنَا)
ولو طَوَّعَتْنِي كُلَّ عَيْنٍ قَرِيجَةٍ لَمَّا ذَابَ بَعْضُ النَّاسِكِينَ مُبْكَاءَ

نَدَعُ قَوْلَهُ (هُنَا) فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَعْلُوقَةً وَنَضَعُ جَانِبًا قَوْلَهُ : طَوَّعَ إِرَادَتِي ،
وَطَوَّعَتْنِي فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ ، وَنَنْظُرُ إِلَى الْمَعْنَى مِنْ حَيْثُ هُوَ ، فَالشَّاعِرُ
يُرِيدُ فِي الْبَيْتَيْنِ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِالنَّاسِ فَيَفْرِغُ الصَّبْرَ عَلَى ذَوِي الْقُلُوبِ الْجَرِيجَةِ ، وَيَمْسِكُ
الدَّمْعَ أَنْ يَسِيلَ مِنْ عَيْنِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ يَجْمَلُ مِنْ مَرَادِهِ مَا خُوِّدَا بِقُوَّةٍ لَا نَعْلَمُ مَا هِيَ ،
فَإِذَا هُوَ يَخْصُصُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةَ بَعْضًا مِنَ النَّاسِ ، وَإِذَا هُوَ يَصْغُرُ وَيَتَضَاعَلُ فَيَدْعُكَ
حَائِرًا لَا تَدْرِي كَيْفَ تَجْمَعُ شَطْرَهُ ، وَتَوَلِّفَ بَيْنَ رَأْيَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُ النَّاسِ
أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ مِنْ بَعْضٍ وَالْمَصَابِ وَاحِدٌ ، وَبَاعَثَ الرَّحْمَةَ فِي نَفْسِكَ هُوَ مَا تَجِدُ مِنْ أَلَمِ
الْمَصَافِينَ وَتَحَسُّسٍ مِنْ عَذَابِهِمْ ؟ وَمَا كَانَ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيبَ بَعْضَ النَّاسِ بِرَحْمَتِهِ
وَيَصْرِفَهَا عَنْ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ الْوَلَايَةُ عَلَى كُلِّ الْقُلُوبِ وَالْعِيُونِ
كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْبَيْتَيْنِ ، وَلَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ يَسْتَقِيمُ لَهُ - وَهَذَا شَأْنُهُ - لَوْ أَنَّهُ طَلَبَ أَوْ
نَمْنَى أَنْ يَكُونَ الصَّبْرُ فِي يَدِهِ فَيَسْكِبُهُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ صَرَعَى
الْأَحْزَانِ وَجَرَحَى الْهَمُومِ ، وَلَيْسَ هَذَا ثُمَّ يَنْتَهَى الْأَمْرُ ، فَقَدْ نَسِيَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ ،
وَتَجَرَّدَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَنْ شَاعِرِيَّتِهِ ، بَلْ هُوَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ وَجَرَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَهْلِكُ
كَلِمَتَهُ يَسْأَلُ التَّجَارِعَ عَنْ بَائِعِ الصَّبْرِ ، وَيَطْلُبُ أَنْ يَدْلُوهُ عَلَيْهِ أَيْ صَبْرَ هَذَا الَّذِي يَنْشُدُهُ
صَبْرِي الشَّاعِرِ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا كَانَ الصَّبْرُ لَا يَتَّخِذُ مِنْ فَمِ الشَّاعِرِ وَيَرْتَشِفُ مِنْ بَيْنِ
شَفْتَيْهِ فَمَنْ يَأْخُذُ إِذَا وَابْنُ يَوْجَدُ ؟ وَلَمْ يَكُنْ قُلُوبُ النَّاسِ وَعِيُونُهُمْ وَكُلُّ
جَوَارِحِهِمْ وَقَوَائِمُ حَيْثُ يَحْبَبُ ، وَكَيْفَ يَشَاءُ ؟ فَرِيدُ التَّلَطُّفِ ، وَبَابِي لِسَانُ النُّقْدِ الْإِ
أَنْ يَقُولَ « بِلَادَةٌ » - وَرَحِمَ اللَّهُ صَبْرِي ، وَمَا أَبْعَدَهُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ عَنْ نَفْسِهِ - قَالَ
مِنْ قِطْعَةٍ أُخْرَى غَرَامِيَّةٌ :

أُبَشِّرُ مَابِي ، فَإِنْ تَرَحَّمِي رَحِمْتَ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا
وَأَشْكُو النَّوَى ، مَا أَمْرُ النَّوَى عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبِّي
وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُبُوبَ الْقَسَمِ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرِّوَضِ هَبًّا
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مُرْهَقَةٍ مِنَ الْعَمْرِ لَمْ تَلْقَى فِيكَ صَبًّا
تَعَالَى نَجْدُ زَمَانٍ (الْمَنَاءِ) وَنَهَبُ لِيَالِيَةِ الْعُرَى نَهَبًا
تَعَالَى أَذَقَ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ رَجُلٌ مَاتَ ، وَشَأْنُ مَنْ مَاتَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ شَرَفُ الدِّينِ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْصَارِيُّ :

ذُبْتُ شَوْقًا ، فَعَالَجُونِي بِقَرَبِهَا مِتُّ عَشَقًا ، فَحَنَطُونِي بِقُبْلَةِهَا
أَقُولُ الْجَدِّ ، إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي يَكْثُرُ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ
وَأَدْعَاؤُهُ ، فَصَبْرِي بِمَوْتٍ وَيُجِبْتُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَالْمَتْنَبِيُّ بِمَوْتٍ مِثْلِهِ وَيُجِبْتُ فِي
بَيْتِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَاكِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا بِسُكْمِهَا
وَالْأَبْيُورْدِيُّ بِمَوْتٍ مَرَارًا وَيَبْعُثُ مَرَارًا فَمَا يَقُولُ :

وَمِنْ يَتَشَنَّاتِ الشَّوْقِ إِنِّي عَلَى النَّوَى . أَمُوتُ لَذِكْرَاهَا مَرَارًا وَابْعَثْهَا
أَمَّا صَاحِبُنَا الْبَهَاءُ زَهِيرُ رَحْمَةِ اللَّهِ فَيَقُولُ :

أَنَا الَّذِي مِتُّ حَقًّا تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى

أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ بِمَعْنَى الْمَوْتِ وَأَنَّهُ قَائِمِينَ فِي صُورَةٍ أُخْرَى مِنَ الْحَيَاةِ الْمَرِيضَةِ
أَوْ الْمَعْطَلَةِ إِلَى حَيٍّ ، وَلَكِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَشْبَعَ هَذَا الصَّدَأُ الْأَكْثَالُ فِي الشُّعْرَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ كَأَمْرِ لَا بَدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْعَنْفِ الْوَصْفِيِّ لِحَالَاتِ الْحُبِّ
أَوْ مَا يَشَابِهُهُ ، وَلَقَدْ اسْتَبْلَغْتُ جَرِيرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ — أَوْ سَخَرِيهَا وَهُوَ أَقْرَبُ — فَقَالَ :

كَادَ الْهَوَى يَوْمَ سُلْهَانِي يَقْتُلَنِي وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِنِعْمَانِ

وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِذِي خَشْبِ وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِسُلْهَانِ !

ذَكَرُوا عَنِ الْأُصْمَعِيِّ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ جَرِيرًا يَنْشُدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ : هَذَا
رَجُلٌ أَفَلْتُ مِنَ الْمَوْتِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَلَنْ يَمُوتَ أَبَدًا ! وَبَعْدَ ؛ فَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي

من أبيات صبرى سوى مرارة النوى وتلبية الشوق اذا دعا ، وهل ترك الأوائل
من هذا شيئاً لقائل لقد قدّمنا من قبل ألواناً كثيرة من هذه المرارة ، وهذا
مثال مما قبل فى هذه التلبية وهو حسبك — دعانى الهوى فيه فلبّيت طائفاً —
يقول صبرى :

وأخشى عليك هبوبَ النسيم وإنْ هو من جانب الروضِ هبّاً
إمّا أن تكون هذه الخفية التى نأخذ شاعرنا خشيةً مطلقةً باعها الحنان ورقة
القلب فهى إذاً من النوع الذى يستفاد من قول حطّان بن المعلى :
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريحُ على بعضهم لامتنعتْ عيني من الغمض
وإما أن تكون حالاً من الغيرة التى يولع بها المحبُّ ، فهى لا تعدو حال ابن
هاني فى قوله :

أغارُ عليه أن يجاذبه الصِّبا فضولَ برودٍ ، أو ذُبُولَ غلائلِ
ويقول ابن سهل الاسرائيلي فى المعنى :

وَجَهْ أرقُّ من النسيمِ ، يُغيِّرُنِي مَرُّ النسيمِ بحسنِهِ وهُبُوبُهُ
وعلى كلا الوجهين فلا جديد فى البيت ، ولك أن تضم الى هذا القديم قول الشاعر :
خطراتُ النسيمِ تنجرح خديّ ، ولمسُ الحريرِ يُدمى بَنانَهُ
وفى القطعة ما أخذ آخر تصرفنا العجلة عنها ، قال صبرى :

يا وامضَ البرقُ كم نَبَّهْتَ من شجنٍ فى أضلعِ ذَهَلْتُ عن دائها حيناً
فالماة فى مُقَلِّ ، والنارُ فى مُهَجٍ قد حارَ بينهما أمرُ المحبِّينا
لولا تذكُّرُ أيامِ لنا سلفت مابات يبكى دماً فى الحى باكيناً
يا نسمة ضمّخت أذيالها سحراً أزهارُ أندلسٍ هُبِّي بوادينا
ذلك شعرٌ هرم ، عليه وصمٌّ من الأيام والقِدَم : ولقد جُثُّوا بالبرق فهو يضحك
لهذا الجنون ، ويعجب كيف صار حديث الأجيال وذكر القرون ، فأما الماء والنار
فبُست الصلة ، ولا كان الجوار لقد قال الأولون — عفا الله عنهم — ما جاوز الحد ،
فإيال شاعرنا الكريم يأتى الا أن يزيدنا ؟ قال الشريف الرضى :

الماء في ناظري ، والنار في كبدي إن شئت فاعترفي ، أو شئت فأنقبسي
وقال :

إذا تلفت في أطلالها ابتدرت للعين والقلب أمواه ونيران
وقال أبو الطريف شاعر المعتمد العباسي :

واحرّبا من فراق قومهم المصابيح والحصون
والأسد ، والمزن ، والرواسي والأمن ، والخفض ، والسكون
لم تنسرك لنا الليالي حتى نوفتهم المنون
فكل نار لنا قلوب . وكل ماء لنا عيون

وفي حد ما قيل في هذا الباب كثرة فوهم في السمات وأذيا لها ، ومن ذلك قول ابن معنوق :

وتنفس النسر من عنق عبق منه بأذيال العجا عطر
وقول سيف الدين بن المحدث :

وصبا سرت من قاسيون ، فسكنت بهبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النير بين عشية فأتتك ، وهي بليلة الأذيال
قال صبري من قطعة أخرى :

يا ممر الفؤال قد صحّ عندي يوم أني افتحمت منك عريسا
ينظر شاعرنا في هذا إلى قول ابن منجك :

بي ربم كناسه المران ما لقلبي من ناظريه أمان
أو إلى قوله وهو أقرب :

أفديك ظيما أرنحي لك وأتني سطوات باسك
نحشى الأسود مهابة من أن تمرّ على كناسك

كلمة الختام

ينزع صبري في شعره إلى طريقة الكتاب ، وهم على تصرفهم في مذاهب القول وفنونه ، ونأنهم في أحكام الصناعة ، فلما تسمو بهم منازلهم إلى من فوقهم من

الشعراء المبرزين ، وهو يسير على قدمهم في تناول المورد والمعاني وتلوينها بعد أن يجاد سبكها ، ونحكم صياغتها ، وإن منها لما يكون لغيرهم ، وإنك لتجد في جديدهم من حلاوة ولذة ما يكون كالرشوة لك على إجازة ما تناولوا من ذلك القديم ، وقد امتدح شيوخ الأدب هؤلاء الكتاب وأثنوا عليهم ، فقبل انهم (دهاقين الكلام) ومن رؤسائهم ابراهيم بن العباس الصولي ، والحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وسعيد بن حميد ، فمن قول ابراهيم في الفضل بن سهل :

لسهل بن فضل يدٌ تقاصر عنها المثل

فباطنها للنفدي وظاهرها للقبيل

ونائلها للغي وسطونها للأجل

ولابن الزيات :

قام يلقى وقعد لما نفي عني الجعد

يا صاحبة القصر الذي أسهر عيني ، ورقد

واعطشى الى فم بمح خرأ من بردا

وله :

ما أنجب الشيء رجوه فحرمه فدكنت أحسب أني قدملات يدي ا

ذلك حيث ينزع صبري ، وإنه على ما ترى من أمره لشاعر ، وإنما أنت منه بين

بيتين اني شئت فقول البحتري :

وربما عثر الجواد ، وشأوه متقدم ، ونبا الحسام الفاطم

وإذا شئت فقول المعري :

والإنس مثل نظام الشعر ، كم رجل يُفقد بجيش وكم بيت بديوان

رحم الله صبري ، وغفر لنا وله ، وهذا ما رثيته به :

صدعت قوى الحدائق ، فانهاض كل كل وخف من الأعباء ما كنت تحمل

نحوالت نناد المنازل محنة فطاب لك الرناد والتحبول

ديار تجافها الهموم ، وجيرة كهملك ، لا جاني ، ولا متنقل

تفاهت خطوب الدهر عنك مروعة وولت على أعقابها ، وهي جفل

لَكَ المَعْقِلُ الراسِى على الدهر، إن هوى
إذا احتلته ذوالضعف، لم تنف عنه
ترى الأرض ما لاذت به فى مفاضة
ثبير، فبستخذى بها كل طامع
سواء عليها مستبدٌ وحاجزٌ

* * *

أمنزل (السماعيل) جَوَّكَ طيِّبٌ
تزيُّلكَ عصرٌ للأطاربى كابرٌ
هوى الفائدُ المقدامُ فيك ، وغالنا
ضجيجُك مجسدةً للمالك باذخٌ
يلوذُ بك (التاج) المعفرُ ضارِعاً
أرى دولةَ الآداب زُلزِلَ صرْحُها
ورُوعَ من أبطالها كلُّ محترَبٍ
فتى البأس، لارتُ السلاح إذا انتهى
فما كان من صنْعِ جميلٍ تحيذنه
حتى سُوددى بالغيب، فارتدَّ موعدى
فأصبح (ذوالتاجين) قد ناب رأيه
كبا المجدُّ بالواشى الخيِّب سميّه
وما كان إلا أن ضننتُ بدمى
لن برَّ أعلام البلاغة قائلًا
من القوم، سادوا بالرائع جَوْلًا
إذا القول لم ينصره خلقٌ مهذبٌ
إذا ما التحسنا الصبر، نرجو نوابه

وواديك مامونٌ، وجارك مجيِّلٌ
وضيفك جيلٌ للنوايغ. أمنلٌ
لدى الكرم ما جرَّ السلاحُ المفللُ
وأنت لمُلك (الضاد) منوى ومنزلٌ
ويهو حوالبك (المبرر) المعطلُ
وبانت صياصبها العلى تنهيلٌ
وطاح المرجى للحفاظ المؤملُ
ولا هو بالوانى، إذا ناب معضلُ
على الدهر إلا صنْعُهُ هو أجلُ
وأقصر عفى ذو التميم المضللُ
وأصنعتُ ما فى جانبي متمللُ
وطاح بمزاجيه الحديث المهملُ
كما ضنَّ قبل بالدروع (السموال)
فأبلغ مما قال ما كان يفعلُ
تسائرُها منهم صنائعُ جَوْلُ
فلانك من أنصاره حينٌ بمخذلُ
أبت أنفس منا مجازيعُ تُكَلُّ

هَوَى السَّاحِجُ الضَّافِي الْجَنَاحِينَ، وَارْعَوَى
أَقُولُ (لَا سَمَاعِيلَ) إِذْ خَفَّ رَكْبُهُ
عَلَيْكَ سَلَامُ الْفَاضِلِينَ مُبَارَكًا
مَضَى الشَّعْرُ يَهْوَى فِي رِحَالِكَ، وَانطَوَى
وَإِنَّكَ إِذْ تَفْتَنُ فِي مَعْجَزَاتِهِ
كَأَنَّ النَّعَاقَ الْبَرَقَ فَيُضْ شُعَاعُهُ

ذَوَى الرُّوضِ، حَتَّى مَا يُحْيِيهِ نَاضِرُ
إِذَا هَاجَهُ سِرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ نَاعِبٌ
يُنَاشِدُ أَنْفَاسَ الصَّبَا، يَسْتَزِيرُهَا
إِذَا مَا دَنَتْ مِنْ جَانِبِهِ، تَسْكَبُ

سَكَبَتْ، فَمَا يَزْهَى الْبَلَابِلُ بِالضَّحَى
لَصَوْنُكَ حَادِيَ الدَّهْرِ، إِنَّ شَفَقَهُ الْوَنَى
وَلَنْ تَنْقُضَ الْأَجْيَالُ مَا أَنْتَ مُودِتُ
يَزِيدُ وَيُوْنِي فَضْلَهُ كُلَّ مَعْتَفٍ
لَجِيلِكَ فِيهَا زِعْمَةٌ لَمْ يَجِدْ بِهَا
نَظْلٌ إِذَا اسْتَنْقَسَتْ أَسَاكِيْبَ جُودِهِ
إِذَا مَا ذَكَرْنَا الْأَوَّلِينَ لَوَاجِبِ

أحمد محرم





الفردوسي الشاعر الفارسي

ان الاحتفال بمرور ألف سنة على حياة الفردوسي شاعر الفرس الشهير ومؤلف (ملحمة الشاهنامه) في هذه الأيام قد طبق الخائفين فقام الناس وقعدوا لتكريم رجل في الشرق من نوابغ الشعراء وجاء الاساتذة والدكاترة من اطراف أميركة الشمالية الى بلاد ايران لحضور المهرجان الذي تقيمه طهران احتفاءً بمولد كبير شعرائها . والشاهنامه هي الملحمة البديعة التي بقيت أشبه بالياذة أمير و من دستوراً للأدب الفارسي وقد عني الدكتور محمد آغا أوغلو أستاذ الفن الاسلامي في جامعة مشيغان الاميركية ومدير القسم الشرقي في متحف الفنون الجميلة في مدينة ديترويت بهذا الشاعر وتعريفه للغرب بما نشره من المقالات في الصحف الاميركية جرائد ومجلات وهو صديق الدكتور النطاسي وطينيا وصديقنا لطفى السعدى رئيس معابنة الامراض الداخلية في جامعة هاربر (ديترويت) وكاتب البحوث المفيدة في مجالات أميركة عن الطب العربي وفنونه وأعلامه فرافقه الى بلادنا وافترن بفنائه مهذبة فان سكنت الصحف عنه فقد نطق فضله بأذابه . . . وان أهملنا نحن ذكر علمائنا أحياء وأمواتاً فنشكو أمرنا الى الله الذي يلمحنا معرفة قدر الرجال الذين يجب الاحتفال بهم وهذه كلمتي في الفردوسي .

نور طنة

اتصل العرب بالفرس من زمن قديم ووقفوا على آدابهم واقتبسوا من آثار أفكارهم وبنات أفلامهم . فالفرس أمة قديمة اشتهرت بآثارها وشعوبها وآداب لغاتها كما تدل العاديات المسكتشفة والتواريخ المنقوشة على الصخور وفي بطون الاوراق والأكبر ، من ذلك كتاب كليلقودمنة الذي نقله الينا ابن المقفع من الفارسية المعروفة بالهلوية وهو مشهور ومعروف بأدب القصة وحنن المغزى واجادة المباحة .

ونبع من الفرس أطباء مثل ابن سينا ، ونحاة مثل سيبويه ، وشعراء مثل بشار بن برد وبديع الزمان الهمداني ، ولغويون مثل الكسائي والقراء وأبي عبيدة ، وكتاب مثل ابن قتيبة ، ومؤرخون كالبلاذري والدينوري والنعماني ، ومترسلون كالخوارزمي ، وجغرافيون كالاصطخري وابن خردادبه ، وفلاسفة كالغارابي والغزالي واخوان الصفا وفقهاء مثل أبي حنيفة النعمان ، ورواة مثل حماد ، وكلهم كانوا من رجال النهضة ولهم مؤلفات وكتب هي مرجع الطلاب ومنتجع الأدباء ولبعضهم آثار أفلام بلغتهم الفارسية مما لا محل لتفصيله ولطالما اقتبس شعراؤنا من المعاني الفارسية وتحدى كتابنا ومؤلفونا أساليبهم ونقلوا أفكارهم وافتخروا بنتاج عقولهم .

نشأة الفردوسي وشاهنامة

كان العصر الذهبي للأدب الفارسية بين القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد فازهرت العلوم والفنون ولا سيما الشعر فنبع فيه كثير من الشعراء والكتاب والعلماء وبينهم الشاعر العبقري (الفردوسي) الذي أفقت شهرته وذاع صيته وتناقل الناس آثار أفلامه وبنات أفكاره .

(الفردوسي) هو نصير الدين الطوسي نسبة إلى مدينة (طوس) الفارسية التي أنجبته فولد فيها سنة ٩١٦م (٣٠٤هـ) واشهر بعبقريته وجودة قريحته وقوة بادرته في النظم فنال منزلة عظيمة في عيون القوم وأقبلوا على منظوماته ولا سيما (الشاهنامة) الملحمة الطويلة التي صرف ثلاثين سنة في تأليفها فضمنها تاريخ ملوك إيران منذ أول عهدهم إلى زمن خسرو ابرويز واسترسل فيها إلى وصف أساطيرهم وخرافاتهم وخيالانهم مما يتعلق بأخلاقهم وعاداتهم حتى أجاد ما شاءت بلاغته في تصوير أصول الدول وشؤونهم والشعب ومزايده ومرد الحوادث أجل مرد ببلاغة ورشاقة حتى كانت ملحمة هذه ستين ألف بيت من الشعر الفارسي المتين فكانت أبلغ ما نظم بالفارسية بل جاءت حداً فاصلاً بين الشعر الفارسي الصرف والشعر الفارسي الملمع بالكلام العربي الكثير الشائع إذ ذاك .

وقدمها الفردوسي إلى السلطان محمود ابن سبكتكين الغزنوي فذهب المؤرخون في خبر هذه التقديمة إلى رأيين :

الأول — أن السلطان الغزنوي كافأه بدينار عن كل بيت فنال ستين ألف دينار وذلك في أوائل القرن السادس للهجرة .

فرأى الفردوسى الجائزة كبيرة وكان لم يسبق له عهد بمنحها قبل ذلك فاستولى على عقله خيال أدنى الى اختلاله فمات من ليلته لشدة ذهوله .

والثانى — أنه لما قدم ملحمته هذه للسلطان المذكور لم تنل هديته الخطوى لديه فأساء معاملته وفرّ الى بغداد وهجاء بقصيدة بليغة . فاضطر السلطان الى استرضائه باستقدامه اليه نادماً على تسرعه بعدم تكرمه واجازته ، فلم يلب الفردوسى طلبه بل مات غربياً عن وطنه وترك ابنة وحيدة له نزل فيها ضيق ذات اليد فأصبحت فقيرة يتيمة .

فلما نعى خبره الى الفزنى وعرف ما هى عليه ابنته من الحاجة والفاقة أجازها على منظومة أبها الآتفة الذكر بحال كثير ، على أنها لكبر تقسها ولبرها بوالدها أرجعت اليه المال آتية التمتع بعد أبها بحال حذر عليه فى حياته ، فعجب السلطان منها .

عناية الغرب بالشاهنامة

ولما وقف الافرنج على آداب الفرس وعصرهم الذهبى فى ذلك العهد كتبوا مؤلفات عنهم واعتنوا بدرس الشاهنامة وترجمتها والوقوف على أفكارها مع أن جيران الفرس من العرب وغيرهم لم يحفلوا بها ولا احتفوا بها تلك الحفاوة الواجبة لما فيها من البدائع والأفكار الشرقية والصور الخيالية وحسن الانسجام والرصف .

ومن اعتنى بها فى القرن الماضى جول موهل المستشرق الالماني المتوفى سنة ١٨٧٦ م . فطبعها فى باريس بغاية الضبط والدقة والترتيب فى سبعة مجلدات ضخمة ونقلها الى الفرنسية وذبلها بالحواشى والتفاسير فجاءت آية فى الابداع ووقف الأوربيون على أفكار الفردوسى وحسن تصرفه بالمعنى وسرد الأخبار .

وجاء بعده المستشرق الروسى نيكولا خابيكوف المتوفى سنة ١٨٧٩ فكتب فى آداب الفرس وشعرائهم وأفاض فى وصف الفردوسى وشاهنامته هذه لأنه كان قنصل دولته الروسية فى تبريز فعرف الفارسية وتعمق فى فهمها حتى كشف حقائق غامضة عن الشاهنامة .

وعقبه آخرون فى هذه الدروس من المستشرقين مثل ادورد برون الانكليزى الشهير فوضع كتاباً انكليزياً فى تاريخ آداب اللغة الفارسية ونوابغ الشعراء والكتاب

والآداب على اختلاف طبقاتهم وفيه تفصيل وافٍ عنهم وعن شاعرهم الفردوسي وملحمته إلى غير ذلك مما لا محل للاقتضاه فيه بهذه اللمعة .

شاهنامه تركية

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر نشير هنا إلى منظومة تركية لناظمها الفردوسي الطويل باسم الشاهنامه في عهد السلطان بايزيد العثماني بلغ عدد أبياتها المليون أو أكثر على قول أحدهم تحدى فيها الناظم شاهنامه الفردوسي فانتقى منها ثمانين مجلداً فأهداها إلى السلطان المذكور فلم يجزه عليها بشيء فعادر البلاد العثمانية إلى خراسان أسفاً على ما أصابه من الفشل .

هذا ما رأيت الآن ذكره باختصار من درس مطول لي في شعراء الفرس بكتابي « التذكرة المملوكية » ذكرى لهذا الاحتفال والسلام ؟

عمسي السكندر العلوف

رحلة (لبنان)

٠١٣٠١٣٤٠



أبولو والسعراء

قرأت أخيراً في مجلتكم تحت هذا العنوان كلاماً ، أحسب أن لي الحق في التعليق عليه ، على الأقل باسم ما ترددونه كثيراً من تسامحكم الأدبي ، وافتتاح المجلة لما قد يوجه إليكم من النقد ، وعلى غير عادة أحفظ بنسخة أخرى من هذه الكلمة إذ أني لا أثق كثيراً بما يذيعونه عن تسامحكم وترحيبكم بالنقد .

وأظنكم تعترفون معي أنكم في بعض ما كتبتم قد وصلتكم إلى مستوى أعلن أسنى وعجزى معاً عن مجاراتكم فيه ، فإن أخلاق التي يطيب لكم الآن — فقط —

أن نغمزوها ، تأتي على المهبوط إلى مستوى الشتائم القبذرة التي هي في متناول كل الأقدام ، ولا يشرفكم ، كما أنه لا يشرف أى إنسان ، أنه يستطيع صف عشرات من هذه الشتائم بعضها بجانب البعض ، كما أننى أعتقد أنها ليست جزءاً من البرنامج الواسع الذى تسمى (أبولو) فى تحقيقه ، فهذا على ما يبدو لى أول درس فى برنامج جديد ، أو الدرس الثانى فقد كان لزميلكم « صالح جودت » فضل الابتكار !

وأنا أستعير بعض سماحتكم وترفعكم ، فأنتسأج وأنرفع عن التعليق على هذه الشتائم ، وأبيح لكم ولمن تبيحون لهم صحيفتكم ، أن تتناولونى بشتى جديد على حساب الأخلاق الفاضلة إذا عنكم ، حينما نصل المسألة إلى تبادل كلمات « الصفاة » ومثل سيد قطب ، والحاجة إلى عرفان الأدب الاجتماعى ، حينما تصل المسألة إلى تبادل مثل هذه الكلمات يخرج من الأدب والمجلات الأدبية إلى مجال آخر يتسع لهذه الألفاظ !

وببقى إذن بعد هذا أمران قد يكونان « أنظف » من تلك القذارات وهما أن مجلة (أبولو) عرفتني للناس ، وأننى أنظاها بمظهر المقصود المرجو الذى يهم الأدباء أراؤه ونقده .

فأولاً أريد يا سيدى أن تذكر ، وأن يذكر كذلك أولئك الذين يتبرعون بمعونتكم كلما ظهر لكم خصم أن أول قصيدة نشرتها لى « أبولو » لم أكن قد أرسلتها إليها ، ولكنها نقلتها عن « الأهرام » . وصحيفة الأهرام ، ولا شك ، توزع أعداداً لا تقل عما توزعه أبولو !

وأود أن نذكروا كذلك أنها لم تكن أول قصيدة بالأهرام ، كما أنه قد سبقها ما نُشر منذ عام ١٩٣٤ بالبلاغ اليومى والأسبوعى وكوكب الشرق والوادي والمصور وسواها من الصحف التى لا يقل ما توزعه عن مجلة أبولو الواسعة الانتشار !

وأقول عليكم بأن نذكروا أننى لم أنشر فى أبولو الا ثلاث قصائد بعد ذلك ثم امتنعت عن النشر ، مع تكرار طلبكم لبعض المقطوعات ، وقد رأيت لأشياء خاصة لاحظتها فى جو « أبولو » ألا أنشر فيها شيئاً ، كما منعنى هذه الأشياء نفسها أن أقبل الانضمام إلى جماعة أبولو — مع تكرار دعوتكم لى أيضاً — أظنكم تنكرون ذلك بعد ما صرحتم أتم به أمام بعض الاخوان ومنهم زميلنا عبدالعزيز عتيق .

وإذن فالفضل الذي تريدون أن تعرفوه لأبولو على ، آسف لأننى لا أستطيع أن أتصرف به .

بقى أننى أنظاها بمظهر المقصود المرجو الذى بهم الأدباء آراؤه ونقده وما أريد أن أقص عليكم شيئاً من الخارج ، ولكننى أريد أن أذكركم بعدة حوادث ونصريحات لكم شخصياً ، وأنا متنازل عنها إذا خطر لكم أن تصدروا عنها بلاغاً رسمياً كالبلافات التى نشرتموها فى كلمتكم الأخيرة نقولون فيه « غير صحيح بالمرّة » فهذه خطة لا تكلف أصحابها شيئاً .

أريد أن تذكروا أنكم رجوتم فى إلحاح - أن أكتب دراسة لديوانكم (أطيف الربيع) وأنكم أرسلتم لى الكتاب فى أمناه طبعه « ملزمة ملزمة » لدراسته ، ولكننى لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة .

وأن تذكروا كذلك أنكم طلبتم مثل هذا الطلب - فى تاسيع هذه المرة - عند إعادة طبع ديوانكم الأول « أنداء الفجر » فاعتذرت لكم بأننى أفضل الكتابة بعد ظهوره فى الصحف ، وإن كنت لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة كذلك .

وأن تذكروا أنكم عرضتم على مرات أن أقوم بدراسة لمؤلفاتكم واكتب عنها محاضرة كالتى ألفتها عن العقاد ، وبعض هذا العرض كان مرات أمام زميلنا « فايد العمروسى » فى دار مجلة أبولو ، حتى لقد هممت أخيراً أن ألبى هذه الرغبة الملحة وأن أدرس آثاركم جميعاً وأخذت فعلاً فى هذه الدراسة على كثرة ما يصرفنى عنها .

وأن تذكروا أيضاً أنكم أشرتم الى أن أكتب دراسة عن « الأملح الضائعة » لزميلكم الصيرفى لتطبع بالكتاب ، وأن هذه الإشارة كانت لزميلنا عبدالعزيز عتيق وقد أبلغنى إياها ، وعبدالمعز أصدق منى ومنك على أقل تقدير فى هذا الموضوع ولا بد أنك تذكر يا دكتور حكاية الاعلان الذى كنت قد نشرته عن مجلّتكم « أبولو » فى الأهرام ، فإذا بى أجده فى مجلة « الامام » منشوراً بامضائى وتذكر اننى غضبت لهذا التلاعب ، وقلت لك : إننى لست من عشاق الامضاءات الذين يوقعون على كل ما هبّ ودبّ لنشر أسماءهم وتذكر ، ولا شك ، ما حاولت أن ترضينى به من أنكم تعتزون بمثل هذا التشجيع الكريم وتودون تكرار الكلمة ، وأن هذا هو الذى جعلكم على إعادة نشرها بامضائى ، ويمكنك أن تستعين بذاكرة الزميل محمود حسن

اسماعيل « إذ الظاهر يا دكتور أن الصيف وحالة « أبولو » التي بسطنها لمعالى وزير المعارف تؤثر على ذاكرتك وأعصابك في هذه الأيام .

وبعد هذا يا سيدي الدكتور فاني كنت أود لك ، ألا يخونك قلمك فتهدى إلى مثل هذا المستوى ، وأن تظل مالكاً لأعصابك ، متظاهراً بما ظللت تتظاهره من التسامح والبعد عن المهارات .

ومهما كان أثر كلمات « معركة النقد » وما خشيتم أن تحدثه من تعويق لكم في مطالبكم أمام معالي وزير المعارف - كما صرحتم لبعض الزملاء - فانه لم يكن ذلك في حسابي ولم أرم إليه ، ولم يكن يجعل بكم أن تفعلوا هذا الانفعال ، وأنا لا زلت أتمنى لكم هدوء الأعصاب وانتظام الميزانية لخير الأدب ، ومعمونة وزارة المعارف والسلام عليكم ورحمة الله ؟

سير قطب

(لا يا دون كيشوت^(١) نحن لن نحتج عن نشر أدبك البارع فهو فريدٌ في طرازه وقد ينفع به سرفانتس آخر ، وإن كنا نحتج طبعاً عن نشر ما هو أخصُّ لأنه يهيننا أن لا تُفسد عليك مظهر البطولة التي فتنتك أنت وزميلك السيد فايد (سانكوپازا)

حقيقة نحن آثمون في أن ننسب اليك أيها البطل طبيعة الصَّفافة ، فانما هي شجاعتك الباهرة في قلب ما نظنه نحن حقائق ، لأن - نظرك الناقب يرى غير ما يرى وقلمك الجريء يؤمن بعذبك الحكيم : « إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت » . . . وما الحياة في مذهبك الحكيم إلا نوعٌ من الرذائل القديمة ، وما الصدق المأثوف في فلسفتك الجديدة إلا هذرٌ في هذر ، ولا شك في أنك مصيبٌ في كل هذا بدليل انتصاراتك الباهرة وآخرها معركة الطاحونة الشهيرة ! ولعلها ما جعلتك ترح في الأوصاف النقية التي زداني بها رسالتك المهدبة الأصيلة .

(١) تطلب سيرة دون كيشوت بالعربية من المطبعة السلفية بإشباع البيرية بالقاهرة .

إنَّ مجلة « الأسبوع » الغراء ميسورة وكذلك عدد « أبولو » الماضى فليراجعها القراء ليرَوْا إذا كنَّا نَحْنُنا عليك فى شىء ، أو أننا بعد حِلْمٍ طويلٍ وبعد تنبيه صريحٍ لك دافعنا عن شرفنا بحسب آراء تفننك المدهش فى اختراع الانهم . ولكن عذراً لغباوتنا ، إذْ كان يجب أن نقدر على أىِّ حال أن اتَّهامك لا مربة فيه ، وأنَّ مجرد تنازلك لانها منا بأخسر التَّهم هو تشريفٌ أكيدٌ لنا ! أَلست دون كيشوت العظيم ؟ !

نحن لم نطلب منك أيها العزيز أن نكتب شيئاً مطلقاً عن أى مؤلَّف من مؤلفاتنا فنحن لم نحلم أبداً بمثل هذا الشرف من تلقاء أنفسنا ، ولكنك أنت العظيم الذى تفضلت بعرض ذلك ، وألجحت فيه تكراراً ، ونمَّقت لنا أحاديثك ما شاء كرمك من تقاريف كثيرة لدواعٍ نبيلة أنت أدري بها ، ولكننا لغباوتنا وسخافتنا لم نعرف كيف ننفع بهذا الفضل ، كما لم نفتتح بتلك التقاريف الكثيرة والدراسات التى تحت أيدىنا من يدعون غروراً أنهم أفضلُ منك . . . كذلك لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً عن « الألحان الضائعة » وقد خانتك ذاكرتك تماماً وفقاً لقانونك الأدبى الجديد الذى صدر هذا الديوان بعد أن كشفت عن شخصيتك النبيلة فى مجلة « الأسبوع » على أثر اعتقادك بأن كلاً من « الإمام » و « أبولو » قد انتهى أمرهما ، وكلُّ ما وقع منا أننا رجونا صديقنا الشاعر عبد العزيز عتيق أن يوافى « الأهرام » بتصديرتنا للألحان الضائعة من باب التنويه بهذا الديوان الجديد قياماً بالواجب نحو زميل نابه . ولكن لا بدَّ أننا غير صادقين ما دمت أنت تقول ذلك أيها البطل !

نحن لا نمنَّ عليك يا دون كيشوت فالمنُّ ليس من خصالنا ، ونحن نقرُّ بصراحة أنك كعمالك الشهير من أصحاب الفضل على الجميع وليس لأحدٍ فضلٌ عليك أبداً ! وصحيح أن مجلة « أبولو » نشرت قصيدة لك عن « الأهرام » وعُنيبت بالتنويه بها تنويهاً فنياً استأهل تنازلك لشكرنا بعد أن كان شعرك مغفلاً فى البيئات الأدبية ، ولكن من حقك طبعاً إلغاء هذا الشكر فقروسينك تقضى بذلك الآن بعد أن انقضى الزمن الذى كنا تنوسط لك فيه بالخير عند رئيس تحرير « الأهرام » وهذه (أبولو) عرفت بأدباء يقال إنهم أفضل منك كثيراً ، ولكن هذا القول هو بلا شك هراء فى هراء !

وأما عن ترشيحك فى « جمعية أبولو » أيها العزيز فخلو مركز أحد شعراء

الشباب فأمره اعتبارى لم نذكره لك إلا مرة ، وأكبر معناه تسامحنا واحترامنا لشيء البيئات الشعرية ولا نعرف له معنى بعد ذلك ، ومع هذا فتفسير دون كيشوت لابد أن يكون هو الأرجح والأصوب ... وإذا بُلِّغ دون كيشوت شيئاً بصفته محرراً في جريدة محترمة كما يبلِّغ غيره (وجميع محرريها بحمد الله من أصدقائنا) وجب أن نعتبر احترامه هو الأصل ، وأما الجريدة العظيمة فتابعة له كما يقضى بذلك المرسوم السكشوتى ولا بد أن يكون هو المقصود لذاته دائماً فهو ربّ الشأن أولاً وأخيراً

وأما عن كلمتك في « الأهرام » عن مجلة « أبولو » فصحيح أننا قلنا إننا نفخر بها ما دامت من صديق ، وقلنا ذلك باخلاص أكيد وتقدير لمحبتك الظاهرة لنا ، وبؤسفنا أننا كنا مخدوعين في ذلك أو على الأقل برهنا على أننا لسنا أهلاً لطراز صداقتك الغالية وفلسفتك الأخلاقية العالية التى تجعلنا نرى العالم كالجحمة المخنوبة على رأى استاذك الجليل الذى تعمل لحسابه ضدنا . ولو أن لنا بعض النفوذ لافترحنا على وزارة المعارف التى أصبحت من رجالها الأفاضل أن تسند اليكم تدريس مذهبكم المبقرى الجديد في « الأخلاق » في الجامعة فليس أقل من ذلك جديراً ببطلنا دون كيشوت !

وأما عن توجّهنا إلى صاحب المعالي وزير المعارف فلا شأن له بمحلامتك العبقريّة ومعاركك الدموية ، فهما أصابنا منها فلا حرج علينا إذا قابلنا معاليه بمجروحين منلومين ، فمن نكون نحن بمحلامتك يا دون كيشوت ؟ ! ولكننا بحمد الله غير منلومين ، في شيء وقد تعفّفنا عن الكشف عن جراحاتك - جراحات البطولة طبعاً !

وبعد ، فتق أيها العزيز أن كل من خبرك خبرة كافية بل كل عاقل لا يحمل لك غير الشفقة وحب الخير ، ونرجو من عظمتك أن تتنازل فتعدّنا بين العقلاء وحينئذ نجعل هذا الردّ آخر ما بيننا وبينك ، فحرام أن نقسو عليك ونشدّ أذنك أكثر من اللازم أو أن نشغل القراء بقصص بطولتك ومغامراتك بينما نريد اجتذابهم إلى الشعر والأدب الحى ، وإن كانت شخصية دون كيشوت ومعارك بلا شك أمراً خطيراً في هذه الدنيا المقلوبة . وما نود أن نتدلى فنشرح حقائق هذه المعارك الوخيمة وعناصر بطولتك تفسيراً لما نعته بالقاذورات ونحوها ، وتيسيراً لشرح أدبك في المستقبل ، وفي مقدمتهم الشاعر الناقد صالح جودت الذى خصصته بإشارتك قان لنا في الأدب رسالة غير كل هذا ، والسلام - المحرر .



تكریم زکی مبارك

أشرنا من قبل الى تكريم الدكتور زكى مبارك فى القاهرة تكريماً باهراً لإصداره كتاب (النثر الفنى فى القرن الرابع) الذى لا يُعدُّ كتابَ العامِ فحسب بل الكتابُ المَعْتَازُ من طرازه منذ أعوام . وقد أبت الاسكندرية إلا أن تساهم فى الحفاوة بنبوغه الأدبى فأقامت له (جماعة الأدب المصرى) حفلةً شائقةً فى مسرح نادى موظفى الحكومة مساء يوم السبت ٨ سبتمبر الماضى ، وانما قامت بهذا الواجب الذى اشترك فيه أكثر من شاعرٍ لثلاثة اعتبارات : أولها أن مؤلف الكتاب أديبٌ مصرى ممتاز ، وثانيها أنه لم يفته فى كتابه نقد جانب هام من الأدب المصرى فى ذلك العصر ، وثالثها أنه عالج كذلك نقد الشعر والمقارنة بينه وبين النثر الفنى فاستأهل من أجل هذا حفاوة الشعراء بفضله .

وقد كان طابعُ الحفلة الاخلاصَ الشديدَ والصدقَ الأكيدَ والاعجابَ الصحيحَ ، وهى صفاتُ التُخلصين من أصدقاء الأدب .

وكان أوَّل المتكلمين فى هذه الحفلة الباهرة الأديب على محمد البحرأوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) فأشار الى أن التكريم هو نوعٌ من النقد وأن المؤلف لا يُسكَّرُ إلا بعد أن يكون النقدُ الأدبى قد انتهى من تصفيته والحُكم بوجوب تكريمه . ثمَّ نكَلَّم عن أدب زكى مبارك وشمائل تصنيفه الجليل والمعبَّته الحقَّة ، واغتباط (جماعة الأدب المصرى) بالنيابة عن أدباء الاسكندرية بتنظيم هذا الاحتفال .

والقى بعده الشاعر عِثْمَانُ حلمى قصيدةً عصماء جاء فيها :

ما على الفائلين أحسنتَ عيبٌ لجيدٍ ، والعيبُ عند ملامية
غيرَ أنَّ الحسودَ آلمَ قلباً من فؤادِ الحسودِ رغمَ سقامية

الدكتور مكي مبارك وسط لجنة المختلين به من الأدباء في الاسكندرية قبل ابداء اللجنة



ما له لا يرى الضياء بطرفٍ اظلم الحق في دُجى إظلامه
دونه لو رأى الضياء كتابٌ تتجلى الجهود في أحكامه
هو ذخرك الأديب لو شاء ذخراً وهو يكفي لو كان كل خطامه
كرّموا النابغين في الشرق حتى يتجلى بانهم من هدّامه

ثم ألقى بعده الأديب على حافظ من أعضاء الجماعة ومن رجال التعليم خطبة قيمة تكلم فيها عن حياة مؤلف (النثر الفني) في الأزهر وفي الجامعة المصرية وفي جامعة باريس ، الى أن قال : « وقدّم الى السوربون رسالة لنوال الدكتوراه فناها بتفوّق يشهد له بالنموغ ، وكانت رسالته الأولى من نوعها وهي كتاب (النثر الفني) الذي يحلّ الوصف عن حصر معانيه بل يقصر البيان عن تبيان محاسن مراميه ... ذلك كتابٌ سلخ المؤلف سبع سنين في تأليفه هي من أنضر أيام حياته ، وكلّ أمه أن يصوغ لعالم الأدب درّة نيرة في تاريخه فبذل جهد الجبارة ودأب على مواصلة العمل دون كلل أو ملل حتى وُقّي الى نوال ما كان يصبو اليه » .

وتبعه الشاعر عبدالمعطي حجازي سكرتير لجنة الاحتفال فألقى قصيدة ممتعة طويلة .

ثم ألقى بعده الشاعر محمد فضل اسماعيل قصيدة رائعة في تقدير المحتفل به ، ثم تبعه الدكتور أبوشادي باستعراض شامل لمواد الكتاب ومزاياه معرفياً بمكانته الأدبية الفذة .

ثم تكلم الأديب كليم أبو سيف سكرتير لجنة القاهرة الذي لم يتمكن سابقاً من حضور حفلة العاصمة بسبب مرضه ، فكانت كلمته آية في الوفاء لصديقه المحتفل به ونفاذاً الى معاني أدبه .

وأخيراً تكلم المؤلف الفاضل فشكر أدباء الاسكندرية وعدّه حفاوتهم الكريمة كما عدّه من قبل حفاوة أدباء القاهرة به مؤاسة روحية له في كفاحه الطويل للخدمة الأدب . ونوّه بفضة الشعب المصري الذي لا يفوته تقدير المحلّصين العاملين إن عاجلاً أو آجلاً كما يدلّ تاريخ نهضته الوطنية . ومما زاده غبطة أنه لا يعرف من الخطباء السكندريين سوى سكرتير الجماعة ، فرابطة هذا الاحتفال إذن رابطة أدبية محضة عنوانها الاخاء الأدبي الخالص ولو على غير معرفة شخصية بحضرات الأدباء المحتفلين به . وقبل انتهاء الحفلة قدم سكرتيرها بالنيابة عن أدباء الاسكندرية الى المحتفل به لوحة

فنية كتب فيها امم المحتفل بالخط الكوفي الأديب محمد حلمي مدرس الرسم بمدرسة طاهر بك الاميرية بالاسكندرية ، كما قدّم اليه الطبعة الفرنسية والطبعة العربية من كتابه مجلدة مجليداً فاحراً ، قائلاً إن (جماعة الأدب المصري) لم تحمد أجمل ولا أكرم منهما هدية لائقة بالاهداء اليه . وفي يوم الاحد ٩ سبتمبر أعد الأديب اسماعيل برعى وليمة غداء شبيهة لأدباء العاصمة عند الشاطيء حيث استوحى الدكتور زكي مبارك ذكرياته الشعرية العزيزة في قصيدته « بعد فران الشاطيء » المنشورة في ديوانه .

١٩٣٤-١٠-١٠



البشبيشي الشاعر

فقدت أسرة (أبولو) في هذا الشهر (سبتمبر) عضواً من خيرة أعضائها الشباب ألا وهو الشاعر محمد أبو الفتح البشبيشي صاحب قصيدة « في ليلة ... » (أبولو ، م ١ ، ص ٧٧٤) التي كأنما كان يرقى فيها نفسه المتطلعة الطموحة ويرقى معها حفظ النبوغ في هذه الدنيا . وهذه النزعة الحزينة منعكسة كذلك في ترجمته لمزيتة عن شكسبير (أبولو ، م ١ ، ص ١٠٠٨) .

وقد كانت لوفاته رنة حزنة عميقة في (ندوة الثقافة) ، ولا عجب ففضل المرء لا يقاس بسنه ، وإن النبوغ المبكر المقترب بالأخلاق الفاضلة والفكر الرزين لما يحسن فقدانه بالمرمى بمض عميق .

وفي مجلدي (أبولو) الماضيين نماذج مختلفة من شعر البشبيشي تتجلى فيها القوة والجرأة ، وهي كافية لأن تدحض ما يقوله جزافاً بعض شيوخ النقاد من أن شعر الشباب فجٌّ وبعيدٌ كل البعد عن عناصر الإرضاء ، فالحقيقة أن ما يظهر لشعراء الشباب في هذه المجلة يتسم بالنضوج ، بل كثير منه يبتدىء حينما انتهى شعر فريق من شعراء الشيوخ ، وهي حقيقة يعترف بها كل ناقد مستقل نزيه .

بعيد عن النيارات العدائية الموجَّهة الى (جمعية أبولو) ومجلتها ، وهي تيارات ما كان يجوز وجودها لولا الأناينة التي تجنُّ على جميع مظاهر الحياة في مصر وتُضحك العالم منا !

ولذلك أنجرأ في الوقت الذي أُعزِّي فيه آل الفقيد السكريم بالنيابة عن « ندوة الثقافة » فأشير عليهم بطبع مجموعة شعره تذكراً لهذا الأدب اليناع الذي اختطفته فسوة المنية اختطافاً قبل الأوان وجمعتنا فيه ؟

محمد عيبر الففور

(مراتب ندوة الثقافة)



الشعر الفرنسي الحديث

في مقالة شائقة للأديب الناقد دافيد جاسكوبن استرعى انتباهي مذكروه عن التوجّه القويّ في الشعر الفرنسيّ الحديث الى استمداد النّبع الشعريّ من عناصر اللاعقليّ irrational وتحويلها الى أدبٍ إنشائيّ . وقد يكون هذا الأدب أحياناً منطوقاً في نشيد غنائيّ مختار الألفاظ الموسيقية ، ولكنه غالباً يتابع الأخيلة التي تفاجئ الشاعر مدفوعة بقوة السّبيد فيصوّرُها بالألفاظ الشعرية التي توخّوها ارتجالاً في غير تعمّد للاختيار، وهكذا نأثي كحلّم متوالٍ حتى يبلغ غايته الطبيعية . وهذا يفسر ما تحتويه هذه القصائد الجديدة المطبوعة من أخيلة الشهوة والموت والنار ونحوها ، كما يفسّرُها نظّمها الفطريّ الحرّ الذي يجعل الشعر فناً طليقاً لاصناعة مقبدة ؟

عبر الفناح فرمان



ذكرى بلاكوود

في السادس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٤ توفّي الأديب الناقد والناشر الايقومسيّ الشهير وليم بلاكوود الذي اشتهر بحملانه على الشاعر الوجداني العظيم

وليم كيتس في (مجلة بلاكوود) حتى أنه تُسبب إلى تلك الحملات القاسية الأثر السوء البليغ على صحة كيتس فعاجلته المنية في شبابه ، وقد أشار إلى ذلك شيلي في قصيدته « أدونيس » .

ولكن بلاكوود - برغم جريته هذه - كان كثير المحصافة في آرائه النقدية ، وكان عظيم التشجيع للناشئين من المؤلفين والشعراء ، فكان ينشر لهم الكثير من التصانيف والدولوين التي كان يعدّها شيوخ النقاد في لندرة فجّة لاستحق النشر ولا الالتفات إليها ، والتي كان يقين هو محاسنها بروحه الفنية الحرة . وبذلك خدم الحركة الأدبية في بريطانيا أعظم الخدمات في القرن التاسع عشر ، فتنوسيت إسهامه العظيمة إلى كيتس بجانب تلك الحسنات الباهرة التي أخرجت إلى عالم الأدب عشرات من الادباء الموهوبين المغمورين . ومن أجل هذا كان قدوةً صالحةً ووجب على محبي الأدب الذين طالما نعموا بحسناته تلك أن يحبوا الآن ذكره لمناسبة مرور قرن على وفاته .

أصغر محمد مظهر

٠١٣٤٠٠٤٠٠

رسائل النقد

أخذ على كتاب « رسائل النقد » ما أخذ طفيغة لم تمسّ الصميم ولم يتعرض ناقدٌ لمادته : من ذلك أن ماورد بالفصل الأول يخالف الوقائع . أقول أولاً إنني لم أصردها سرد الحقائق ولكن سقنتها سياق الفصّة ، وثانياً ذكر في مقدمة الكتاب أنها خيال في حقيقة ، وثالثاً كيف تكون هذه المحادثات الطويلة حقيقية ؟ فهل يمكن أن يذكرها أحد أصحابها ؟ وهل يفهم بالبدهة عنها إلا أنها خيال ؟ ورابعاً يفهم الأدباء أن هناك جوهرًا وعرضًا فالعرض هو الصبغة القصصية الساذجة كالمحادثات والوقائع التافهة والتواريخ المتعلقة بالوقائع التافهة ، والجوهر هو الحالة النفسية والعلمية التي كانت عليها العقاد في ذلك الوقت أو في شرح نشأته الأدبية . قد يحسب بعض الادباء أن تاريخ مقابلة شكري والعقاد له خطره إذ يعميط عن العلاقة الأدبية بينهما . وليس للتاريخ ذلك الخطر . والأجدر بالتفات الباحث الناقد هو أن ديوان شكري الأول طبع سنة ١٩٠٨ وديوان العقاد سنة ١٩١٦ ، فشكري هو السابق والعقاد يتأثر خطاه

وبقلده . وأمام ما أخذ العقاد الكثيرة من شكرى التى أوردتها فى كتابى يرى الناقد نفسه حياى أمرين : الأول أن يسلم بسطو العقاد عليه ، وهو الواقع ، والثانى أن يتسامح ويتغابى فيقول إنه تأثر به وافعل بفنه وأفاد منه .

وأما أن يقول الناقد إن العقاد ليس بتلميذ شكرى ولم يسرق منه لأنه لم يعرفه معرفة شخصية الا بعد صدور ديوانه الأول فدفاع مردود بداهة ، فانى أسلم بداهة بأن العقاد لم يعرف شكرى فى السنة التى عينتها بل عرفه فى سنة أخرى بل لم يعرفه مطلقاً ولم تقع بينهما جفوة ... فهل هذا يدفع عن العقاد تهمة السطو ؟

وانه لو اوضح لكل أديب فنان أن الفصل الأول فى محض لم أورد به ذكر ماضى العقاد الأجوف من حيث يبعد عن مقصدى تنقصاً له وإفذاً ، وانما أوردته على سبيل قصة فيها بداهة وهواة عليه أودت بها تحليل نفسه والمازنى فاقصرت من حياة العقاد على أقل قدر ، إن لم يكن حدث فى السنة التى عينتها فقد حدث فى غيرها ، وانسقت الى ذكر المازنى لارتباطهما معاً . وأطجى القارىء بأن ما ذكرته عن المازنى قد أخذ من فم العقاد نفسه وبرهاني فى بدى وهو أن العقاد يشفع تنقصه للمازنى ونيله منه (وذلك فى مجالس طامة ينقل اليها حديثها بعض أصحابنا) بذكر أمور لا يعرفها إلا هو والمازنى وأخصاً وهما : منها قول العقاد عنه ما ذكرته فى « رسائل النقد » ، ومنها ادّعاؤه أن المازنى يأخذ حديث العقاد إذا تحدّثا فيصوغه مقالاً يفخر به ، وأن صديقاً لها يبحث عن كل مقال يكتبه المازنى فيجد له أصلاً فى الكتب الأجنبية وأنهم يسمونه من أجل ذلك « قلم الباحث المازنية » ، ونسب اليه مثالب أخرى لا أستصيب ذكرها . فأنأ أخذت إذن من فم العقاد صفة المازنى ، حتى كتب المازنى مقاله واعترف بفضل شكرى عليه واسأته الى شكرى وندم عليها ، وأنه خلاق نبيل وهامة نفس مرية . وأما إنكار شكرى فضله على العقاد فقد أراد به نى سعاية الساعين بينهما الذين اغتتموا هذه النهضة لما رب لهم آخر . وأما بعض الحدة التى وردت فى كتابى فكيف لا يصفح عنها كل من استوعب هذه القصة وفطن إلى حرمان الأدب المصرى من آثار شكرى بسبب تلك الحلات الأثيمة ؟

عبد الرحمن شكرى

لا يستطيع الأديبُ كنمَ إعجابه بالشاعر عبد الرحمن شكرى لمناسبة ما كتبه فى الصحف متبرئاً من أى فضل له على زميليه العقاد والمازنى حتى ولا فضل « عريف القرية المفضول » ناسباً لها وحدهما خلود الذكر والعلم السابق والمواهب الأصلية الخ . الخ .، معلناً أنه تنحى عن الاشتغال بالأدب نحو سبعة عشر عاماً زهداً فى الجوِّ الأدبي المنشعب بالكيد .

ومن الظلم أن توصف هذه الروح بالضعف فإنما هى روح متصوفة سامية وقد لحظت ما يماثلها عند الشاعر خليل مطران : فبقدر ما كان المرحوم شوقى بك يتحدث لنا فى مجالسه عن فضل مطران العظيم على الشعر العصرى وعلى جميع الشعراء النابيين كان مطران يترأ من ذلك كلِّ التبرؤ ، وحتى من أى فضل له على تلاميذه ، حتى ليكاد يجعلك تنخبل أنه هو وحده المدين بالفضل للجميع !

ومها يكن من شئ فهذه الروح المنجردة المنصوفة أفضل عندى ألف مرة من روح الادعاء والكبرياء المصطنعة التى سمّمت الجوِّ الأدبي ، وخلقت الضغائن والخزائن ، وعملت على تسخير قوى الشباب للتطيل والتزمير حول هذا الأديب أو ذاك بدل الأدب الانشائي الجدير بكرامتهم . أمّا نقادُ الأدب ومؤرخوه الأئمة فيعرفون جيداً ما هو فضل شكرى وما هو فضل مطران على الأدب العصرى وعلى زملائهما وتلاميذهما وما أثرهما البعيد فى تكيف الثقافة الشعرية الحديثة ، وإن تبرأها من هذا الفضل وعكسا الآية .

وبعد ، فلا يحسن لنا السكوت على ملاحظة أبداءها شكرى بشأن الكبد فى الجوِّ الأدبي ، لأننى أعتقد أن هناك من البيئات الأدبية ما يترفع عن ذلك كبيئته (أبولو) وبيئته (جماعة الأدب المصرى) ، وإن من الخسارة الأدبية العظمى أن يستمر شكرى على هذا التنحى الذى لم يبق فى اعتقاده أى موجب له ؟

على محمد البجراوى

(نلاحظ مع كثير من السرور أن من نتائج النقاش حول شكرى والمازنى والعقاد أن عادت أخيراً المودة بينهم الى سابق عهدها . وقد فهمنا أن شكرى لن يحجم

عن نشر شعره الحديث متى وجد أن الظروف موانية لذلك ، ولعل هذا يتحقق في المستقبل القريب . وهو يلاحظ أنه أولى بالأدباء والنقاد أن يقتلوا شعره القديم دراسةً ونقداً قبل أن يطالبوه بنشر شعره الحديث ، وهو يرى أن الأديب المحترف أولى بأن يقدم على الأديب الهاوى لأنه أفدر من الثاني على خدمة الأدب . وقد كان شكري وما يزال محباً للعقاد ولما زنى برغم ما حدث بينهم ، فمن اللياقة إذن أن تنقل باب النقاش حولهم مادام قد انتهى إلى هذه النتيجة السارة التي يقتبط لها جميع محبي الأدب . وأنتى نرجو من ورائها الخير للأدب ذاته ، وبسرنا كثيراً أن يكون لنا أثر فعال في بلوغ هذه الغاية الحميدة - المحرر) .

٤٨٥ - ٤٨٣



أبولو ودفتى

(دَفْتَى هِيَ الْحَوْرِيَّةُ الْحَسَنَاءُ الَّتِي أَحَبَّهَا أَبُولُو إِلَهُ الشَّعْرِ ،
وَقَدْ تَبَعَهَا فَلَمَّا أَدْرَكَهَا اسْتَحَالَتْ إِلَى شَجَرَةِ الْغَارِ ^(١))

أبولو

يا حياة الفنون يا حُسنُ المهلا
لستُ للصدِّ يا مَمْلَكَةُ أهلا
ها أنا عبدُكَ الَّذِي يُنْقِذُ الشَّعْرَ
رَ مَعَانِيكَ ، فامْنَحِ الشَّعْرَ وَصَلَا
أنا لهفانُ يا جالُ ، ولكنْ
لهفنى كالصلاخِ مَفْزَى وَأَصَلَا
لا تخفْ يا جالُ لستُ سوى الها
فى على سِرِّكَ المصنُونِ الْمُعَلَّى

(١) عن ديوان (فرق المباب) الذى بطبع الآن .



(أبولو ودفتى — من تصوير الرسام دي جلن W.G. De Glehn في الاكاديمية الملكية بلندن)

كيف تخشى نهافتى ؟ كيف تنابا
كل إجماني الذي أنت تخشأ
قد يراها الجهال مغنى سقياً
كم أباحوا الحرام باسم خلال
لا نصيح يا جمال (دفتى) اليهم
هى دنيا النفاق يا حسن لا ترأ
مابدأ فيك عبقريتك العظ
تدعى لهفى إباحية الجسا
كل شوقى إليك يا حسن الحما
كل شوقى إليك مغنى من الفن عزيزه ، ومن جنى النخل أخل
ليس فيه خسونة أو ضلاله
بل هو (الدوق) مايتى الكون قبلاً
فى حبيباً ؟ وهل ترى الصدف سهلاً ؟
و دروحي عواطف تملئ
ومن المبنى أن تطاوع جهلاً
وإباحوا عجائب الظلم عدلاً
أو تذرو هذه المواطف قتلى
ضى عن الفن مخلصاً مستقلاً
مى ، ومستوحياً سناها الأجلأ
فى وتنتسى لها خداعاً وختلاً
ن أنت الخلود نوراً وظلاً
ن شوقى إليك مغنى من الفن عزيزه ، ومن جنى النخل أخل
بل هو (الدوق) مايتى الكون قبلاً

وعربدتْ عند صدري بمبهم الأسرار
تَجُنُّ حُيَّيْ بقلبي وغاب عني اصطباري

قَبَّلْتُهَا بميوى فى ثغرها الرفاف
وقلتُ لَمَّا تلاقى أبصارنا فى الطواف :
هاتى شفاهكِ اهاتى وقرَّيى ، لانخافى ا

الشَّعْرُ مِنْكَ دَفُوقُ والشَّعْرُ قَلْبِي الْخَفُوقُ
والشَّعْرُ شَعْرٌ حَمِيلٌ والشَّعْرُ وَجْهٌ طَلِيقُ
والشَّعْرُ ثَغْرٌ نَدَى أذوقه فأفبقُ

الى الضفافِ البعيدة يا زورقِ الذهبى
اذهبْ بروحى السعيدة لوكرها الأبدى
على نخومِ الوجودِ ا

يا حُسنَ ليلِ الوصالِ - لو أنَّ وصالاً يدومُ - ا
عانتقتُ جسمَ الجمالِ - فيه ، وشمتُ النعيمَ

يا زورقى قد تعبنا وما بلغنا الضفافَ
والموتُ أنَّى ذهبنا يرنو ولسنا نخافُ ا

الموتُ ؟ هل هو إلا نومٌ هنى لا عميقُ ؟
يُعانقُ الرُّوحَ ليلاً فلا نعى أو تقبى ا

يا موتُ جئنا نُفَنِّي إليك فوق العُبابِ
وقد أَطَلنا الحَنَّى فلا تُطِيلْ في الغيابِ

الحُسْنُ والشَّعْرُ عِنْدِي في زورقٍ والغرامُ
كلُّهُ نَقَدَّمْ بِهِدِي أشواقَهُ لِلْحِجَامِ

يا موتُ فاعْبِطْ اليها جَذَلانَ، وقتَ الأصيلِ
وابسَمْ وردِّدْ عليها لحنَ الفناءِ الجميلِ !

الى الضفافِ البعيدةِ يا زورقِ الذهبيِّ
اذهب بروحِ السعيدةِ لوكرها الأبدى
على تخومِ الوجودِ !

خلصتُ مِنْ ذكرياتي ودَّعتُ آلامَ حُبِّي
سيَّارَ عِنْدِي حياتي والموتُ مادمتُ قُرْبِي

زورقُنا مِنْ نُضَارِ شِراعُنا مِنْ شُعاعِ
غرامُنا مِثْلُ نارِ مشبوبةِ في بَقاعِ

الموجُ يُنشدُ شمرى في نغمِ عبقريةِ
وقولكِ بَلِّغْ نغمي في لطفِ أبديةِ !

والشمسُ ترنو اليَنا مِن وكرِها في الشَّفَقِ
غَيَّرَني ، نَصَبُ عَلينا شُعاعِها ، كالْحُرْقِ ا

يا شمسُ الانْحَدِينا ، إِنَّا سَنَمُضِي هِباءَ
ونُسمَةُ تَحْتُونا مَصِيرُها لِلْفناءِ ا

هذا الضياءُ ، اذا ما هَجَعَتِ يَهْرُبُ مِنَّا
وزورقُ الشمرِ إِنَّمَا تَهْوِينُ يَفْرُقُ حُزْنَنَا

الى الضفافِ البعيدةِ يا زورقي الذهبيِّ
اذهبْ بروحي السعيدةِ لو كَرِهَها الأبدى
على تخومِ الوجودِ ا

يا زورقاً في الدُّموعِ لغيرِ قصدٍ يسيرُ
سَمِعْتُ منكَ الزَّوْعَ إلى خِفيِّ الأُمُورِ

أرَهَقَتَنِي بالنَّواحِ أسَقَمَتَنِي بِالْخِيالِ
أَنَحَتَنِي بِالْجراحِ سَلَمَتَنِي لِلْجِبالِ

عَلِمَتَنِي ما الغرامِ سَلَجَتَنِي بِالْبَيانِ
سَيَّرَتَنِي في الأَنامِ رَبُّ الهوى والحنانِ ا

كَلِمَتُ بالحسنِ ، أَرَعَى أَطِيفَتُهُ ظِلَّانَا

وهِمْتُ بِالْثَغْرِ ، أَسْمَى إِلَهَ آتَا فَاَتَا ۱

يَا زورقي لست أدري علام أهوى الشفاء

لَسِنَ تَبَيَّنَتْ سِرِّي كَشَفَتْ سِرَّ الحياه ۱

إحلم كما شئت ، إني يا زورقي رب أحلم

وَرَبُّ أَرْقُبُ حَيْسِي وَخَاطِرِي يَتَرَنَّم ۱

إلى الضفاف البعيدة يا زورقي الذهبي

إِذْهَبْ بِرُوحِي السَّعِيدَةِ لَوَكَّرَهَا الْأَبَدِي

على تخوم الوجود ۱

مختار الوكيل

~~~~~

## ملك

يَا مَلِكَ الرَّحْمَةِ فِي الْأَرْضِ مَنْ عَلَمَكَ الْفُسُوءَ ؟ مَنْ عَلَّمَكَ ؟

نَبْعَ حَنَانٍ كُنْتَ بَيْنَ الْوَرَى مِنْ ذَا الَّذِي بِالظُّلْمِ غَذَّى دَمَكَ ؟

أَصْمَيْتَنِي ظُلْمًا بِسَهْمِ الْهُوَى مُعَذِّبِي حَنَانًا وَاحِبِنِي بِسَمَكِ

عَهْدَتِ بِالْعَطْفِ ، وَلَوْ لِلْعَدَى فَكَيْفَ تَغْدُو قَاتِلًا مَغْرَمَكَ ؟

أَخُوكَ هَارُوتُ مَضَى ، وَالَّذِي أَلْهَمَهُ سِحْرَ الْوَرَى أَلْهَمَكَ

طَأْسُ هَارُوتِ دَرَاهِ الْوَرَى وَأَنْتَ لَمَّا يَكْشِفُوا طِلْسَمَكَ ۱

\*\*\*

بَرَزْتَ فِي الْحَسَنِ لَنَا آيَةً بَاهُورَةً ، جَلَّ الَّذِي هَنْدَمَكَ

أَفْرَغَكَ الْخَالِقُ فِي قَالِبٍ لِلْحَسَنِ قَدْ مَارَ بِهِ مَيْسَمَكَ (١)



صَبَّكَ جَسَماً مِنْ شِعَاعِ الضُّحَى      وَشَقَّ مِنْ إِصْبَاحِهِ مَبْهَمَكَ ١  
 وَزَادَ لِلْبَدْرِ سُنَى نُورِهِ      وَصَاغَهُ وَجْهًا بِهِ تَعَمَّكَ ٢  
 يَهْرَتُ بِالْحَسَنِ ، فَنَ ذَا رَأَى      جَمَالَكَ الْفَدَى ، وَمَا أَعْظَمَكَ ٣  
 (فِينُوسُ) لَوْ شِئْتُ بِكَ يَوْمًا هَوْتُ      سَاجِدَةً تَرْغِبُ أَنْ تَخْدُمَكَ ٤

\*\*\*

ظَلَّتْ بِكَ الْأَلْسَابُ فِي حَيْرٍ      مَشْدُوهُةً تَجْهَدُ أَنْ تَفْهَمَكَ ١  
 هَلْ كُنْتَ فِيهَا مُلْكًا مُزَلًّا      مِنْ نُورِهِ رَبُّ الْوَدَى جَسْمَكَ ٢  
 أَمْ أَنْتَ مِنْ فَرْدُوسِ جَنَاتِهِ      أَمْ نَمُودَجًا مِنْ حُورِهَا قَدَمَكَ ٣  
 أَمْ مِنْ عَذَارَى الْجَنِّ مِنْ عُبُورِ      لِلنَّاسِ شَيْطَانِ الْهَوَى اسْتَقْدَمَكَ ٤  
 مَا زِلْتُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي السَّمَاءِ      لَمْ تَلْقَ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ تَرْجَمَكَ ٥  
 حَيًّا بِكَ الشَّعْرُ فَهِيَ انْطَوَى      لِلشَّعْرِ وَحْيٌ عَادَ فَاسْتَلْهَمَكَ ٦

سقافورة :

صالح بن علي الحامر العلوي

—\*—



## الذروة

( عن ديوان « فوق الباب » ، الذي يطبع الآن )

مَنْجَرِي زِلْتِي وَزُمُودِي مَرَّتًا      وَهَدْيِي أَرْجِيهِ أَوْ أَنْفِيًا ١  
 يَا إِلَهِي ! دُنِيَايَ حُسْنٌ بِلَا حَ      بَدْرٍ ، إِذَا مَا عَرَفْتُ حُسْنَكَ مَلَجًا ٢  
 كَمْ نَقَدْنَا وَنَحْنُ فِي الْجَهْلِ حَبْرِي      لَا تَرَى الْحَقَّ وَهُوَ أَمْسَنِي وَأُضْوَا ٣

ما اندَجْنَا، وما انطَوَيْنَا على الرُّو  
 حِمْ نِكَ الحُرِّ مائلٌ لنفوسٍ  
 في انسجامٍ يستشرفُ الحُبَّ في الكو  
 ما صلاتي إلا خُشوعي لِتَجَوَّأِ  
 مُستَعِدًّا مِنْ عَقْلِ الباطنِ العِي  
 تَبِعُ إلهامك الذي يَتَنَسَّاهِي  
 فأذا بي مِنْ دُوحِكَ الخالدِ السَّامِي  
 عَرَفْتُ عِنْدَهَا مِثَالِي تَفْهِي  
 وَحِيَاةَ الأَبَادِ حَتَّى كَأَنِّي

حـ، فلم نُذَرِكِ الخلودَ المِهِي  
 قد تنهتُ اليك تَقْوَى لَتَهْدَأُ  
 نـ عِمَاءَ وَنَابِضًا يَنْلَأُ  
 كَ وإفناء زَلْفٍ تَهْبِي  
 مَ بما في الوجودِ عُقْبِي وَمَنْهَأُ  
 لمحيطِ الأُلُوهَةِ المُبْتَمَرِ  
 قَرِيبٌ وَمِنْ فُيُوضِكَ أُمْلَأُ  
 وَمِثَالِ الإنسانِ رَوْحًا وَمَبْدَأُ  
 ذُرْوَةِ الكونِ مُشْرِفًا أَتْبِؤُا

اصمحر نكي أبوساري



## السعادة

قلْ ما تشاء عن السعادة غابطاً  
 واجتث عليها في النصابي والهوى  
 أو في اشتهايك بالفضائل والتثني  
 أو في اكتفائك بالذي قسم القضا  
 قل ما تشاء عنها ، فليست بمقنعي  
 إن السعادة لا تسرّ بوصفها  
 فإذا سعتُ وما عرفتُ بأنني  
 فالجليلُ في سالي التماسهُ كلُّها  
 وإذا عرفتُ بأنني قد نلتُها  
 والخوفُ من فقد السعادة خالطُ

مَنْ كان بنعم فوق لبين مهديها  
 أو في التي يهفو البضيلُ لمدّها  
 أو في اهتمامك بالعلوم ومجديها  
 ورضاك عن صاب الحياة وشهدِها  
 يوماً ، ولست بماعني من تقدِها  
 أحداً ولا تزنو إليه بودّها  
 أمستُ أرتشف المني من رقدِها  
 نطفو على قلبي بكامل حقدِها  
 أصبحتُ في همٍّ بخافة فقدِها  
 يكفني إذا لمس الفؤادَ لوأديها



## قيسارة الدمع

قيسارَةٌ في جُفُونِي، لَحْنُهَا عَجَبُ  
 صَدَّ أَحْبَابُهَا الْمَهْمُ، لَا يَنْفَكُ بِضَرْبِهَا  
 مُوَلَّعٌ بِالْدُّجَى إِنْ ذَابَ فَاحَهُ  
 إلهامُهُ مِنْ جَوَى قَلْبِي، وَثُورَتُهُ  
 إِذَا بَرَأَنِي الْأَمْسَى بَلْهَوٍ عَلَى كَبَدِ  
 فَلَا يَسِيغُ مِنَ الْفَيْئَارِ اغْفِيَةً  
 اللَّهُ مَا صَبَّ فِي جَفْنِي مِنْ نَفَمِ  
 حُسُونِهَا فِي الدُّجَى خَرّاً مَعْتَقَةً  
 بَيْضَاءُ لَامِعَةٌ لَوْ أَنَّ اللَّائِي، فِي  
 كَمْ وَسْوَاسَتْنِي فِي ظِلِّ الْأَمْسَى: لَهْفِي  
 ففَلْتُ: خَلَّ أَنْغَارِي دِي مَنْغَمَةً  
 وَجَرَّ مِنْ أَنْغَامِهَا فِي الْعَيْنِ مُضْطَرْبُ  
 بَرِيشَةٍ مِنْ أَمْسَى الْأَحْزَانِ تَفْتَحُ  
 تَفْيِضُ مِنْ قَلْبِهِ الْأَلْحَانُ وَالْعَرْبُ  
 مِنْ الضَّلُوعِ.. عَلَيْهَا الْوَجْدُ يَلْتَهَبُ  
 مَجْرُوحَةٍ مَزَّقَتْ أَفْلاذَها النَّوْبُ  
 إِلَّا وَقَلْبِي أَذْكَى نَارُهُ الْقَطْبُ  
 مُلَوَّعٍ مَاجٍ فِي أَنْائِهِ اللَّهَبُ  
 فِي مُقْلَةٍ دَسَّهَا قَد كَادَ يَنْشِيبُ  
 طِبَّاتِهَا أَسْوَدُ الْأَطْيَافِ مَكْتَنِبُ  
 عَلَى شِبَاكِكَ قَدْ أَوْدَى بِهِ النَّمْبُ  
 مِنَ الدَّمُوعِ... فَالِي دُونَهَا أَرْبُ  
 محمود حسن إسماعيل



## حجرتي الأولى

(وهي بالمتزل الذي قضت فيه أحلى أوقات الصبا وقد عدت إليها بعد غيبة طويلة)

سلاماً حجرتي مِنْ قَلْبِي الدَّأْوَى وَإِجْلَالاً  
 سلاماً أَنْتِ يَا مَيْنَاءَ رُوحِي فِي الدُّنْيَى جَالاً

و شاء الله ما شاء فراح يهيم زحالا  
وما عهد مضى فيك بسحره، أو لو طالا  
أذرى نافذني حبت إذا اسدل إسدالا  
سثار الليل فوق الأفق واسترسلت نسالا  
لبدر ناه في طلعه السمحة واختالا  
رفيق الجن والأرواح تدخل في نحيات ١٤

\*\*\*

ترف جناحها حولي واسمع فامض السحر  
كان حفيف أفتان سري من حائر الشجر  
وأطلق فيك يا حجرتي الغراء من فكرى  
تداعب جبهتي السمات في مثل شذى عطر  
أحدق في منام الكون والاطلام بالبصر  
وطاب لفرقة الضفدع والكروان من ذكر  
تبقى أو نشيد رينا أذن بالفجر  
وأرسل للصباح الفص من أول لحات ١٥

\*\*\*

أهذا مكنتي حيث لأسى حينما مالا  
حنون ضم مبهوراً من الحب وآمالا  
وما أسطر من شعره بمنزج جوائحي سالا  
وما تلفتني « ليلي » بحسن العود مبالا  
بشرفتها، وتبعث لي من الزنات إدلالا  
وقبلات إلى قلبي فعلت فيه إيلالا  
وأحلاماً كنور النجم في الظلمة ما والي

بهدي هاتما في التيه من صحراء إعنات ١٢

\*\*\*

سلاماً حُجرتي من فليّ الذّاوي وإجلالا  
سلاماً أنت يا ميناة روح في الدُّجى جالا  
وشاء الله ما شاء فراح بهيم ترحالا  
وما عهدتُ مضى فيك بسحره... أو لو طالا !

محمد عبد الحكيم الجراحي

— ❦ —

## تحت صورتى

( بعث بها الشاعر الى صديق تحت صورة أخرى غير هذه )



صالح بن علي الحامد العلوي

هذه صورتي اليك فلا نه جب إذا من بشاشتي وابتناسمي  
جاربنتي أيام دهرى فضحكى حذرّ من شمانه الأيام

هذه صورتي لديك ستبقى غصةً في شبابها كل عامٍ  
 سوف تبقى ذكرى الشباب اذا ثبتُ ، وذكرى الحياة بعد حامي  
 واذا ما سموتُ في عالم الروح ستجبا في عالم الأجسام  
 صالح بن علي الحامد العلوي

❦❦❦❦❦❦

### الوهم

أَمِنْ الْأَشْجَانِ آلٌ وَمَصَابٍ  
 وَكَذًا الدُّنْيَا شُجُونٌ لَا تَنِي  
 لَا أَدَى فِي الرُّؤُوسِ إِلَّا صَادِحًا  
 أَيُّ وَهْمٍ لَمْ يَزَلْ يَخْفِزُنَا  
 وَمِنْ الدَّمْعِ نَدَامَى وَفَرَابُ ۱۲  
 وَدُمُوعٌ لَا بَنَى عَنْهَا انْكَابُ  
 مُرْمِلَ الْأَلْحَانِ بِمَدْوُهُ انْتِجَابُ  
 فَعَلَى الْوَهْمِ صِرَاعٌ وَغِلَابُ ۱۲  
 خُطِفَ الْأَبْصَارُ بِالْبَرْقِ وَغَابُ ۱  
 كَمْ سَحَابٍ لَمْ يَجُودُنَا غَبْنُهُ



أحمد فتحي

وكلام. نَحْنُهُ رِبَشْتُ قَنَى  
 وَالدِّي نَحْنُهُ رِيَّ الصُّدَى  
 هُوَ فِي ظَاهِرِهِ شَهْدٌ مُذَابُ ۱  
 هُوَ مَهْمَا قَدْ رَوَى الصَّادِي بَرَابُ ۱

كَمْ شَكَ الْغُلَّةَ مِنَّا ظَالِمِي  
وَسَعَى لِلصَّيْدِ مَشْغُوفٌ بِهِ  
فِيمَ نَحْبَا بِالْأَمَانِي خُدْعَا  
نَسَجَتْ كَفَّاهُ أَكْفَانِ الْوَرَى  
فَشَقَّتْ مُغْلَتُهُ جَهْرَةً صَابُ  
وَهُوَ شَاةٌ، لَوْ دَرَى، بَيْنَ ذُنَابِ  
وَالْمَنَابَا آخِذَاتٌ بِالرَّقَابِ  
نَاسِجٌ نَوْبَ الْأَمَانِي الْعِذَابِ

« . »

أَيْهَذَا الْمُدْجُ السَّارَى إِلَى  
أَبْلِ الْأَمَالِ كَدْحٌ قَائِلٌ  
مَا أَرَاهَا بَاعِثَاتٍ مِنْ بَلَى  
صَاحِبُ الْحَاجَةِ ذُو هَمٍّ بِهَا  
ضَبْعَةٌ لِلرَّأْيِ تُذَكِّي نَارَهَا  
أَمَلٌ يَحْدُوهُ أَفْصِرُ فِي اطِّلَابِ  
وَالِى الْأَمَالِ ظَعْنٌ وَاعْتِرَابِ  
أَوْ مُعِيدَاتٍ إِلَى الشَّيْبِ الشَّبَابِ  
فَإِذَا أَذْرَكَهَا هَذَانِ الْمُصَابِ  
أَفْنَى فِي الْمَرْءِ مُذْ شَبَّ وَشَابِ

« . »

شَامِخٌ بِالْأَنْفِ مِنْ أَوْهَامِهِ  
حَسْبَ الْكُوفِ رَهِينًا بِالَّذِي  
أَوْ مِنْ ضَمَفٍ فَبِرْ مُوَحْشِ  
إِنَّمَا التَّرْبَةُ أَمْلٌ وَلَهَا  
لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُ أَطْبَاقَ السَّحَابِ  
يَشْتَمِي وَهُوَ رَهِينٌ بِكِتَابِ  
وَتَوَاءَ بَيْنَ دُودٍ وَتُرَابِ  
غَايَةُ الْمَسْمَى وَمَحْنُومُ الْمَأْتَبِ

أحمر فنى

(المهندس)

-O-B-E-

ليتنى

ليتنى كنتُ صغيراً أبذل الهمَّ هباءً  
ليتنى كنتُ كمناراً أملأ الدنيا غناءً

ليتني كنتُ غديراً    أهبُ الأزهارَ ماءً  
ليتني كنتُ صباحاً    أغمرُ الكونَ ضياءً  
ليتني أصلح دُنيا    كلُّ ما فيها أساءاً

\*\*\*

### عهد الطفولة

أحنُّ إلى الطفولة وهي حُلْمٌ    وأشهى الذكرَ للحُلْمِ البعيدِ  
وفي تمنائي الوافي وظلاً    لعهدي كان تنويجي وعيدي  
أحنُّ كما أبدٍ يدعو ويدعو :    وددتكِ يا طفولةُ أنْ تمودي  
وددتكِ ، أي وربي ، أنْ تمودي    إلى وكرى ، إلى قلبي الودودي  
إلى رُوحى التى أحبتْ صباحها    مظلةً بحبِّكِ فى الوجودِ  
فأنعم بالحياة ولا أبالي    بدنيا فى التناحرِ والوعيدِ  
محمود السير السنا

❦

### الكبر

كلُّ حولٍ يمرُّ يزعج نفسى    بفضونٍ تلوح إثرَ غضونِ  
وبياض المشيب فى كلِّ رأسٍ    لى مُلحٌ بكُبرةٍ تعزبني  
أتنى لو يجمد النجمُ حتى    ما تحسَّ الحياةُ كرا السنينِ  
أتنى لو يصبح الدهرُ لوناً    واحداً من غضارةِ ثم لينِ  
إنَّ ضعف الشيوخ بلاءُ نفسى    هلعاً أو ينيرُ حمراً شجونى  
إنَّ فى تلكمُ الخطأِ نتاوى    لنذيراً بلوح بين جنونى  
مشتقاً من ذبول قلبي إذا ما    غاض مائى وأنكرتني عيوني



ورأيتُ الجميلَ غيرَ جميلٍ      ليس يرتاحني ولا يزدهيني  
ودعوتُ الصِّبَا جنوناً وحُمقاً      مرضاً في ثياب عقلٍ رزينٍ  
وسُئمتُ الكفاحَ في غيرِ سلمٍ      مُستكيناً لمطمحٍ مُستكينٍ  
عبد الباقي ابراهيم

❦❦❦❦❦❦



## يا نيل !

( نظمت لمسابقة نورة النيل بفيضانه هذا العام )

يا نيلُ ! رفقاً بالبلادِ وكنْ لها      عوناً ، فصرُ ترى السعادةَ فيكَ  
خَفَّفْ يربكُ من تدفُّك الذي      يدنو بها نحوَ الهلاكِ وشيكا  
وارفق بمن بك هملوا واستبشروا      وبحسبك افتتنوا ، وكم عبدوك  
فلمَ العداءَ نصبه في قسوةٍ      وتُريق مائه مهلكاً واديك ؟  
ماذا جنته كنانهُ الدنيا على      وحى الجمال ؟ لعلهم ظلموك ؟  
فاقبلْ نداءَ صارخاً من أمةٍ      غرقى ترى كلَّ السعادةِ فيكَ  
مكتمت سبابة

❦❦❦❦❦❦

## أنشودة الصباح

كواكبُ الليلِ قد ملَّت من الأرقِ      فبادرت تخنقني في معبد الأفقِ  
تري السماءَ التي انشقت دُجنتها      سوداء قد برزت في ثوبها المشقِ

كأنما الليلُ قد شابتْ ذوائبُه      وعن قليلٍ يُخَلِّي رُفْقَةَ النِّسْقِ  
 إذا الصُّباحُ انْجَلتْ أنوارُه شرعَ الطَّيْرُ المَسْجِعُ في تَغْرِيدِه النِّسْقِ  
 لاحتْ مَخائِلُه بينَ السَّما      لاحَ النَّصامُ على موسومةِ الحرقِ  
 واستيقظَ الطَّيْرُ في أوكارها وبدتْ      تسرى نَسِيمُ الصَّبَا في كل منخرقِ  
 وصادتِ الشَّعراةُ النَّسائِفونَ إذا      أوابدَ الشَّعر لم تُدْرِكْ ولم تطقِ  
 ما أطيبَ الوَقْتِ إذ سارَ المَدوجُ بنا      بينَ الأكامِ تحاكي السفنَ في الغدقِ  
 وخلَّتْ الطَّيْرُ أوكاراً لها ومضتْ      إلى المِثاربِ ومُحداناً وفي حلقِ  
 حتى استوتَ بمَد ما جاءتْ على نهر      مُعوجَ الحُناجرِ نحو السَّلسلِ الدفقِ  
 تَبَلَّ من فرحِ أجسامها وبها      ظمأً فتفنَّضها كالشَّادنِ الحرقِ  
 إذا ارتوتْ كلها طارتْ مفرَّدةً      ما بينَ مخلفِ منها ومتفقِ  
 كأنما الطَّيْرُ في تَغْرِيدِها فَرَّقَتْ      قد أسكرتْ بِمُحمورٍ أُرَهقتْ عُثْقُ  
 إلى رياضِ بدتْ تَهتَزُّ من بلبلٍ      بِسامٍ ملَّةٍ منشورةٍ العبقِ  
 بها شذاها امتطتْ رِيحَ الصِّبا وسرَّتْ      نحيبَ القلوبِ التي ماتتْ من القلقِ  
 إن هزتْ الرِّيحُ قُضباناً لها بلل      يصاحُ البعْضُ بعضاً ثم يمتنقِ  
 كأنها راكمتْ في تمايُسها      وتالياتٍ خُشوعاً سورةَ الفلقِ  
 والزَّجسُ الغَضُّ يرنو نحوها عجباً      والوردُ يَطْلُعُ من أكامِه النِّسْقِ  
 حرٌّ ملابسه صفرٌ ترائبه      خضرٌ عرائشه يفتَرُّ بالألقِ  
 كأنما فطراتِ الطَّلِّ في خُضْرٍ      كواكبٌ طلعتْ في أولِ الفسقِ  
 ياربُ قُصٍّ ختامَ النِّومِ إذ نعتتْ      كواكبُ الفلكِ الدُّوارِ من أرقِ  
 يارافدةَ الليلِ حتامَ الرِّقادِ وقد      مدَّ السَّنا عنقه من كُوءِ الأفقِ  
 قم واستقم واعبد الله الذي خاق السَّاشجارَ من حبةٍ والانسَ من عاقِ  
 أليس يسجد لله الرِّياحُ مع السَّاشجارِ قانتةً من أبداعِ الطُّرقِ؟  
 أَلَسَتْ تسمع ما قال المؤدِّثُ في      تأذِنِه بكرةً للنَّائمِ الحُبِّ ١؟

السَّيْرُ نبي الحيدر آبادي

الهند :

( استاذ اللغة العربية بالكلية البلدية بجيد آباد )



أجلٌ به أنفاسٌ حُو      رد في الجنان نواعسـ  
فيه ضريـرٌ جداولـ      وبه عبيرٌ فراديسـ  
وحفيفٌ أجنحة مرفرفـ      وصيحة حارسـ ١

« . »

يا بدرُ يا قوتَ المشا      عرر والقلوبِ الجائعة  
أنراك نافذةً رنت      منها الغيوبُ الرائعة ١٢  
وسناك أحلامُ الملا      تلك في الطبيعة شائعة

« . »

كم من طيوفٍ أيها القمرُ المطلُّ على الفضاء  
في نورك الوسنان تر      قص أو نثر تر بالفضاء  
من ساقها من عالم الـ      أرواح في هذا الضياء ١٣

« . »

ما أشبه الجوَّ الذي      في خاطري بجوائكا ١  
حتى كأنني ناظرٌ      في ضوئه لضياءكا  
يا هل تراه وذيلة<sup>(١)</sup>      عكست جمال فضائكا ١٤

« . »

يا للطبيعة ! فهي خا      فيه المرأتى والسنى ١  
وكانما هي تعلم الـ      ذكَّ كَرَ الجميلة والمثنى  
والنورُ ذلك ردف في      أحلامها واستوطننا ١

« . »

يا للطبيعة ! فهي أجـ      مل ما رأت عينانـ  
كم تشعر الروحُ الحز      ينُ بالقة وحنانـ

وتنضمه ضمَّ الجبَّ بة للحبیب العانی

\*\*\*

إني لفرط نعلني بحبالها المتألقـ  
شعشت فيه تألمی وأذبت فيه تحرقـ  
ورويت روي من نما له كأسه المترقـ

\*\*\*

ونخذت منه معبداً لتبتلى وتصوئـ  
يقضى به أيامه وحياتة القلب الوئـ  
في عزلة عن ضجة الـ دنيا التي لم ترأف ا  
أصمر صمير

ORFÈD

## على ضفاف الغدير

دُمية أنت من جمال وفنته حار في حنك العباد وتاهوا  
صاغك الله للمحاسن جنة فاستقى الكون من جدارك خلأه  
لست كالناس من تراب وماء أنت من ريقه الخلود خلقتا  
فيك ما فيه من طلاء وضياء غير أن الخلود جاد وذذنا

« ٠ »

ها هو الماء باسم لك برنو في حنو ونشوة واشتياقـ  
أسكرته قسامة لك تعنو لبهاها القلوب في الأعماقـ

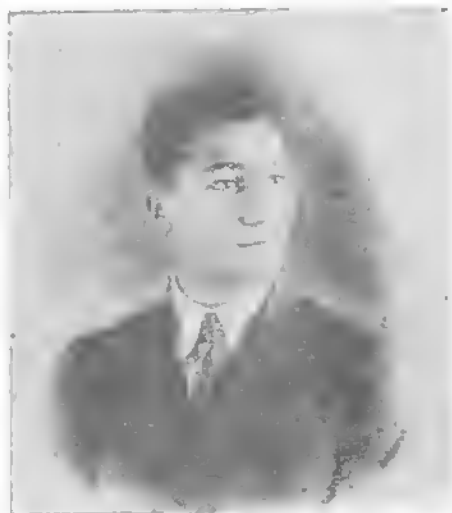
« ٠ »

يا إله الجبال هيئت وجدى وقليل على إن ذبت وجداء  
أنت رمز الكمال في الحسن عندي وفؤادي من المشاعر قداء  
ما أراي لوصف حسنك أهلا أنت جاوزت في الفنون الشموسا  
كل قلب راك ينشد مهلا قد تفردت فاستلبت النفوسا



فكان لها منى فؤادٌ يضمها وينهل منها منلما ينهل الظامى ١

\*\*\*



محمد عبدالحكم المراحى

وشيخٍ مهيبٍ فى جوارى ورأسه  
ولحيته بيضاء زانت بصدرة  
لقد نام هذا الشيخُ تحذوه نعمة  
ألا ما روى ذلك المنام وما الذى  
أما هو مثل الطفل أحلام سادر  
أو أن روى حُبَّ أطافت بقلبه  
وحسن فتاة رطبة العود فتنة  
أو أن روى أخرى إخال سعيدة  
وبحلم إذ يقدو بخلد جزيرة  
وليس ليرثى ما مضى من سنينه  
وما الدهر منها الشعر فى لهو ظلام  
أغاني أفرح وآهات آلام  
كأن صغير فى حنان وإكرام  
ترجمه الأنعام فى سفر أحلام  
تتاجيه فى لون من الطهر بسم  
وذكرى شباب لا يعود لإضرام  
كباقة زهر أو كلحة إلهام  
تخامره فى مثل سحر وإيهام  
مُبَعَّد عباب الدهر والزمن الطامى  
وما برحت تفضيه رحلة أيام

\*\*\*

فتم هادئاً بأبها الشيخ هائلاً  
لعل صباحاً ضاء فى طي إطلام

وَتَمُّ مُعَمِّدًا رُوحًا إِلَى صَدْرِ أَنْفَامٍ      تَطِيرُ بِنَا نَشْوَى إِلَى عَالَمِ سَامٍ  
وَيَزْهَوُ بِهَا مَنْهَا فَرَادَةٌ يَضُمُّهَا      وَيَنْهَلُ مِنْهَا مَنْهَا يَنْهَلُ الظَّامَى  
مُحَمَّدٌ عِبْرَ الْحُكْمِ الْجَرَامَى



## مقتطفات من جيتانجالي

للشاعر الفيلسوف ايندرانات ناجور

عند ما تأمرني بالفناء ، بخيل إلى أن فلي يتحطم كبرياء ، وأصعد ناظري في وجهك ، وتفرورق عيناى بالدموع .  
وإن كل ما هو صعب في حياتي ليستحيل سهلاً إثر أغنية رخيصة ، كما أن إعجابي يصفُ جناحيه كطائر سعيد ، يخفق في الجو ، ويخلق فوق أديم النهر .  
وإني لأعرف أنك تشعر بالسرور حينما أنطلق مغنياً ، وأعلم أني أقرب منك حينما أشدو فقط ، كما أن جناح أغنيتي الممتد لمس أطرافه قدميك اللتين أنوق إلى الوصول إليهما .



يا حياة حياتي :

سأحاول جهدي أن أحفظ جسدي نقياً موقناً بأنك ترعاني ونحوظني ، وسأكون بمزول عن الأكاذيب فلا تتسلط علي ، لأن روحك : الصدق يضيء لي سبيل الحياة .



وسأنتقي قلبي من أوصار الشرور ، وأحفظ حبي في الزهرة ، لأنني أعلم أنك تترجع في صميم الفؤاد وفي أقدس بقعة فيه .

وسأحاول بجهودي أن أكشف عنك في حركاتي لأنني أعلم أن روحك نهبي قوة أعمل بها .

« . »

لقد تجمّدت أغنيتي من البهرج الزائف ،  
وإنّ الزخرف المموّه ليفصم عرى مودتنا ، ويقف حائلاً بيني وبينك ، إذ تتلاشي  
أندأؤك في طينته

وإنّ نهبي كشاعرٍ ليتبدّد خجلاً أمام مرآك ، آه يا مولاي الشاعر !  
إني أجلس تحت قدميك ، وكل ما أبغيه منك أن تهب لي الهدوء والطأنينة ،  
وأن تجعلني كعمود الناي تنفخ فيه أنغامك الموسيقية .

\* \* \*

أيها الأحق !

يا من تحاول أن تحمّل نفسك عبء الحياة .

أيهذا السائل يا من تحاول أن تسأل الناس عند باب دارك : ألقِ أعباءك كلها  
على ساعدي من في استطاعته أن يحمل الجميع ، ولا تأسف على ما مضى !  
إنّ أنفاس شهوتك لتطفئ ضوء المصباح حين تهبّ عليه ، فلا تأخذ عطاياك  
من أيدي دنسة ، ولا تقبل إلاّ ما يقدمه إليك الحب المقدّس .

\* \* \*

إنّ الأغنية التي جئت لأنشدتها ، لا تزال حبيسة في صدري إلى اليوم ،  
وها أنذا أمضيت أيامي أهيم لها الأوتار وأصلحها ،  
ولكن ميعادها المنشود لم يحن بعد ، وإنّي لأحسن بزوعٍ شديدٍ إلى انشادها  
وبرغبةٍ تتردّد في صميم الفؤاد .

ها هي ذى الوردة لم تفتح عن أكمامها بعد ، ولكن الريح تصفر حولها هامسة !

إننى لم أر قط وجه من أحبُّ ، ولم أسمع صوته أبداً ، وإنما يتردد فى أذنى صدى  
وقع أقدامه الجميلة فى الطريق الممتد أمام منزلى .  
إننى أعيش فى الحياة أملاً فى لقائه ولكن حين اللقاء لم يحن بعدا

\*\*\*

يا إلهى !

ها هى ذى صلاتى التى أنوجه بها إليك :  
هبنى قوة من لدنك لا تحمل سرورى وآلامى  
امنحنى القوة لبقى حُبِّى لك زاهراً إلى الأبد  
مدنى بالقوة التى تمنعنى من أن أزدري الفقراء أو أجعلهم يركعون عند قدمى  
أمام جبروتى الطاغى  
هبنى يا إلهى قوة أستطيع بها أن أرتفع بتفكيرى فوق مستوى أوشاب الحياة .

\*\*\*

أنا لا أدري كنه غنائك ، وإنما أستمع اليه فى سكون ودهشة  
وإن إشعاع موسيقاك ليضىء العالم  
وأنفاس الحنانك تخفق من سماء إلى أخرى  
وجداول أنفامك المقدسة يندفع متخطياً كل عقبة فى سبيله ، وينساب فى جريانه  
وقلبى تواق لأن يشاركك الغناء ، ولكن عبتاً ما يحاوله من رفع صوته ،  
ومهما حاولت الكلام فلن يصير غناءً ، وإذ ذاك أغلَبُ على أمرى  
آه ! . . . لقد جعلت فؤادى أسير أنغام موسيقاك السرمدية !

\*\*\*

هيباً لا تتردد فى قطف هذه الزهرة الصغيرة وأخذها فانى أخاف عليها أن  
تذبل وتسقط فى الطين ، ولربما لم تجدها مكاناً فى الكليك .  
ولكن أذقها السعادة فى ألم نخذته لها يدك بقطفك إيّاها ، وانى لأخشى أن  
يمضى النهار قبل أن أصحو فأرى أنه لات حين تقديمها !  
ولذا فلونها ساذج ، ورائحتها ضعيفة ، نخذها إليك واقطفها حين يجىء وقت  
الحصاد

## نَفْسٌ وَتَعَلِّقَاتٌ

### روح الفقيه وروح الشاعر

قرأنا نقداً بقلم أحد مشايخ الفقهاء لديوان من الشعر المصري فقال فيما قال إن الشاعر أخطأ خطأ فاحشاً لأنه قال « نجمة » في حين لا توجد هذه الكلمة في اللغة بمعنى « نجم » . أما الشاعر فقال إنه في الموقف الشعري الذي استعمل فيه هذه الكلمة تخيل في ذلك الجسم النوراني الساحر روح الأنونة فلم يرَ إلاَّ أن يسميه « نجمة » وما يحسب أنه أخطأ في أمانته للفن ، وقد أنصف بذلك لغة الشعراء أحسن إلى أدبها .

وجاء هذا الفقيه ثانية وقال إن الشعراء المعاصرين مفتونون بالوثنية اليونانية والرومانية ، إذ كثيراً ما يستعملون تعابير نائية مثل « روح الآلوهة » في الجبال و « حُلم الآله » ونحو ذلك . أما الشاعر فقال إنه لا يؤمن بشيء من هذه الوثنية وإن زملاه في الأمم الراقية لا يؤمنون كذلك بها ، ومعظمهم يعيش في أوصاف دينية تأبى هذه الوثنية كلَّ الإباه ، ومع ذلك فهم يستعملون مثل تعابيرها التي لا يفهمها سيدنا الفقيه ، ذلك لأنها تعابير رمزية صوفية في معظمتها ، وفي بقيتها لا تمثل أكثر من العقل الباطن الطفل الذي أبدع ما أبدع في الأدب الأوروبي باطلاق الخيال له في الأساطير وغيرها ، بينما عجز وتقهر في الأدب العربي بسبب حذقة أمثال سيدنا الفقيه تلك الحذقة التي عاشت دائماً نكاةً للدسائس على نوال الأجيال ، ومعاذ الله أن يمكن لها في هذا الجيل المتنور .

وجاء هذا الفقيه ثالثةً وادَّعى أن المحدثين يحفرون الشعر العربي والأدب العربي وتحنَّى على أصحابه الفقهاء أن يشدوا أزره في دفع هذه العادة فقال لسان الحال : بل لم يعرف قيمة الأدب العربي الفنية ولم ينصف الشعر العربي أحدٌ مثل أولئك المحدثين يا سيدنا الشيخ ! فكف لهم من دراسات وشروح وتوالييف زادت من نروة هذا الأدب وأنصفت عبقریات السابقين واللاحقين ، بينما سادتنا الفقهاء يهرفون بما لا يعرفون ويلقون بالهم جزافاً تمجيداً لأذهانهم السكليلة وأهوائهم العليلة !

## غرور الشباب

قالوا إننا أسأنا الى الشباب إساءةً عظيمةً فقد صحبتُ موجةً التآليف الجديدة موجةً من الغرور الذي لا يعرف حدوداً ... ومع أننا نأبى هذا الانهام الشامل للشباب فنحن نؤثره ألف مرة على روح التبعية والاستكانة التي كانت تحصل من كثيرين من الناشئين خولاً وأغوات لبعض المزعّمين .... وسنستمر على خطتنا في بث روح الاستقلال والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس في الشباب النابه مع الوفاء لفضل السابقين والمعلمين ؛ ولو صحب ذلك بعض الغرور أو بعض الجحود من هذا أو ذاك ، فاعا ننظر نظرة عامة الى اطراد الحركة الأدبية ونهضتها دون أن ننأثر بالحوادث الفردية السيئة ما دام للانسانية ضعفها على أي حال . وما كل جيل الا قنطرة لمن يليه في اطراد الفكر الانساني ، وهبات أن تنقلب أي أنانية على هذا التقدم الطبيعي وإن عاقته أحياناً . وحسبنا أن نشيد بهذا المبدأ الحق وأن نعمل على تحقيقه وإعزازه ولو جوزينا أحياناً جزء سنار حتى من بعض تلاميذنا ومن تأثروا طويلاً بأدبنا .

## رواد الشعر الحديث

أنار هذا الكتاب الصغير وما زال يشير اهتماماً كبيراً ما بين مدح وقدح فيه وفي مؤلفه وفينا وفي ( جمعية أبولو ) ، وبلغت الوقاحة بأحد المنتسبين ظاماً الى الصحافه أن ينسب إلينا ألفاظاً مهينة لمؤلفه مختار الوكيل وينسب إليه ألفاظاً مهينة لنا ، وهذا كله محض اختلاق ... ومختار الوكيل نفسه يعتز بكتابه ويتحمل مسؤولية كل حرف فيه ، فكل حرف فيه وليد تفكيره وإرادته وإذنه ، ولو شاء أن يبدل أي رأى فيه الآن أو بعد الآن لما ترددنا في نشر ذلك في هذه المجلة حتى ولو نقض نقضاً تاماً ما هو مكتوب عنا فيه ، فنحن لا نحجر على آراء الناس ولا نستجدي الأمداح ولا التقدير من أي مخلوق ، ولم يأت مختار الوكيل في هذا الكتاب بشيء جديد عنا لم يقله هو أو لم يقله غيره من قبل . وأما عن استعفاء مختار الوكيل من ( جمعية أبولو ) فقد افترقنا بأحسن النيات للجمعية وبالتقدير لخدماتها ، ولم نفهم الا أنه وليد رغبته في اعتزال الجمعيات على أثر اعتلال صحته

الطويل الذي أثر على أعصابه ، وهو لا يريد أن يكون عضواً غير عامل بكل معنى الكلمة ، وهذا مما قد يضطره الى السفر الى أوروبا مراعاة لصحته من جهة وبالتخصص في الصحافة التي له شغفٌ خاصٌ بها من جهة أخرى . ونحن كذلك نتمنى له أحسن التحيات في مستقبله الصحفي مما يتفق ومواهبه الأدبية .

### أرب شكري

في كلمة كريمة للشاعر الفاضل عبد الرحمن شكري بجريدته ( البلاغ ) المؤرخة ٦ سبتمبر الفاتئ نمدّه يذكر في صراحة أنه لم يقل لأحد إنه أنشأ مذهباً جديداً في الأدب ولا أني العقاد أو المازني من تلاميذه ، ويؤكد أنه ليس بينه وبين العقاد أو المازني تنافس على شهرة أو حرفة أو رزق ولا يحمل لأحدهما ضغينة ، كما أنه لم يجرّض أحداً على نقد العقاد أو على اتهامه بالأخذ به بل كان دائماً ينفي ذلك كما يشهد خصوم العقاد أنفسهم ، الى آخر هذا الكلام الطيب الذي يدل على نفس زكية طيبة يعينها أدب النفس قبل أدب الكتابة . وهو بهذه الروح الوديدة وضع العقاد بلطف في محله حينما ذكره في آخر كلمته بثقافته في العجلا المامة في ذلك الوقت فضلاً عن وقتنا هذا . والخلاصة أن كلمة شكري لم تنم عن أدبه فقط بل عن محبته كذلك للعقاد وللمازني بالرغم مما صدر منها ضده سواء بالفعل أو بالتواطؤ .

ولكن فانت شكري نقطة هامة ، ولا فائدة له ولا للأدب من تجاهلها ، كما أنه لا فائدة من احتجاجه على من يستبكون مع العقاد بسببه : تلك أن محبيه الكثيرين يعتبرون العقاد مسؤولاً عن تواريه وعزوفه عن الأدب والأدباء ، فلا عجب اذا لجأ بعضهم الى الحدة الشديدة في نقد العقاد . وإذن فيجدر بشكري أن يترجم محبته لصاحبيه القديمين ( بعد ما أعلنه المازني من الأسف الشديد لتحامله عليه سابقاً ) بترك عزلته الأدبية الطويلة والمودة الى نشر آثاره الشعرية والنقدية التي تقرُّ بها عيون محبيه ، وهكذا يضع حدّاً لهذه المأساة . وبقيتنا أت أمر ذلك بيده وحده لا بيد أحد سواه ، وأملنا أن يصحّ عزمه بعد الآن على تلبية هذا الرجاء المعقول الذي يُنصف به نفسه ويُنصف سواه في آخر .

نعم ، لقد انتهت الى غير عودة ظروف عزلته الأدبية ، ومن حق الشعراء والأدباء عليه التطلّع الى ظهور أدبه الناضج الذي يُعَدُّ في طبيعة ما تنزّه به الثقافة الشعرية في هذا العصر ومن مفاخر الأدب العربي على الإطلاق .

## الشباب والادب

تُعنى وزارة المعارف عنايةً جديةً بأن يضع الطلبة دروسهم في الموضوع الأول من اعتبارهم ، ولهم بعد ذلك أن يُعنفوا بالأدب كهواية صالحة لهم اذا شاؤوا ، نظراً لما تفسى بين بعض الطلبة من إهمال الدراسة متخيلين أن روح الأدب تتمشى مع هذا الإهمال وهذه الفوضى ، وبقدرة تشجيعنا لأدب الشباب قد عملنا دائماً جهداً لتعزيز الثقافة واحترامها ، فالثقافة العالية من أقوى أدوات الشباب سواء عنى في حياته العملية بالأدب أم بغير الأدب . ولاخيراً ذلك الشباب الذى يعرض نفسه لإهمال دروسه قائماً بأن يكون حاشية من حواشى المترجمين الذين يريدون أن ينزلوا بالأدب الى مستوى السياسة ، وأن يسخروا الشباب في هذا التضييل كما سُخروا من قبل في أهواء السياسة وهم الخاسرون في كلتا الحالتين دروسهم ومستقبلهم . فالى دروسكم أولاً أيها الأعزاء وقد بدأ الآن الموسم الدراسى ، ثم الى الشعر أو غيره من فنون الأدب في غير أوقات دراستكم اذا ما وُجدت عندكم رغبة صحيحة فيه . وأما الاضطراب والإهمال والفوضى باسم التحرير الفنى فليس من ورائها غير الفشل وأى فشل !

## سُمر الصيرفى

من أظهر الدواوين الشائقة التى غنمها الأدبُ العصرى في هذا العام ديوان (الألحان الضائعة) للشاعر حسن كامل الصيرفى ، فأن أصالة الشاعر تتجلى في كل صفحة من صفحانه . وقد انتُقد عليه ما فيه من كآبة ورمزية كثيرة ، ومع أن شيئاً من هذا لا يجوز أن ينقص من قدر هذا الشعر المألوف أن ديوان (الألحان الضائعة) يمثل فترة من حياة الصيرفى قد انتهت ، إذ ليس فيه شيء من نظمته الحديث بل أن شعره متداول منذ سنين ما بين مطبوع ومخطوط ، ونفس الديوان بحالته الحاضرة كان مهياً للنشر منذ سنة ، ولقد تأثر به غير واحد من شعرائنا التابئين وفي مقدمتهم الشاعر الوصاف على محمود طه صاحب ( الملاح التائه ) . ولعل التقدير الذى لاقاه الصيرفى يشجعه على المبادرة باخراج بقية دواوينه الممتعة .

## عمر ونسب المعارف

كتب الدكتور طه حسين في صحيفة ( الوادى ) مقالاً طويلاً عن فوضى الثقافة في مصر نقرّه على معظم ما ورد فيه ونعزّزه ، وقد ألعنا نحن من قبل في شتى المناسبات الى شئ من ذلك ، فنحن من خصوم الزطامات المصطنعة وما يقبها من مفاسد ، وقد قاومنا دائماً فكرة استغلال الأدب للسياسة ونسخير الشباب في ركاب المترجمين ونضيع مستقبلهم ، وفي الوقت ذاته لم نقصر في بثّ روح الشخصية والكرامة في نفوسهم ، كما يعلم ذلك كل من له صلة وثيقة بنا وتتبع جهودنا الثقافية ، فلا حاجة بنا لشرح ذلك في هذا المقام .

أما الذى يعنيننا بصفة خاصة فهو أن الدكتور الفاضل قد شطّ به قلمه في حماسه فتطرق الى تقديرنا لصاحب المعالي وزير المعارف للتشاور معه في معاونة مجلّتنا الغنية هذه . واذا لم يكن وزير المعارف المهيمن الأعلى على التعليم والثقافة في مصر هو الذى يُقصد لذلك فن ذا الذى يُقصد ؟! نحن نعرف أن هناك جفاءً شديداً بين الدكتور طه ووزارة المعارف ، ولكن هذا الجفاء لا يجوز أن يبرّر له بحال من الأحوال اساءة الظن بالأدباء واساءة التفسير لأعمالهم الطبيعية في شدة وامرافٍ منه ، خصوصاً والدكتور طه يعلم علم اليقين أننا أحييناه وقدّرناه في جميع الظروف التى تقلّب فيها ، فهل له على الأقل أن يحترم أخلاقنا واستقلالنا ؟ ... ليكن للدكتور طه حسين رأيه في معالي وزير المعارف وهو حرّ في هذا الرأى ولن يخطر ببالنا نجرمجه ، ولكن ليذكر أيضاً أننا أحرار في فهم شخصية معالي الوزير وفي تقديرها وفي عرفان فضله على الثقافة المصرية ، وأنتا لسنا من يجعل شيئاً من هذا تحت رحمة الأهواء والظروف سواء أ كانت سياسية أم غير سياسية ، فإن مركز وزير المعارف يجب أن يكون دائماً فوق الحزبية والسياسة . والدكتور الفاضل يعلم جيداً أن المجالات الفنية الصعبة بمصر في حاجة ماسة دائماً الى معاونة الحكومة لها خصوصاً ومتعهد الصحف والمجلات لن يساعدوها على الرواج ، فهل حرام أن تتّجه هذه المجالات المصرية الى الدولة لمؤازرتها بينما تقتصر المساعدات على الأجانب وأعمالهم ؟ اكان أكبر ظننا أن الدكتور الفاضل يحاسب قلمه ولا يشطّ هذا الشطط خصوصاً ونحن لم نلق منه ذرة واحدة من المساعدة ولا نريد أن نشير الى عكسها ، ولذلك نعنب عليه أشدّ العتب .

## كبير «الدرباء»

كتب الينا صديقنا الشاعر عبدالرحمن شكرى رسالة ظريفة يشير علينا فيها بدل مطالبته بالخروج من عزلته أن نمتنع نحن عن نشر شعرنا سنين طويلة فنزداد شهرة على شهرة ، لأن الناس مجبولون على الخلاف «وأحب شيء الى الانسان ما مُنِعَا» كما أن فى هذا الامتناع تنجياً عن الجوّ الأدبى الموبوء بالكيد والثوم !... وفى نفس هذا الموضوع كتب رسالته الشائفة « الشهرة والخلود » التى نشرتها صحيفة (المقطم) يوم ١٤ سبتمبر الماضى .

وقد يرى القراء مثالا من هذا الكيد والثوم فى تهافت غير واحد من طلاب الشهرة على الاشتراك فى أعمالنا الأدبية نقداً أو تفسيراً ، فى حين أننا لانعهد بذلك الا الى خاصة أصدقائنا أو من نربطنا بهم روابط الإعجاب المتبادل ، ثم اذا ببعض أولئك المنهاتين يتظاهر بأنه المظلوم لا الطالب إمعاناً فى الكيد لنا وخدمة خصومنا الذين يتأمر معهم على حساب سمعتنا الأدبية ! ولكن هيهات... ولعل أقرب الأمثلة من هذا القبيل أن يلج أحد المتأدبين إلحاحاً فى وضع كتاب عنا فلما نصرفه عن ذلك بلطف ليشغل بما هو أجدى ينقلب ضدنا ويلجأ للتأمر مع من لا يهدأ له بال الا فى الكيد لنا وهذه الحادثة معروفة مشهورة .

ونحن الآن نعى باخراج ديواننا ( فوق العُباب ) ومع تقديرنا لحجة مريدنا الأفاضل الذين ودّوا الاشتراك الأدبى والمالى فى اخراج هذا الديوان كما تفضل بعضهم بمنل ذلك من قبل ، نعلن أننا دفعاً لكيد الكائدين - ونصرفاتهم فى البيئات الصحفية التى يخلطون فيها بين الأدب والسياسة معروفة - سنكتفى باخراج هذا الديوان مجرداً عن كل دراسة سوى تصديرنا الوجيز ، كما أننا سنكتفى باهداء بعض النسخ الى المكاتب العامة ، وبإصدار طبعة خاصة محدودة النسخ ، ولن نقدمه الى الصحف للكتابة عنه ، وسنتبع مثل هذه مع الخطة ازاء جميع مؤلفاتنا المستقبلية ما بقى الجوّ الأدبى فى مصر على هذه الحالة . ولا نحسب أننا لنحسر بذلك شيئاً ، ولعلنا فى الوقت ذاته نساعد على تنقية الجوّ الأدبى وردّ كيد الكائدين الذين يعادون كل من يقاوم أنانيتهم وعيبتهم ، ولعل هذا يكفيهم لأن يفهموا أن آثارنا الأدبية هى لأنفسنا وخلصائنا أولاً وأخيراً وليست للبيئة المسمومة .



## شعراء أبولو

نظم « مدرسة أبولو » كثيرين من الشعراء في العالم العربي ما بين محترفين وهواة على اختلاف في السن والمكانة ، وقد ربطتهم رابطة متينة من الرغبة الحارة في الحرية الفنية الصحيحة وإنصاف اللغة العربية الشريفة بآليات مسيرتها للزمن وقدرتها التامة على شتى التعابير العاطفية والفكرية بما لا تبرزها أية لغة حية . وقد أشار الى هذه الغاية الهامة أستاذنا خليل مطران في تصديره لسنننا الثالثة .

وبهذه الروح شجعت ( أبولو ) إخراج الآثار الشعرية فكان لمجهود هذه المجلة وما صاحبها من الدواوين الجديدة في السقتين الأخيرتين أثرٌ بليغٌ جداً في خدمة النهضة الشعرية وإبراز مواهب جديدة كانت خافية ضائعة .

من أجل هذا نقرأ أحياناً من النقد الموجّه إلينا ما يُثير دهشتنا أو ابنسائنا ، وقد تورّط في ذلك غير واحد من أفاضل الأدباء إمّا تسرعاً أو استماعاً منهم بحسن نية الى عبت المازلين بينما هم لا يتصلون بنا على الاطلاق ، واحتراماً لحسن ظننا فيهم فكنتي بهذه الاشارة الآن لوثوقنا من أن مثل هذه الآراء المرتجلة لا يمكن أن يتعلقوا بها أمام الحقائق الناصعة .

ومما قرأناه من النقد لمناسبة صدور ديوان ( الألمان الضائعة ) أننا باستنكارنا نهافت النقاد على المسائل النحوية وما شاكلها نعاذي سلامة اللغة العربية ! والحق أننا من أحرص الأدباء على سلامة لغتنا الشريفة وانما نلاحظ فقط أنّ نقد الشعر في مصر هو غالباً نقدٌ غير فني يُعنى بالعرض ويُسقط الجوهر ولا يتفهم الروح الشعرية .

كذلك أخذ علينا أديبٌ فاضلٌ استعملنا كلمة « أصيل » بمعنى original وادّعى سامحه الله أننا لم نستطع تفسيرها له مع أننا لم نذكر له المقابل القرطبي إلا من باب الاكتفاء لعلنا أنه يعرف الأدب القرطبي ، فعاد الآن يقول إن الكلمة العربية اللاتقة هي « مطبوع » لا « أصيل » ، وشجعه هذا على اتهام شعراء أبولو ( وبينهم أعلام في الأدب واللغة ) بالعجز اللغوي والتفريط الخ . . . وهذا في الواقع عكس حالتهم : فان شعراء أبولو يخدمون اللغة الفنية الأدبية

عن طريق الشعر أجل خدمة ، وهم يأبون التقليد سواء للأدب العربي أو للأدب الفرنجى ويمزنون الطلاقة الفنية والتعبير عن ثقافة المصر بما تحتويه من عناصر مختلفة عربية وفرنجية على السواء . فمن الخطأ إذن مثل هذا التسرع فى الأحكام على قوم يعرفون من أدب لغتهم الكثير ، ويعزّون هذا الأدب ، ويعملون على تطويع اللغة للتعبير عن شتى الخطوط والمواجس والآراء والمباحث العصرية ، بدل أن يقنعوا بحفظ البيقات... مثل هؤلاء أيها الصديق يستحقون الاحترام ولا يجوز أن يوصف أدبهم المتحرر الناضج بأنه فجّ قاصر لمجرد أنه مخالف للتقاليد ، فنل هذا الحكم المتعسف أولى بأن يطبق على النثر العصرى قبل النظم العصرى .

أما عن وصفنا الشاعر بأنه « أصيل » فعنايه أنه راسخ الأدب مجيد لا يعتمد على غيره ( وهو ما يستمد من مادة أصل أصالة ) .

أما الشاعر « المطبوع » فهو الذى يأتى بالشعر من دون تكلف . فالأول شاعر مبتكر له شخصية مستقلة ولا يقلد أحداً ، وهو غالباً شاعر مطبوع ، إذ يوجد أحياناً الشاعر الأصيل الذى لا يستطيع أن ينظم بسهولة ولكن شعره فى النهاية يستحق الاحترام لأصالته الممتازة ، كما يوجد الشاعر المطبوع الذى ينظم بسهولة مذهشة ومع ذلك لا يكون أصيلاً نظراً لتأثره بشاعر يمتدحه ، فلا يمكننا أن نضع شعره فى المستوى العالى الذى نضع فيه شعر الشاعر الأصيل ولو لم يكن مطبوعاً . فمن هذا البيان يرى الناقد النصف أننا خدمنا اللغة باستعمال كلمة « أصيل » منذ زمن بعيد فى هذا المعنى ولم نسيء إليها أية إساءة ، ولم يجيء هذا الاستعمال مظهرأ للعيّ بل مظهرأ للتأمل الدقيق فى فقه اللغة ، فإن لم نشكر عليه فنحن على الأقل لا نستحق من أجله اللوم !

وأما تصديرنا لديوان الصيرفى فلا يدعوا الى ما ذهب اليه ناقدنا الفاضل ونحن ندع للصيرفى نفسه واجب الدفاع عن شعره كما تركنا ذلك من قبل لغيره من أعضائنا . ومع هذا فواجب أن نقول إن صاحب ديوان ( الألفان الضائعة ) كان يريد أن يسقط مقطوعة « عقب السيجارة » فأبيننا عليه ذلك ، فلسنا إذن من يصغر هذا اللون من الشعر كما يقال ، خصوصاً ولنا شعر من هذا القبيل فى ديوان ( الشفق الباكي ) وغيره . كذلك لم يكن من الختم أن نشير الى جميع شعره الرائع فهو كثير ، وحسبنا أن نضرب بعض الأمثلة وفى مقدمة ما ذكرناه منها ملحمة عن « الشاعر » . وإذا كان الناقد الفاضل لا يشعر بالفصول فى مصر فالشعراء يحسون بها تمام الاحساس وخصوصاً بالربيع ، ولا يفوتهم ما يصدّه هو من التوافه أو النوادر كموت البلبل

وجفاء الطبيعة ، فهذه الحوادث العرضية للرجل الاجتماعي هي حوادث كبرى للشاعر الحساس ولما يفوته التعبير عنها اذا ما التفت اليها . ونحن لا يرضينا من شعرائنا صداً الطبع أو الخمول ، فلا نقبل أن نقول لهم دعوا هذه الطوارئ المؤثرة على فرض أنها نادرة الحدوث لمن يعيش بين أحضان الطبيعة أو يلتفت اليها الالتفات الكافي . ولعل نظرة من حضرة الأديب النافذ الى ما كتبه الناقد المعروف صديق شيبوب عن الحياة الأدبية وديوان صالح جودت والألحان الضائعة في جريدة « البصير » يوم الجمعة ١٤ سبتمبر الفائت تشعره بالبور الشاسع بين ما خطر له في مجلة أحكامه وبين ما خطر لنا قد قديم أكثر صلة بالنهضة الشعرية والحركة الأدبية في مصر مثل صديق شيبوب .

### انصاف الشباب

أشرنا في العدد الماضي ( ص ٧٢ ) الى المواقفة الموجهة الى أعضائنا الشباب لاجراخ مؤلفاتهم تباعاً ، وكان في مقدمة هذه المؤلفات ( رواد الشعر الحديث ) للشاعر الناقد مختار الوكيل . وقد تلقينا تشجيعاً وثناً على ذلك ، ولهذا تأسفنا غاية الأسف لأن تسمح زميلتنا مجلة ( الأسبوع ) بنشر ما ينتقص ذلك ، وأن يند قلم الأديب اسماعيل كامل بهذا الانتقاص والتشويه لغايائنا الثقافية ، وقد كان يشافها من قبل بحسن ظنه فينا وفي أعمالنا ... وما قيمة الأدب الذي ينتهي شأنه الى مثل هذه التخريصات الفارغة والقال والقيل محاربة الجمعية تبذل جهودها لخدمة الشعر العربي خدمة خالصة بعيدة عن التحيزات والشخصيات ؟ وكل ذلك لأنها نأبي أن تسير في ركاب هذا أوداك !

وليس سراً مكتوماً أن بين مختار الوكيل وبين صاحب « الأسبوع » وبعض محرريه سوء تفاهم شديد لمسألة شخصية محضة لا شأن لنا بها بتاتاً . ولا شأن لها بالأدب ، كما أننا لا نتحمل مسؤولية الآراء في كتابه الجديد بل تحالفه في جانب منها ، فما يؤسف له جداً أن تتورط هذه الزميلة في مثل هذا الطعن القبيح في ذمة مختار الوكيل وفي ذمتنا وهي التي كانت الى وقت قريب تمدحه غاية المدح ، وأن تجعل صفحاتها مسرحاً لهذا السكيدنا ولأعضائنا وأصدقائنا بأقلام لا نعرف الصدق ولا الخجل اعلاناً عن أصحابها وبراً بأصحاب « الامارات » المصطنعة على حساب الأدب والأدباء . . .

ولو تدبر هؤلاء الكائدون رأوا أنّ جميع مناوراتهم مكشوفة ، فنحن لن نتخلّى بأيّ حال من الأحوال عن رسالتنا الأدبية في هذه المجلة وغيرها ، كما أننا نستطيع أن نستغنى استغناء تاماً عن كل تنويه بتأليفنا الشخصية ، فلا نحن نعمل للربح المادى ولا نحن في حاجة الى التصفيق والتهليل ، وإنما لذتنا الأدبية لذّة الهواية الصرفة قبل كل اعتبار آخر ، فمن أراد ثمار أدبنا فعليه أن يسعى لها فلن نكون نحن الساعين اليه ، وإن دفن هذا الأدب لأهون علينا من تصنع الأخلاق الكريمة والمنّ السقيم الذي تنضح به تلك النفوس المريضة المفسدة للجوّ الأدبي في مصر . وقد ضجّ الأدباء المخلصون من جعل الأدب مطية للسياسة ومن تشويه سمعة الأدباء النقاد باسم السياسة كلما قالوا كلمة الصراحة والاخلاص ، والأُنكى من هذا أن يدسّ هذا المنزعمُ أو ذاك سفيراً له في معظم المجلات والجرائد السيارة لمحاربة خصومه وعرقلة النشر لسكّلاً ما لا يرضيه ولو كان أدباً ناضجاً ، فلا عجب بعد ذلك إذا تألم معالي وزير المعارف وجميع الغيورين على حرمة الأدب من هذا الاضطراب المسمّى الى سمعة مصر الأدبية في العالم العربي .

### الدكتور ناجي

شقّ علينا كثيراً ما بلغنا في الشهر الماضي عن إصابة صديقنا الدكتور ابراهيم ناجي وكيل ( جمعية أبولو ) في حادث اصطدام بمدينة لندن إصابة خطيرة نُقِلَ من أجلها للعلاج في مستشفى سانت جورج . ولكن يسرنا أن نعلن الآن تماثله للشفاء وأنه سيعود الى مصر في أواخر هذا الشهر . وهذه بشرى نرفّ الى محبيه الكثيرين في العالم العربي الذين يجلون أدبه ويعشقون لطفه .

وبهذه المناسبة نأسف لما قرأناه من تحامل على الدكتور ناجي حتى في غيبته وأثناء مرضه ، بينما ناجي لم يدافع عن نفسه إلاّ الدفاع المعقول المشروع . وعندنا أنه ما كان يجوز له الاستيلاء من الدكتور طه حسين بصفة خاصة ، بفضل الدكتور طه على النقد الأدبي قديم معروف ، ولكنه في ظروفه السياسية الحاضرة التي غرق فيها الى أذنيه لا يملك الوقت الكافي للدراسة العميقة ، كما أنه لا يملك الاستقلال الذي يخوّل له أن يكون نافداً أدبياً جريئاً ، أي قاضياً عادلاً بعيداً عن المحاباة . فأحكام الدكتور طه الادبية في الوقت الحاضر تُقبَلُ لما فيها من معالم الذكاء لا غير ،

لا لأنها أحكام عادلة ، إذ كثيراً ما تكون بعيدة عن ذلك . ولكن الدكتور طه  
ساحر العبارة حتى ليقتننا بحجيات حكم الاعداد علينا أو على واحد من أصحابنا ! وهو  
يبحث في الشعر المقود لناجي جاهداً عن كلمة خرجت من الأزهر الشريف حينما  
بتغاضى عن عبارات الحشو الثقيل في شعر العقاد التى لا نعرف ولا يعرف الشيطان  
من أين خرجت !

### ضجة مضفلة

كتب الشاعر عباس محمود العقاد بامضاء أحد أتباعه مقالة من مقالاته المستورة  
في جريدة ( الوادى ) المؤرخة ٢١ سبتمبر الماضى بعنوان « ضجة مفتعلة » كلمها تهجماً  
عنيف علينا . وقد خطر فى بالنا أولاً أن نهمل التعليق عليها — خصوصاً وقد ظهرت  
ونحن على وشك اصدار هذا العدد — ثم رأى فريق من زملائنا غير ذلك حتى يرى  
الأدباء النقاد من أين يأتى حُب الانقسام والاساءة الى الأدب والأدباء حتى بأقلام  
من ينسبون الى مهنة التعليم وهم أبعد الناس عن روحها وأخلاقها . وقد رأى  
القراء كيف أننا دائماً نقف موقف الدفاع الشريف ، وحتى هذا الموقف لا نقفه الا  
اضطراً بعد استنفاد كل ما لدينا من حليم ، وانما نقفه دفعاً للتزوير على التاريخ  
الأدبى ودفعاً للاساءة الى النهضة الشعرية الحديثة . بيد أن صفحات هذه المجلة الشعرية  
لا تنسع لمثل هذا الأخذ والرد ، ولذلك فقد نضطر فى المستقبل الى الكتابة فى  
زميلتنا ( الامام ) التى ستستأنف ظهورها فى القاهرة ابتداءً من منتصف هذا الشهر .  
وقد كان بؤساً أن ننفي نسبة هذا المقال الى العقاد كما ننفي نحن نسبة كل ما يظن أنه  
من قلمنا اساءة لأحد ، وكلنا فعلاً بعض مريدى العقاد فى ذلك ليتنصل من هذا  
العبت ، ولكن سعيينا فى ذلك كان على غير جدوى .

اهتم العقاد كعادته فى مسنهل هذا المقال الذى شغل نهرين من ( الوادى )  
— وهو واحد من سلسلة المقالات المنتظمة لمحاولة النيل منّا ، على منال ما كان يتبع  
ضد عبد الرحمن شكرى منذ عشرين سنة — اهتم بالتهوين من شأننا والتعظيم من  
شأن نفسه ، وهى طريقة مبتذلة فى الكبرياء المصطنعة أصبحت تمجّجها حتى بيئات  
التهويج ... ولو أراد العقاد راحة نفسه لترك التقدير الذى يتهاقت عليه للتاريخ  
والنقد الفنى الخالص ، ولتخلى فى سنة الحاضرة عن أمثال هذه الاعلانات الرخيصة

المضحكة ! ولكن هي الغيرة الحمقاء من كل أدب نابه لا يسير في ركابه وله رسالته الخاصة ، وآخر غرائبها الحيلة التي نظمها على الكاتب الاجتماعي النابه أحمد الصاوي محمد في أكثر من صحيفة .

ونقرأ بعد ذلك كلاماً عن رجولته المكتملة ، وأنه رجل صراع وطني وأدبي تحاربه قوات مجتمعة ومتفرقة فيصمد لها جميعاً ، وأما نحن فني هدوء من البال وطراوة النسيم ، الخ ... وهذه الكلمات آية في التبجح لقلب الحقائق ، ونحن لا نذكر جهودنا المتنوعة وكفاحنا المتواصل في ميادين شتى منذ أكثر من عشرين سنة فهي لا تحتاج الى توكيد ، وما تحياه من حياة النضال المستمر والتشف والتعب المتواصل أشهر من أن يعرف به لكل ذي منطلق سليم ، وأما رجولة صاحبنا العزيز المكتملة ومثله الأعلى في الصراع الذي يصح أن يقال فيه « مكره أخاك لا بطل » فوقفه الخزي أثناء محامته ، وهروبه من ميدان الأدب الى ميدان السياسة ليحارب زملاءه بأسلحتها الحقيرة . ولا نعرف أن هناك قوى تحاربه فهذا تهويل في تهويل وجعجة فارغة ، بل ان ما يتعرض له من متاعب ترجع الى رعونته وسلطان لسانه أقل بكثير مما تعرض له زملاؤه الصحفيون المجاهدون الذين لا يضجون مثل هذا الضجيج لنفناً للأفكار وتظاهراً بالبطولة . وأما الصراع الوطني الذي يتحدث عنه فأننا لا نفهمه كما لا نفهم هذا الكفاح الذي يتشدد به ، وإنما نفهم منه فقط أنه ضحك على الدقون ! فهذا كاتب يتناول مرتباً حسناً من (الجهاد) ومكافأة مالية من (الوفد) وكل جهوده مقصورة على مقالة سياسية يومية هي غالباً عريضة شتائم فارغة للتأثير على الدهماء . ومقالة أدبية أسبوعية ، وله الكثير من الوقت لمرحه ومتعه ، بينما نعانى نحن ما نعانى من المشقات والتضحيات المتنوعة والمسؤوليات الكثيرة وصنوف المحاربات عاماً بعد عام . وما زال صاحبنا يتوهم أن في ظهوره بمظهر الصنم وفي لطمه ذوى الفضل عليه وفي تشبيهه زائريه ومجتمعاتهم بمحديقة الحيوانات وتسجيله ذلك في شعره ما يكسبه الرجولة والعظمة والاحترام ، فيعيرنا بوداعتنا وهوادتنا ويحاول أن ينتقص رجولتنا ، ولكن كل من عاش في البيئات المنقفة في أوروبا وخالط رجال الأدب والعلم فيها يعرف أن أخلاق الاجلاف ليست من العظمة أو الرجولة ولا من احترام النفس في شيء ! ومحمد الله لم يمن الشباب الذي امنزج بنا الا الشعور التام بالرجولة والاستقلال والاباء وشعم النفس وأمثال هذه الصفات التي نبناها فيه ولو ثار بعضهم علينا — وقد أشرنا الى ذلك من قبل — وليس مثل هذا ما يستطيع أن يباهي به العقاد لمحو

من عاشره من الثبان . وما يتردد علينا منهم إلا أبناء البيونات الطبية ، فإيقوله  
ذنب آخر من أننا نعول هذا أو ذاك هذر في هذر ، فإن إنفاقنا على العلم والأدب  
لا على الأشخاص وليس لغايات شخصية ، والعكس كل العكس حال خصوصنا .

وأما عن آرائنا الفلسفية وتأملاتنا الفكرية فتغلغل في دواويننا ومؤلفاتنا وهي  
من صميم خواطرنالامن آثار مطالعنا وحدها . فلا تدفع بصاحبك المسكين الى  
العيب في شعرنا قبل أن تحرم عليه انتهابه ، اذا كنت أنت تريد التظاهر بالتعفف  
عن مثل ذلك ، وهذه احدى قصائده الأخيرة « النفس الضائعة » المنشورة في مجلة  
( الرسالة ) المؤرخة ١٧ سبتمبر الماضي منهوبة الخواطر والمعاني من قصيدتنا  
« أقصى الظنون » ( ديوان الشفق الباكي - ص ٣٠٠ ) واذا غفرنا لك ما تنهيه  
أنت بجانب ما لك من حسنات فلتحسن على الأقل اختيار من توكل اليهم مسؤولية  
مهاجرتنا بهذا الاسلوب الرقيق . وأما عن شعرنا الذي يتمثل فيه تقديس المرأة  
روحاً وجسماً ومعنى فهو أبعد ما يكون عن الاباحية لدى من يفهمه ، وإنما هو صورة  
التسامي والطبيعة النقية ، ولم يقل أحد عنا ذلك لمجرد وصفنا شتى الاحوال النفسية ،  
بل نحن نغار على قدسية المرأة أشد الغيرة ، وتفسيركم هو صورة تفوسكم المريضة . وإنما  
هذه الاباحية بل الشذوذ البغيض هو مما يظل من ثنايا شعرك ، ونحن لانعرف  
النفاق الذي تعرفونه أنتم أيها العالفة المتصنعون وأنصار الفضائل الموهومة !

وأما الحق الكظيم فشيء لانعرفه أيضاً ، لأن أشهى ما عندنا أن نعيش للجمال  
بما فيه من حرية وسلام وقد نقدنا أدبك وقدرناه فوجدناك لاتنفع بأقل من التأنية  
فراينا من الخير بعد ذلك أن تركك وشأنك إذ لا خبر في مثل هذا الغرور والأتانية .  
ولولا تعرضك لنا بالسوء وطعنك في شرفنا وأخلاقنا ، ولولا المناسبات الأدبية التي  
تقضى الأمانة بذكرك فيها ، لأغفلناك اغفالا تاماً . ونحن نتحدى أي انسان يقول إننا  
أصغرناك عند من قسوا في نقدك ولم تكن منصفين لك من وجوه شتى .

ونحن لانعرف أحداً يختلط بنا إلا من ذوى الفضل والمكانة والشباب المنقف ،  
ومن عداكم فلا صلة لهم بنا ، وقد نكون لهم بك هذه الصلة بالمعنى الذي تذكره . وقد  
نساعده بعض البائسين أحياناً على قدر طاقتنا كما ساعدنا صاحبك الشتام الجاحد ، وهو  
آخر من ينبغي له التحدث في هذا المعنى ، ولينقدم أو لنتقدم أنت تبابه عنه بسداد  
ما افترضه وما يقترضه بمنه ويسره من الكثيرين ثم يدعي بعد ذلك أنه من تعرض  
عليه النقود في حين أنه لا يعطى لأحد فرصة لمثل هذا العرض . . . . ولكن هي

الصفافة المتناهية وطبيعة الاختلاق التي تسترها الليونة والابتسام إلى أن ينفضح أمره وتظهر خديعته ورياءه، وحينئذ يثور ويتكلم عن « القاذورات » وأشباهاها كأنما هذا من لغة معلمي المدارس التي ينتسب إليها !

ولم يجعل ذلك القلم السليط من الخط من أدب مطران وشكري وتصوير التنويه بها ضجة مفتعلة ، وأما سخافة « امارة الشعر » التي تورط فيها الدكتور طه حسين ( كما يتورط الآن عن حسن نية في مقالات كثيرة مغرضة بتأثير من حوله من الموسوسين ) فليست من الضجة المفتعلة في شيء !

إن مطران يا هذا ملئ الاستماع والأبصار بأدبه الناضج منذ نصف قرن ، وهو في غنى تام عن كل ضجة مفتعلة ، فلا توهموا القراء بأنه مجرد شاعر صادفته الشهرة ، وخطبتنا في هذه المجلة كانت دائماً معارضة الزعامات المفتعلة حتى رفضنا تلقيب مطران بأمير الشعراء وشاعر الأفطار العربية كما رفضنا أن ننشر الأمداح الموجبة إلينا قبل أن يخطر في بالك التعلق بهذا الصغار . . . ولا نود أن نقول إنك عدت إلى ذكر شكري مضطراً في الوقت الذي تريد أن نختم بسلام هذه المسألة ، فمن الخير أن لا نعود إلى الغمز في أدب شكري وأخلافه وأنت تعلم محبتنا القديمة له التي لا شأن لها بك ، ولا إلى الطعن فينا وفي وزارة المعارف لمثل هذا التظاهر الرخيص بالبطولة الذي تقوم به من وقت إلى آخر ، وما أرخص هذه البطولة المرجاء في بلادنا المسكينة !



وتظهر الامضاء الشريفة ورمزها مرة أخرى في مجلة ( الأسبوع ) الغراء بعددها المؤرخ ٢٦ سبتمبر الماضي كأنما لم يبق غير هذا الاسفاف ضامناً لرواجها . ونمود فنقول إننا لا نعرف التهجم على أحده ، فكيف نلام بعد هذا إذا وقفنا موقف الدفاع الصريح عن شرفنا وأدبنا إزاء الكاتب المتحامل وإزاء المجلة التي تقضى خطتها التجارية بما لانه ؟ قال ﷺ : الدنيا جيفة وطلأُها كلاب ، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشره الكلاب ! ونحن لا نريد شيئاً من دنيا هؤلاء ، ولكنهم يتخيلون دائماً ذلك فينفضون أنفسهم ويشنون من الغارات ويبتدعون من الاختلاقات ما ينافي أبسط مبادئ الأخلاق والانسانية ، ولكن ما لهم وللأخلاق والانسانية ودنياهم من غير هذا الطراز ؟ يحاولون الإيقاع بيننا



وبين ناجي وهو مَنْ هو بيننا في المسكنة والإعزاز . وبحولون دوت نشر رسالة مختار الوكيل ردّاً على مزاعمهم الكاذبة وافئنانهم وقد سلّم اليّنا نصّها بخطه وسنشرها في مجلة ( الامام ) الصادرة يوم ١٥ أكتوبر ليرى القراء مبلغ افتنان هؤلاء الأفاضل في التزوير على الأحياء . ويدّعون أنّنا كتبنا الى ( البلاغ ) مقالة عن « النور في شعر أبي شادي » بامضاء مختار الوكيل بينما نحن نزهد في نشر ما نقناوله من أمداح وتقاريط من أدباء معروفين ، ومختار الوكيل حسن الخطّ ولذلك نجزم بأنّ مقالته ذهبت الى ( البلاغ ) بخطه هو ، فليُسال عنها ( البلاغ ) . وأما وجود « دار ذى القرنين » في الاسكندرية فأمرٌ جائز ، وهذا لا ينفي الشعر الاباحى المستنكر ، وما هو بالفريد من نوعه في شعر العقاد ، ولذلك لم يأتهم لارمزي مفتاح ولا صالح جودت في استنكاره ولم تأثم مجلة ( أبولو ) في نشر ذلك الاستنكار ، فإنّ تقدير الجمال وتحليله الذوق شيء والاباحية شيء آخر . وأما عن آراء اسماعيل مظهر فليُسال عنها هو فشواهدا عنده . وأما عن عزيزنا كامل كيلاني فحسبه أن يداوى اللطمة التي أخذها أخيراً من المازني لتفنّنه في اصطلياد مواد مؤلفاته من الأدباء البائسين ، ويكفيه أن يطوف على المقاهي بأهاجيه لنا ، وبمقالات تقربظه على الصحف سواء مباشرة أو بالواسطة . ونحن لا نعمل مرّاً في أى مجال بل حولنا من حولنا من أدباء شهود يعرفون إذا كنا نعمل لأنفسنا أم نعمل لغيرنا ، ونخترع الأمداح أم نتعقّب عنها ونشدد النقد الصريح الزبه . وعدد ( الأسبوع ) الأخير كله هوسٌ وجنونٌ في مهاجمة صفحات متوالية الى درجة الإشارة الى ماضينا ، كأنما كنا من متشرّدى القلعة وقهوة الشيشة وغيرها أو من مهرّجى قلعة ابي جيل أو من صعاليك الصحافة الأوغاد . . . وهكذا يكون النسل وسادتنا الشبلاء !

### عبث

كنا كتبنا في العدد الماضي كلمة مؤاخذه صريحة للأديب عبد الفتاح حمودة على نقده لشعرنا الذي جعله في الواقع طعناً في ذمتنا وأخلاقنا قبل أن يكون نقداً فنياً ، وهذه عادة سيئة ذائعة بين النقاد لا تقلّ عنها سوءاً أن يعتبر الناقد المنقود أقلّ منه أدباً وفكراً فينورط في أبجديات نقدية لا معنى لها . وأما النقد الأدبي الخالص فمادتنا الترحيب به ومنافسته في هدوء ، والشواهد الماضية كثيرة على اخلاصنا في ذلك ، بل نحن نشكر الناقد الأدبي الصريح ولو تحامل علينا مادام يكتب بحسن نية .

وقد جاء الأديب الناقد في جريدة ( الوادى ) المؤرخة ٢٨ سبتمبر الماضى برديّ ليس فيه ذرة من الانصاف والاعتراف بالخطأ أو الاستقلال الذى يدعيه، بل فيه مافيه من زيادة التهجم علينا، وحسبنا إنصافاً له ولا نفسنا أن نوجّه اليه أنظار القراء ليتبينوا بأنفسهم روح الكاتب الفاضل ومراميه، ثم ليحكموا له أو عليه وعلى غيره ممن يتفضلون بتجريحنا في جريدة ( الوادى ) رعاية من هذه الجريدة المحترمة لصديقها العزيز عباس محمود العقاد ومن يلوذون به، بعد أن أصبح الدكتور طه حسين لا يتحرز من التأثيرات الشخصية والمصبية السياسية حتى ولو كانت ضدّ رجل ما يزال يحترمه ويحسن الظنّ به ولا شأن له بالعصبية السياسية كمحرر هذه المجلة .

### أبنا المفرّ بالشباب ؟

لقد دفع سخطُ العقاد وأذناه علينا ( لأننا أبينا إياه التفرير بالشباب ودفع مواهب الرجال المبرّزين الذين حاربهم ) الى الالتجاء الى راية السياسة كما أشرنا من قبل، واستغلال الصحف التى تجامله لنا وأتينا بكل وسيلة ومنها اتخاذ الشباب للاختلاف ضدّنا وإساءة تفسير جميع أعمالنا وبين هؤلاء من لم يبرحوا أول سلم الأدب ... فن ذلك أننا اذا ضننا بفراغنا فى ( أبولو ) لدراسات تخصّصنا ونشرناها مُعتقلة لم نكن مشكورين على هذا الاينار بل كان ذلك جريمة وأى جريمة، ووجب عقوبة من يقدرنا ولو كان مثل خليل مطران أو أحمد محرم اللذين ترجع علاقتنا الأدبية بهما الى سنين بعيدة ! ومن ذلك أن يقال إننا نستجدى التقريظ ونحن الذين نأبى نشره فى هذه المجلة وغيرها، وبينه ما يتشرّف غيرنا بأذاعته كما يفعل العقاد فى « الجهاد » وسواه، بينما نحن الذين كنا ولا تزال القدوة المثلى فى نشر النقد الصارم كما فعلنا فى نشر مقال صديقنا الفاضل محمد سعيد ابراهيم فى ديوان ( الشفق الباكي ) فى حين يبولول غيرنا لأى معنى من معانى النقد ! ومن ذلك أنّا اتّباعنا نسق النشر الذى آثره صديقنا الأديب الصحفي المطبوع حسن الجداوى أو تعاوننا الأدبى مع مريدنا من جميات وأفراد معناه انعدام شخصياتهم فى كل هذه الآثار الأدبية التى تخصّصنا ! ويكفى عندهم دليلاً على ذلك ارتباطنا بمطبعة واحدة مشهورة خدمتنا وخدمت أصدقاءنا سنين طويلة فتمائل الحروف والنسق فى اعتبارهم الحكيم معناه انعدام الشخصية !

والاظرف بعد كل هذا أن مَنْ يوَكَّل بنقدنا من الناشئين هم بين مَنْ نُصلح لهم أشعارهم وأدبهم ، ومع ذلك يدعى خصوصاً أن هؤلاء نقادٌ ناضجون مستقلون ! ها هي مجلة (أبولو) في سنتها الثالثة مزدهجة بانتاج العشرات من الشعراء والنقاد ومع ذلك فنصيبنا الشعري فيها قليل ، ولم يُعرف عنا أننا استغللنا جهود أحد منهم للإعلان عن أنفسنا، بل كان ولا يزال كلٌّ ههنا أن نكون عاملين في المؤخرة وأن ندعِ الصدارة كلَّ الصدارة للشباب المنجيين ، نُشغلهم بالخير المحض بينما يُشغلهم سوانا بالتحيزات الشخصية والمناسعات ... ولقد أراد الدكتور رمزي مفتاح أن يضع كتاباً عنّا فصرفناه عن هذا الجهد الكريم ، وأراد مثل ذلك الموضى الوكيل فأبينا عليه هذا الفضل ، وأراد مختار الوكيل أن يكتب دراسة طويلة لديوان « فوق العباب » فشكرناه معتذرين ، وقد تطول بنا القائمة إذا سردنا الأسماء الكثيرة . فأبنا بعد هذا بفر بالشباب أيها العابنون ؟

### أب أم فلز ادب ؟

قد تمرّ بنا أشياء كثيرة لا أهمية لها في ذاتها ، ولكن لها أهميتها في تاريخ التيارات الأدبية في وقتنا الحاضر ، وهذا ما دفعنا إلى كتابة هذه التعليقات المختلفة . منال ذلك أن تعلن صحيفة لمختارها عن قرب اشتراك أحد مريدنا في تحرير صفحتها الأدبية ، ثم إذا بكل هذا يُعدّل سريعاً فيحال حتى دون نشر أدبه ويحل محله آخر لا صلة له بالأدب ، ويكنى أنه موظف تجاري لا أكثر ولا أقل ولا ثقافة أدبية خاصة له ولا مراة كتابية قوية عنده ، وكل ميزاته أنه أحد أذئاب العقاد المتزلفين يحمل له في كل يوم جمعة صينية الكيكية ، وينضم إلى من يسميهم العقاد أعضاء « جئينة الحيوانات » ، متسليةً العقاد بهم ومستهيئاً بشأنهم ، وهو المقدّس المشكور منهم على أي حال ! وهذا الإبدال له البناء الواجب حقاً ، والثناء الواجب يتشكل طبعاً بمهاجتنا لامهاجة فنية ولكن مهاجة من قلة الأدب لحتتها وسداها الطعن في الذمم بقلم أسير يتصنع الصدق والحرية . . . وبعد هذا ندع الكلام للشاعر الناقد صالح جودت في صحيفة « الامام » التي سنصدر في منتصف هذا الشهر ، فإن له خبرة خاصة بهذا الصنف من المتطفلين .

ويتحدث ذنب آخر عن تعفنه عن ذكر ماضيتنا الذي تفخر به كل الفخر ، والاولى

به أن يذكر القراء بماضيه هو في الصعلكة والفسك، وبما كتبه المهياوى في « الاخبار »  
وعبد القادر حمزه في « البلاغ » عن ماضى العقاد من جهتي السياسة وغيرها ، حتى  
يحذر قليلاً في ما يريد خلقه من عصبية سياحية موهومة ضدنا ، بينما نحن نحترق  
هذا الاتجار بالسياسة كل الاحتقار ونتحدث أي مخلوق يدعى ما يدعيه العقاد من  
أننا نعمل بايعاز أي سلطة أو بمكافأة أي سلطة لناواته المزعومة كما أوهم أحد أذنايه  
في كتاباته ، وكما ذكر العقاد نفسه تكراراً في مجالسه إيهاماً بعظمته وطعننا في شرفنا  
بهذا السلاح الخسيس ، بينما شرفنا الوطني وشرفنا الشخصي كلاهما أسمى من أن ينال منه  
أي إنسان على الإطلاق فضلاً عن مثل العقاد وأذنايه .

### الى أصدقائنا أبولو

وبعد هذا ، نعلن أصدقائنا ( أبولو ) بأننا تلقينا ردوداً شتى على ما وُجّه إلينا  
من حملات ، ولكننا آثرنا أن نكتفي بملاحظاتنا المتقدمة التي نجعلها الأخيرة من  
نوعها في هذه المجلة وأن ننزه صفحاتها تنزيهاً مطلقاً عما يجاوز أحياناً في الصحف  
اليومية ، فإن في تأييد وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية والمعاهد  
العلمية في الشرق والغرب لهذه المجلة معنى سامياً لا يفنى تكديره بالدخول في  
المنازعات التي لا تسلم غالباً من أضرار الأحمق .



## ذكرى المتنبي

أذاعت طهران إقامة تذكّر للفردوسي شاعر الشاهنامه كما سبق القول ، والان  
تذيع الأقطار العربية الاحتفال المرتقب بذكرى المتنبي ، فأقول في ذلك :

تمهيد

ان المتنبي الشاعر المشهور الكندي ترك لنا آثاراً شعرية ليست بأقل مما تركه

غيره من شعراء الأعاجم ، فإذا لم يكن قد نظم ملاحم كاليادة اميروس وشاهنامة الفردوسي وكستان السعدى وفردوس ملتون وروايات شكسبير وتأملات لامرتين وقصائد هيكو وكوميدية دنتي ومنظومات سرفنتس وغيرها فقد ترك لنا ديوان شعر ملاء بالحكم والحكمة والافكار الرائعة فى وصف الجروب والأسد وغيرها مما خلد له الذكر وحمل كثيراً من العلماء على شرح ديوانه حتى كان شراحه أكثر من أربعين وآخرهم الشيخ ناصيف اليازجى فى ( العرف الطيب ) مما طبعه ولده الشيخ ابراهيم ، الى غير ذلك مما يدل على مكانته الكبيرة فى عيون العلماء قديماً وحديثاً ، وفى السنة الانية يمر على وفاته ألف سنة وهو رفيع القدر ذائع الذكر .

من هو المتنبي ؟

سمى بذلك لأنه ادعى النبوة فى بادية السماوة وأسر وحبس . وهو الشاعر العربى اللغوى الجميل الطراز فى أساليبه والفيلسوف المبدع فى حكمه فقد ملأ حلب الشهباء بعدادح سيف الدولة بن حمدان حاكماً وسار الى مصر فلم يقصر فى أوصافها وأجاد فى كل ما نسجته براعته وأبتدعته فكرته وأنتجته تخيلته ومنلته بلاغته مما تناقلته الرواة فى كل عصر وأكبرته العلماء فى كل مصر حتى فى الاندلس والمغرب فلقبوا بعض شعرائهم باسمه تيمناً مثل ابن هانئ ( متنبي المغرب ) ، فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندى الذى طار ذكره بين الشعراء وكان مولده فى الكوفة سنة ٣٠٣ هـ ( ٩١٥ م ) وتوفى قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ ( ٩٦٥ م ) فلم يمر أكثر من ذلك لما ترك مقالاً لقائل ولا مجالاً لجائل ، وكان سبب قتله قوله مفتخراً :

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى      وأسمعت كلانى من به صمم  
الخليل والليل والبيداء تعرفنى      والسيف والرمح والقرطاس والقلم

آراء الكتاب فيه

وما يروى عن الشيخ ناصيف اليازجى شارح ديوانه كما سبق أنه رأى أحدهم وقد كتب على نسخة من ديوان المتنبي هذين البيتين :

أَسْأَلُ اللهَ إِلَهَ الْعَرْشِ      إِذَا الْإِفْضَالُ رَبِّ  
حَسَنَ لَفْظِ الْأَرْجَا      نِيَّ وَحْظِ الْمُنْتَنِي

فكتب تحتها من نظمه :

قد تمنى حسنَ حفظٍ فأرانا حسنَ لبٍّ  
طلب الممكنَ إذ لم يرجُ نظمَ المتنبي

وكان اليازجي مولعاً بالمتنبي وشعره حتى تحداه بمنظومه وكان يحفظ أشعاره ،  
ومن آثار ذلك أنه لما وقف على طبع معجم ( محيط المحيط ) لبطرس البستاني وكان  
بمدرسته الوطنية ملاء المعجم شواهد من المتنبي مما وعاه في حافظته النادرة ! وكثيراً  
ما كان يقول : المتنبي يمشى في السماء والشعراء على الأرض !

ومع ذلك فقد انتقد المتنبي بعضهم وهجوه حمداً مثل ابن لنكك البصري  
النحوي وشاعر آخر غيره بأنه كان سقاء بالكوفة بقوله :

أى فضلٍ لشاعرٍ بطلب الفضلِ من الناس بكرةً وعشياً  
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء حيناً يبيع ماء الحيا ؟ !

وكتب بعضهم في مدحه وهجائه وتقدمه ، وردّ آخرون عليهم أفواهم ، وذلك  
بما لم يسبق لغير المتنبي من هذه العناية الفائقة بشعره .

وقال ابن الأثير في محاسن المتنبي بمثله السائر :

« وأحسن من هذا قوله في قصيدته التي مطلعها ( عجبى اليمين على عجبى الوغى  
ندم ) :

فأتركن بها خلدأ له بصره تحت التراب ولا بازأ له قدمُ  
ولا هزبرأ له من درعه لبدته ولا مهاة لها من شبهها حشمُ

وهذا من المליح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفاً ، والباز  
استعارة لمن طار هارباً ، والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من  
السبايا ( ١ ) .

وعقد باباً للمفاضلة بين المتنبي والبحتري في وصف الأسد وأورد أبياتاً من  
القصيدتين البائية للبحتري واللامية للمتنبي ثم عقب على ذلك بقوله :

« وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتنقيح العصبية أذكرو ،  
وهو أن معاني أي الطبيب أكثر عدداً وأسد مقصداً . ألا ترى أن البحتري قد

قصر بمجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالأسد سرّة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك ؟ وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أمعنَّ الثبَّ الهزبر بسوطه لمن أدخرت الصارم المصقولا ؟

ثم إنه تفنن في ذكر الأسد فوصف صورته وهيبته ، ووصف أحواله في انفراده وفي حبسه ، وفي هيئة مشيه واختياله ، ووصف خلقه بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسفاهة . ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل نفسه بلفظه الممدوح ، وأخرج ذلك في أحسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى .

والبحتري وإن كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الفوص على المعاني ، ومما يدل على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبيانه الرائية لعلّه أن بشرا (١) قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ، وللفطانة أبي الطيب لم يقع في ما وقع فيه البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً . ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء في ما أورد مبرزاً .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنا عشر منها على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معاني كتوارد البحتري والمتنبي هنا على وصف الأسد . وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فان بعد المدي يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابع وخسر الخامس . . . » هـ .

وأنشد المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة واشبيلية في الاندلس يوماً ما في مجلسه بيت المتنبي من قصيدة :

إذا ظفرت منك الميؤنُ بنظرة أثاب بها معي المطيُّ ورازمة

(١) يريد بشر بن أبي عوانة في قصيدة قتله للأسد التي مطلعها :

أفأظم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وقد شطرها محمود قبادو التونسي تشطييراً زادها سلاسة ومعاني وحسن وصف

وجعل يردده استحساناً وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي  
قائداً ارتجالاً :

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فأنما      تمجيد العطايا واللهى تفتح الله  
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى      بأنك تروى شعره لتألفها  
ومن بلاغات المتنبي الفائقة إنه وصف بيتين ما وصفه أوميروس كبير شعراء  
اليونان في الياذته بأبيات ، وكان للعتبي براعة بدیعة فيها ، وهما :

صدمتهم بخميس أنت غرته      وسمهرته في وجهه غمم  
فكان أثبت ما فيهم جومهم      يسقطن حولك والأرواح تنهزم  
وهذان البيتان مما فات سليمان البستاني ذكرهما حاشيته على قول أوميروس كعادته  
في الياذة العربية .

ومن أولى ما نختم به كلمتنا عن المتنبي علمه باللغة وإطلاعه على غريبها وحوشها  
حتى كان يستشهد بكلام العرب نظماً ونثراً في كل ما يسأل عنه ، وسأله الفارسي عن  
الجموع على وزن فعلی فقال له في الحال : ليس عندنا إلا جمان وما حجلى وظربى ،  
فبحث الفارسي ثلاث ليال في كتب اللغة فلم يجد لهما ثالثاً !

ومن نثره قوله في رسالة موجزة : وصلتني وصلك الله معتلاً وقطعتني مُبِلاً ،  
فإن رأيت أن لا تحب العلة إلى ولا تكدر الصحة على فعلت إن شاء الله تعالى ( ٥١ )  
إلى غير ذلك

عيسى اسكندر العلوف

زحلة ( لبنان )







### تربية الذوق

ربما أتيح لنا أن نضع كتاباً فنياً مصوراً عن جمال المرأة وتحليل عناصر ذلك الجمال ، لأننا نعتقد أنّ كتاباً من هذا الطراز مما يساعد على تربية الذوق الفني والنظر إلى المرأة نظرةً فنيةً . وقد لاحظ أصدقاؤنا كيف أنّ جميع الشعر الذي تناول المرأة ونشرناه في هذه المجلة أو في داويننا الخاصة كان يحوم حول تقديسها وحول تربية الذوق الفني المتطلع إليها ، كيفما كان الموضوع الذي تناوله ذلك الشعر خاصاً بها . وبعبارة أخرى أننا كنا نحارب بهذا الشعر الخشونة المتوحشة وشعور الاحتقار للمرأة والشذوذ والشهوة السقيمة ، كما كنا نربي الذوق الفني العام . فإذا لم يقط بعد ذلك من لا يفهمون شيئاً من أصول الفن ، أو من يعميهم الحسد والغرض بتفسيرات بمجتها كل أدب مذهب « كالأباجية » ونحوها ، فيجب أن نردّ تفسيرهم إلى نفوسهم ، فإنا نحن نعتمد على أرق النماذج الفنية ومنها ما اعترت به الأكاكيميا الملكية في لندن وصالون باريز وماتعزّ بأمثاله المعارض الفنية المصرية نفسها التي ترعاها هيئات محترمة . فابعدوا عن الأذهان أيها السادة تفسيركم المريضة ، واحتفظوا بها لأنفسكم إذا شئتم ، فأنتم وحدكم أهل لها .

### ذكرى الفردوسي

في الثاني عشر من شهر أكتوبر الجاري يقام في مدينة (مشهد) بآيران - حيث مرقد الشاعر المشهور الحكيم أبو القاسم الفردوسي صاحب كتاب « الشاهنامه » الاحتفال الرسمي العظيم بمرور ألف سنة على ميلاد الفردوسي . وقد دعت إليه الحكومة الإيرانية كثيرين من أهل العلم والأدب من أنحاء العالم ، كما دعت ثمانين مستشرقاً من مختلف الأمم الغربية . ويمثل مصر في هذا الاحتفال الفخيم الاستاذ عبد الوهاب

عزّام ناشر ترجمة «الشاهنامة» الى العربية ، وهو في مقدمة المصريين المتضلعين من الأدب الفارسي ، وستسبقه احتفالات أخرى أولها بمدينة طهران في الرابع من أكتوبر . وتعني الحكومة الايرانية بترميم قبر الشاعر على مثال أبنية ملوك الايرانيين القدماء قبل البدء بالاحتفال .

وفي الوقت نفسه تشترك الحكومة الروسية بذكرى هذا الشاعر العظيم ، فحبذا لو استطاعت الجامعة المصرية — على ما بين مصر وإيران من صلات قديمة — أن تقوم من جانبها باحتفال مستقل توطيداً لما بين الأمتين من الروابط الثقافية القديمة وتكريماً للعبقريّة الأدبية .

### الطلبة والجمعاعات

كثيراً ما شكّا رجالُ التعليم من استغلال رجال السياسة — على اختلاف أحزابهم — لشباب الأمة ، وعلى الأخصّ لطلبة المدارس ، في تنفيذ برامجهم السياسية ، لأن نتيجة هذا الاستغلال كانت التفتوت على كثيرٍ منهم دراساتهم والاساءة الى مستقبلهم ، فأَنَّ السياسة أولي بأن تُترك للزعماء السياسيين ولرجال الوطن الذين حنكهم التجارب وأنضجتهم الحوادث ، لا أن تكون العوبة في أيدي الناشئين الذين يصيرون حتماً ضحايا الأحزاب السياسية .

وقد انتقل هذا المرضُ — للأسف الوافر — من ميدان السياسة الى ميدان الأدب ، أو على الأصحّ الى شبيعةٍ منه تؤمن مجازاً بعبادة الأصنام وبالخلط بين الأدب والسياسة ، واذا بهذا الشباب يُمخَّر للهتاف لهذا المنزع أو ذاك هتاف الحناجر الاسيرة وهتاف الأفلام الدلّيلة .

ولحظنا ذلك منذ سنين فأبينا هذه المذلة والامتهان لشباب الأمة . وأنفجنا صفحاتنا للمختار من آثار الشباب الموهوبين ، إذ ليست المواهب الأدبية بما يقاس حتماً بالسنّ ، وفي الوقت ذاته جعلنا شعار ندوتنا أمامهم تقديم الدرس على الانتاج الأدبي ، وجعلنا محفلنا صيانة لهم من المقاهي وأمناها ومن التذبذب بين الأحزاب ، فن خاب منهم بعد ذلك لم ترجع خيبته اليّنا وإنما الى دورانه حول أمناهم والى إضاعته الوقت في عبثهم . وقد استحققت خطتنا هذه تقدير معالي وزير المعارف عند ما تشرف وقد (جمية أبولو) بمقابلة معاليه في الصيف الماضي .

ولما عرّف خصوصاً هذه الحقيقة أخذوا يضلّون فوق أضاليلهم ويتظاهرون بالفيرة على الشباب ، وناسوا كيف غرّوا به ، وكيف ما زالوا يغردون ، ما بين إشعاره بروح التبعية بدل روح الشمع ، وما بين قتل مواهب الأدبية بدل إظهارها ، وما بين تقسيمه الى فرقٍ يحارب بعضها بعضاً ، الى آخر هذه المهازيل المشجية ، في حين أن ( ندوة الثقافة ) وجمعياتها ليست لها صلةٌ خاصةٌ بالشباب ، وانما صلتها أدبيةٌ وثقافيةٌ عامةٌ بجميع أهل الأدب على اختلاف طبقاتهم ، وغايتها إبراز المواهب الأدبية وتشجيعها أينما كانت في غير إصراف ولا تغرير بأحدٍ . فلا غرو إذا حمد لها العقلاء جهودها التزبية ، وحاربها المغرضون فحاولوا اتهامها بجناياتهم المشهودة وتشويه غاياتها الشريفة ، ولكن المغالطات لا تدوم ولا بد أن تنكشف كما انكشفت مناوراتهم المفضوحة .

### في الشعر الجريبر

( نقرأ حواراً عجيباً عن ابتداء شعر الأوربا في اللغة العربية وشعر التصوير والميثولوجيا بألوانه الجديدة التي عرفها القراء عن آثارنا ، ويُسْتَعْب أحدُ أفضل الأدباء نفسه في نفي ذلك عنا ، والأمر لا يحتاج الى كلِّ هذا الحوار فأسبقية آثارنا هذه لا تحتاج الى تدليل وتأثيرها في أدياء العربية مشهودٌ لمن يطلع على المجالات السورية وغيرها ) والذين يريدون أن يعطوا غيرهم دروساً في النقد التزيبه أو لي بهم أن يفهموا معنى ضبط النفس وضبط موازينهم كيفما كانت الظروف ، وبذلك يحترمون أنفسهم ويستحقّون احترامنا لهم دائماً .

ويُقالُ إنَّه ليس لنا ولا قصيدة واحدة في الشعر العلمي تشرّفنا بينما تزرخ دواويننا بهذا الشعر وعلى الأخصّ ديوان « الشفق الباكي » ، وبينها قصيدة « جنة النحل » التي كان يُعجب بها المرحوم شوقي بك كما يُعجب بها الى الآن رئيس تحرير ( المقتطف ) وغيرهما من كبار رجال الأدب . ومثل هذا الحكم هو نتيجة عدم الاطلاع الشامل على آثارنا المختلفة . ( وأما عن شعر الميثولوجيا فحسبنا أن في جمعه بين الأساطير والخيال والعاطفة وتفسير الحياة والتعبير عن الحوادث المصوّرة ما يجعله الى الآن فريداً مستقلاً ، ولم يستطع منتقصونا مجاراته فضلاً عن التبريز علينا فيه ) ومع ذلك فنفس هؤلاء المنتقصين كثيراً ما تغفّوا بعكس

هذه الاغنية من قبل ، ولكن يظهر أنَّ الخريف تيارات خاصة ، وأما عن الحكم على شعرنا الفلسفي فالأولى به رجل كالدكتور على المناني أستاذ الفاسفة في دار العلوم ، فليس هذا اللون من الشعر في متناول كلِّ ناقدٍ وخصوصاً من ليست لديهم ثقافة فلسفية ولا روح فلسفية .

وعيبٌ علينا استعمال محور الرجل مع أنها تكسبه روحاً مصريةً رشيقةً ، وقد قلَّدنا في ذلك غير واحد من الشعراء المشهورين بعد أن كانوا يتكلمون علينا في البداية كما يقع كثيراً آزاء كلِّ جديدٍ غريب .

### الشعر والسياسة

كثيراً ما نادينا برفع الشعر عن السياسة ، وأنَّ الوطنية غير الحزبية ، وأن من العيب تسخير الشعر لأهواء السياسة بدل خدمة القومية الخالصة . وهذا المبدأ ظاهرٌ في جميع شعرنا قديمه وحديثه على السواء ، وأحدثه ديواننا ( فوق العباب ) الذي يعرف أصدقائنا الكثير من شعره الوطني الذي نفتصر به للديمقراطية وحقوق الشعب وبعضه شائع في الأندية .

لذلك نأسف جداً الأسف لادعاء محرري ( الوادي ) اشتهر بمغالطته واشتغاله بالدسائس ضدنا أننا نظمنا شعراً ضد ( الوفد المصري ) مستشهداً بأبيات منصبة على مشاحنات الأحزاب ولا نعتبر إلا عن الحسرة على هذا الشقاق المصدع لوحدة الأمة ، وأيُّ فائدة من الصعود بالبناء إذا جاء مصدعاً مهدداً بالدمار ؟ ومنزل هذا الشعر جرى على السنة الكثيرين من شعراء الوطنية فلا معنى لاساءة تفسيره . ولكن لا عجب في ذلك مادام القائم بهذا الدس ضدنا من زور قصيدة على المرحوم شوقي بك طعننا في ( جمعية أبولو ) مما دعا سكرتير الفقيد ( بالنيابة عن أسرته ) الى توبيخه أشد التوبيخ ، ومع ذلك عاد صاحبنا يكرر هذه القرية في ( الوادي ) مستغفلاً رؤسائه !

ولم يسكتف بذلك بل راح يصف قصيدة وجهناها الى دولة اسماعيل صدق باشا بصفته رئيس الوزارة السابقة وصفاً لا يتفق مع الواقع فعلاقتنا بدولته علاقة صداقة عائلية ترجع الى الخال والوالدولاشأنها بالسياسة بتاناً ، وقصيدتنا الى دولته لم يكن لها أيُّ علاقة بالسياسة بل كانت بث ظلامة ماعانيها في عهده من محاربات واساءات لأعمالنا الثقافية التي كان دولته شخصياً يقدرها ، ومع ذلك فقد شغلت دولته السياسة عن إنصافنا .

وأما عن المرحوم شوقي بك فقد كانت يحنى بجمعية أبولو الى قبيل وفاته وبرّ  
الاعضاء بذكره كل البرّ، وكان التقيد بقدر روح التسامح والمودة عندنا وهو في  
حياته لم ينظم هجواً في أحدٍ مطلقاً

٢٨٤٤٣٨٣



## سرّ الفصاحة

تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن محمد سعيد بن ستان الخفاجي الحلبي

٣٢٠ صفحة بحجم ٢٤ ٢/٣ × ١٦ ١/٢ سم — طبع بالمطبعة الرحمانية

على نفقة مكتبة الخفاجي بالقاهرة

هذا الكتاب ذخيرة من ذخائر تلك اللغة الشريفة ، ودرّة بريمة من كنوزها  
الغالية ، يترج فيه العلم بالأدب ويدلّ على ثقافة واسعة وعقل مفكر راجح التفكير  
مدقق عميق البحث والاستقصاء ، فيه من روح الأدب خفّته ومن عمق العلم  
وانساع دقّته ووراثته . يبداء المؤلف ببحث علميّ دقيق عن الأصوات وماهيتها  
يخيل اليك وأنت تقرأ انه عصرئ النّاليف فتتملكك الدهشة ويستفزك الإعجاب الى  
تمجيد ذلك الكنز الغالي من أدبنا العظيم ، يثبت فيه أن الصوت معقول لأنّه يدرك  
بحاسة السمع ولذلك فهو عرض وليس بجسم لأنّ الأجسام متائلة والإدراك انما  
يتعلق بأخصّ صفات الدّوات والآلات كانت الأجسام جميعها مدركة بحاسة السمع ، وإن  
الأصوات تدرك في محالها ولا تحتاج الى انتقال محالها وانتقالها وكونها اعراضاً مُنع  
من انتقالها .

ومن هذا البحث الدقيق ينتقل في دقة الى الحروف ، والكلام ، فاللغة ، ويمثل الاستقراء  
الذي يتناهى من بحثه في الصوت يبحث في مواضيع الكتاب المختلفة . ولننقل للقارئ

قطعة من الفصل الذي عقده عن الاستعارة في الكلام على شروط الفصاحة التي تستوجب وضع الألفاظ موضعها ، ومن هذه الشروط أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربهُ  
أو كقوله أيضاً :

فليست خراسان التي كان خالدٌ بها أسدٌ إذ كان سيفاً أميرها  
أو مقلوباً كقوله أيضاً :

وأطلس عسّال وما كان صاحباً رفعت لنسارى موهنًا قأناني

وفي هذا الفصل يقول : « ومن وَضَعَ الألفاظ موضعها حسن لاستعارة وقد حدّثها أبو الحسن علي بن عيسى الرماني فقال : هي تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للابانة ، وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل : « واشتمل الرأس شيباً » استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب ، فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس ويسمى فيه شيباً فشيئاً حتى يحمله الى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب وتسرى حتى تحمله الى غير حاله المتقدمة . فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولا بدّ من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأن الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى لأنها الأصل والاستعارة الفرع ، وليس يخفى على المتأمل ان قوله عز اسمه « واشتمل الرأس شيباً » أبلغ من « كثر شيب الرأس » وهو حقيقة هذا المعنى . وقول امرئ القيس « قيد الاوا » أبلغ من « مانع الاوابد عن جربها » والاصل في ذلك ما أفاده التشبيه في الاستعارة من البيان . فان قال قائل : فما الفرق بين الاستعارة والتشبيه اذا كانت الامر على ما ذكرتم ؟ قيل : الفرق بينهما ما ذكره أبو الحسن وهو أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاشتعال وليس كذلك الاستعارة لأن مخرج الاستعارة مخرج ليست العبارة له في أصل اللغة ، على أن الرماني قال : إن التشبيه في الكلام بأداة التشبيه وهو يعني كأن والكاف وما جرى مجراها ، وليس يقع الفرق عندى بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعه له ويكون حسناً مختاراً ولا بعده أحد في جملة الاستعارة لخلوّه من آلة تشبيه . ومن هذا قول الشاعر :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهيلةً وميَّسن غصوناً ، والتفتن جاذراً  
وقول الآخر :

وأسبلت لؤلؤاً من زجس فسفت ورداً ، وعصت على العناب بالبرد  
وكلاهما تشبيه محض وليس باستعارة وإن لم يكن فيها لفظ من ألفاظ التشبيه ،  
وانما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً .

هذا الفصل أعوذج لما وضع عليه هذا الكتاب النفيس الذي يجب أن يطالعه الجيل  
الحديث فيجد ثروة طائلة لم يكن يظن لها وجوداً .

وقد ذُيِّلَ هذا الكتاب باستدراكات قيِّمة قام بها صديقنا الفاضل الباحث  
المدقق محمود محمد شاكر الذي أشار أيضاً بالحاق اعتراضات ابن الأثير في كتابه  
« المثل السائر » عن كتاب « سرّ الفصاحة » به ؟  
مسه كامل الصبرني



## تنبيه هام

يشرف مرافق « ندوة الثقافة » باعلان جهور الأدباء أنه فيما عدا  
المبادلات الصحفية الضرورية وأعضاء مجلس ( جمعية أبولو ) لا يستطيع  
الموافقة على إهداء هذه المجلة الى أحدٍ ما حرصاً على حياتها المادية . وهو  
من أجل ذلك يدعو جميع أنصارها الى شرائها أو المبادرة الى الاشتراك  
فيها . ولا يمكن مخالفة هذه القاعدة بحالٍ من الأحوال ؟

محمد عبد الغفور

( مرافق ندوة الثقافة )

# تصويبات

| الصفحة | السطر | الخطأ         | الصواب        |
|--------|-------|---------------|---------------|
| ٣      | ١٣    | كلتي الخطتين  | كلتا الخطتين  |
| ١١     | ٨     | الأموال       | الأموات       |
| ١٧     | ٧     | الاستمتاع     | الاستماع      |
| ٦٥     | ١٤    | من حب         | من هوى        |
| ٩٥     | ٢٠    | الهوى غير بال | الهوى غير بال |
| ١٠٣    | ٨     | مروعة         | مروعة         |
| ١٠٣    | ٢٣    | خذ            | خذ            |
| ١٠٧    | ٨     | لقد ذت        | لقد ذت        |
| ١٠٧    | ١٧    | نؤيد          | نؤيد          |
| ١٢١    | ١٢    | ربكم          | ربكم          |
| ١٢٤    | ٩     | فان ذلك       | فمن ذلك       |
| ١٢٧    | ٢٢    | المهلب        | المهلب        |
| ١٣٧    | ٢٣    | القرينة       | القرينة       |
| ١٤٢    | ٩     | يفلق          | يفلق          |
| ١٤٧    | ١٣    | صحفته         | صحيفته        |
| ١٤٧    | ١٣    | رهو           | وهو           |
| ١٤٧    | ١٥    | بوس           | بوس           |
| ١٥١    | ٨     | القاسم        | القاسم        |
| ١٥١    | ١٥    | هذ            | هذا           |
| ١٥٢    | ٦     | خات           | خاب           |
| ١٥٢    | ١٩    | تجلّى         | تجلّى         |
| ١٥٣    | ٢٣    | أن لا يبق     | أن يبق        |
| ١٥٨    | ٤     | قطمن          | قطمن          |
| ١٦٣    | ٢٠    | دوى           | دوى           |
| ٢١٥    | ١٣    | نحجج          | نحجج          |
| ٢١٦    | ٢٦    | خصصة          | خصصته         |
| ٣٢٣    | ١     | وليم كيتس     | جون كيتس      |